الإسرائيليات والموضوعات

في كتب التفسير

للشيخ العلامة
الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة
أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وأم القرى
رحمه الله تعالى

مكتبة السنة

الطبعة الأولى ـ ١٣٩٣ هـ ـ مجمع البحوث الإسلامية
الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢ هـ ـ المؤلف (رحمه الله تعالى)
الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٥ هـ ـ مجمع البحوث الإسلامية
الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٨ هـ ـ مكتبة السنة

« طبعة منقحة ومصححة »

جميع الحقوق محفوظة للناشر
مكتبة السنة لصاحبها شرف الدين محمد عبد العال حجازي
بالاتفاق مع ورثة المؤلف

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة ـ ٨١ شارع البستان ، ناصية شارع الجمهورية ـ عابدين ـ تليفون : ٣٩٠٠٣١٨
EL SONNA BOOKSHOP — CAIRO — 81 AL BUSTAN ST., ABDIN — TEL : 3900318

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ .

[قرآن كريم]

عن ابن عباس قال : [كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله ـ ﷺ ـ أحدث ، تقرؤنه محضاً لم يشب ؟ ! وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل عليكم]*

---

* من الزيادات الكثيرة والمهمة التي تركها المؤلف رحمه الله في كتابه نسخته الخاصة ـ التي قدمها لنا ولده : الدكتور عمر بن محمد أبو شهبة ـ حفظه الله ووفقه ـ وجدتها في طبعتنا هذه بين قوسين [ـــــ] . وانظر على سبيل المثال صفحة ٥ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٩ وغيرها ـ وهذه إحدى مزايا طبعتنا هذه فضلاً عن التصويبات الكثيرة وغيرها كما سيراه القارئ إن شاء الله . والحمد لله تعالى بنعمته تتم الصالحات .

« الناشــر »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، قيما ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يتطرق إليه تحريف ولا تبديل ، ولا يميل به عن الجادة الباطل **﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ﴾**[1] .

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا : محمد ، المؤيد بالقرآن معجزة عظمى ، وآية باقية على وجه الدهر ، ووكل إليه بيانه وتفسيره فقال سبحانه : **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾**[2] .

وعلى آله وأصحابه ، والمهتدين بهديه ، ما بقي مسلم على وجه الأرض .

أما بعد :

فقد رغب إلي فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ : عبدالحليم محمود ، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالجامع الأزهر المعمور بالعلم والعلماء ، أن أؤلف كتابا أبين فيه الإسرائيليات المبثوثة في كتب التفاسير ، مع تزييفها وبيان بطلانها ، وقد صادف هذا البحث المفيد هوى في نفسي .

١ ـ لأني أعلم شدة حاجة المسلمين إلى مثل هذا المؤلف الذي يذب عن كتاب الله ـ تعالى ـ ما علق بتفسيره من الأباطيل ، والخرافات والأكاذيب التي كادت تطغى على التفسير الصحيح لكتاب الله ـ تعالى ـ ، وتخفي الكثير من جلاله ، وجماله ، وهدايته التي هي أقوم الهدايات : **﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾**[3] ، وعقائده التي هي أسمى العقائد وأحقها بالقبول ، وأليقها بالفطر البشرية ، وأقربها إلى العقول ، وأمسها

---

(١) سورة فصلت ، آية ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سورة النحل ، آية ٤٤ .

(٣) الإسراء ، آية رقم ٩ .

بالقلوب ، وتُظهر الإسلام أمام الباحثين ، ولاسيما في العصر الأخير : عصر تقدم العلوم الكونية ، والمعارف البشرية ، بمظهر الدين الذي يشتمل على الخرافات والترهات ، لأن كتابه الأكبر هو : القرآن الكريم ، وهذه هي : تفاسيره ، فيها كثير مما يخالف حقائق العلم ، وسنن الله الكونية !! ومؤلفوها هم : من علماء الإسلام ، بل ومن كبارهم ، فهي صورة للإسلام ، ولتفكير المسلمين ، وذلك مثل : ماروى في عمر الدنيا من الإسرائيليات وأن عمرها سبعة آلاف سنة ، ومثل : ماروى في بدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، وتعليل بعض الظواهر الكونية ، مثل : الرعد ، والبرق ، والخسوف ، والكسوف ، وبرودة مياه الآبار في الصيف ، وحرارتها في الشتاء ، ومثل : ماروى في تفسير : ﴿ق﴾ وأنه الجبل المحيط بالأرض وتفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿نٓ﴾ وأنه الحوت الذي على ظهره الأرض وما روى في قصص الأنبياء والمرسلين من إسرائيليات باطلة لا تليق بمقام الأنبياء ، وعصمتهم إلى نحو ذلك ، وما أكثره في كتب التفاسير .

وطالما رغب إليَّ الكثيرون في تأليف كتاب يحقُّ الحق ، ويبطل الباطل ، ويزيح عن تفسير كتاب الله ـ تعالى ـ هذا الركام من الموضوعات والإسرائيليات ، والأباطيل ، ولأني عنيت من عهد طلب العلم بتتبع الدخيل في كتب التفسير ونحوها ، والرد عليها ، فقد كانت ـ ولازالت ـ مثار شبه ، وتشكيك ، واعتراضات ، وتجنيات على الإسلام ، والقرآن ، والنبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

وقد حمل كبر هذا الإثم [القساوسة] ، والمستشرقون ، فقد وجدوا في هذه الإسرائيليات والمختلقات ما يشبع هواهم ، ويرضي تعصبهم الممقوت ، ويشفي نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه ، والقرآن ، هذا الحقد والضغن الذي يعتبر امتداداً للحروب الصليبية التي شنوها على الإسلام والمسلمين ، والتي لا تزال إلى عصرنا هذا تتخذ أشكالاً شتى ، ومظاهر متعددة .

والعجب من هؤلاء المبشرين ، والمستشرقين : أنهم في سبيل إرضاء صليبيتهم الموروثة ، والتي رضعوها في لبان أمهاتهم ، يصححون الموضوع ، والمختلق المنحول ، على حين تراهم يحكمون بوضع كثير من الأحاديث الصحيحة ، حتى ولو كانت في الصحيحين اللذين هما أصح الكتب البشرية على الإطلاق وذلك مثل : ما روى زوراً وكذباً في قصة زواج النبي ـ ﷺ ـ بالسيدة زينب بنت جحش ، وما روى في : قصة الغرانيق ، مما هو

من صنع زنادقة اليهود والفرس ، وأضرابهم ، ونحو ذلك مما طبل له المستشرقون والمبشرون ، وزمّروا ، وزادوا فيه ، وأعادوا .

ومما يؤسف له غاية الأسف : أن بعض المتعلمين ، والمثقفين الذين تثقفوا بثقافة غير إسلامية ، ولا سيما مَنْ صنعتهم أوروبا على عينها ، وربتهم على يديها ، ويتسمّوْنَ بأسماء المسلمين ، قد تابعوا سادتهم المستشرقين فيما زعموا ، وصاروا أبواقاً لهم ، يرددون ما يقوله هؤلاء ، لأنهم ينظرون إليهم على أنهم قمم في العلم والمعرفة ، والشأن في المغلوب ـ كما قال واضع أساس علم الاجتماع : العلامة ابن خلدون أن يقلد الغالب ، وتتماع شخصيته في شخصيته ، وبذلك ساعدوا على نفث هذه السموم بين المتعلمين من شباب المسلمين ! !

ولقد كان ضرر هؤلاء أشد من ضرر سادتهم المبشرين والمستشرقين لأن القارىء المسلم حذر ـ ولو بعض الحذر ـ مما يقول هؤلاء أو لا يركن إليهم الركون كله ، أما الكاتب المسلم : فالأمنة من جانبه أكثر ، والاغترار بما يقوله أكبر .

وقد كانت المدة المحددة لهذا المؤلف ثلاثة أشهر ، ولكني اشترطت ستة أشهر ، وقَبِلَ الأمين العام للمجمع ، ولكن ماذا تكفى ستة أشهر ؟! وأنا أتولى عمادة كلية أصول الدين ـ بجامعة الأزهر فرع أسيوط ـ وإن شئت الحقيقة فأنا أقوم بتأسيس فرع للجامعة بعاصمة الصعيد أسيوط .

وأقوم ببعض المحاضرات في الكلية وخارجها ، وفي بعض الشهور كرمضان ، والمحرم ، وربيع الأول ، قد تستوعب المحاضرات العامة الشهر كله ، وهو جهد ينوء به الشاب ، فضلاً عن الشيخ المثقل بشتى المسئوليات والأعباء ! ! فلا عجب إذا كانت الأشهر الستة قد تضاعفت . ولما تولى فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ : محمد عبد الرحمن بيصار أمانة المجمع ، بعد أن تولى سلفه الجليل وكالة الأزهر ، كرر الرغبة في إنجاز هذا الكتاب النافع المفيد ، لذلك لم يكن لي بد من أن أضاعف الجهد ، وأتابع السهر ، وأواصل البحث حتى أفرغ من هذا المؤلف الذي أعتقد أنه من أوجب الواجبات على علماء المسلمين ، حتى أفي بما وعدت .

وهذا الموضوع (1) ليس بالأمر الهين الذي يقوم به فرد واحد ولكنه يحتاج إلى جهود

---

(1) هذه كلمة حق لا مرية فيها فإذا كان المبشرون جادين فليعدوا العدة لهذا العمل كاملة : من مراجع وموظفين . الخ .

متعاونة متضافرة من جماعة متخصصين فى الأصلين الشريفين : القرآن والسنة ، وعلومهما وغيرهما من العلوم الإسلامية ، ولهم إلمام وعلم بالتقدم العلمى فى الطب ، والفلك وعلم سنن الله الكونية ، وعلم الاجتماع البشرى ، وعلم النفس وعلم الأجناس ونحوها ، حتى يؤيدوا بطلان الإسرائيليات ، وتهافتها بما جد من نظريات علمية مستقرة ، وبذلك : يتم لهم نقدها نقداً خارجياً : نقد السند ، ونقداً داخلياً : نقد المتن ، من جهة النقل والعقل والعلم ، ويكونون قد أضافوا إلى ما ذكره الأقدمون فى نقدها جديداً من النقد ، وجديداً من العلم .

ولكن لو أننا انتظرنا حتى تكون هذه الجماعة ، وتبدأ فى العمل لمضت السنون ، ولم تنجز عملاً ، بل قد لا تتفق الجماعة على رأى فى كثير من الإسرائيليات ، والموضوعات ، إذ التكوين الثقافى ليس واحداً ، والأنظار ليست واحدة ، وهذه طبيعة البشر . والنقاد فى كل عصر : منهم المتشدد ، ومنهم المتساهل ، ومنهم المتوسط المعتدل ، لذلك رأيت ألا أحجم عن الكتابة فى هذا الموضوع الضخم الخطير الجليل ، وأن أؤدى عن علماء المسلمين فرضاً مفروضاً فى هذا المضمار واستعنت بالله ـ تعالى ـ ، وسألته التوفيق ، والسداد ، والرشاد .

وهأنذا أفى بما وعدت ، وأقدم ما أنجزت . فإن كان ما وصلت إليه صوابا فمن الله ـ تبارك وتعالى ـ . وإن كان خطأً فمن نفسى ومن الشيطان ، وحسبى أنى اجتهدت ، وبذلت غاية الوسع فى الاجتهاد فلن أخلو من الأجر ، وصدق المبلغ عن رب العالمين ـ ﷺ ـ حيث يقول : « **إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر** » رواه البخارى ومسلم .

وقد كان اقتراح عنوان الكتاب أن يكون : « الإسرائيليات فى كتب التفسير » ، ولكنى رأيت أن أضم إلى الإسرائيليات الموضوعات أيضاً فى كتب التفسير ، فإن فيها موضوعات ذات خطر على الإسلام والنبى ، وذلك مثل : ما وضعه الزنادقة وأعداء الإسلام من يهود ، ومجوس ، ونصارى ، وغيرهم ، من قصص وروايات تقدح فى عصمة النبى ، وتظهر الإسلام بمظهر الدين الساذج الذى يشتمل على الخرافات .

ومنها : ما كان من أثر الخلافات السياسية ، والدينية ، والمذهبية ومنها ما وضعه قوم زعموا ـ وبئس مازعموا ـ أنهم يخدمون الإسلام ، ويرغبون فيه ، وذلك مثل : الأحاديث التى وضعت فى فضائل القرآن وفى فضائل السور ، وفى فضائل الأشخاص

والأزمنة . والأمكنة فقد استباح بعض الزهاد وبعض المتصوفة الوضع في باب الترغيب والترهيب . وزعموا ـ جهلاً وزوراً ـ أن ذلك حسبة إلى الله . ومن المؤسف أن بعض أهل العلم لا يزالون يرددون أمثال هذه المرويات ويستولون بسببها على قلوب العامة والسذج ، مع أنها قد نص على وضعها واختلاقها كثير من الحفاظ . وأئمة النقد .

وبهذا وذلك : يكون الكتاب فائدته أعظم . وثمرته أعم وأشمل ولا يفوتني في هذا المقام : أن أنوه بما قام به بعض زملائنا من جهاد مذكور مشكور في هذا الباب . وهو أخونا الأستاذ الدكتور الشيخ محمد حسين الذهبي الأستاذ بكلية أصول الدين . في كتابه « التفسير والمفسرون » . وفي الكتيب القيم الذي نشره له مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

* * *

ماذا يمكن في هذا الموضوع

وآراء الناس وأفكارهم متباينة في معالجة هذا الموضوع الخطير؟!!

١ ـ فمنهم من يرى الاستغناء عن كتب التفسير التي اشتملت على الموضوعات والإسرائيليات التي جنت على الإسلام والمسلمين وجرّت عليهم كل هذه الطعون والمهجات من أعداء الإسلام . وذلك بإبادتها أو حرقها . حتى يحال بين الناس ، وبين قراءتها . والاكتفاء بالكتب الخالية أو المقلة منها . وتأليف تفاسير أخرى خالية من هذه الشوائب والمناكير . وهو رأى فيه إسراف وغلو ، إذ ليس من شك في أن هذه الكتب فيها بجانب الإسرائيليات علم كثير . وثقافة إسلامية أصيلة . وأن ما فيها من خير وحق أكثر مما فيها من شر وباطل . فهل لأجل القضاء على الشر نقضي على الخير . ولأجل الإجهاز على الباطل نجهز على الحق أيضاً؟! أعتقد أن هذا لايجوز عقلاً ، ولا شرعاً .

ثم إن هذا الرأى غير ممكن تنفيذه عملياً . فنحن إذا أعدمنا ما يوجد من هذه التفاسير في المكاتب العامة . فكيف يمكن ذلك في المكاتب الخاصة ؟! . ومن أصحابها من يضن بها ضنه بنفسه . وليس من حق أحد أن يغتصب مال غيره . ويعدمه تعللاً بهذه العلة .

الحق : أن هذا رأى فيه إسراف وغلو . وغير ممكن تنفيذه عملياً وفي الحق : أن هذه الكتب التي اشتملت على الموضوعات والإسرائيليات لو وجد في عصر طبعها من تنبه لما فيها . وكان من أهل التمييز بين الصحيح والضعيف ، وما هو من قبيل الإسرائيليات . وما ليس منها وعلق على هذه الكتب عند طبعها ، لوقانا شر هذه الإسرائيليات

والأكاذيب ، وما تسممت بها العقول والأفكار ، وتكفانا ما نقوم به اليوم ، ولكن ذلك لا تجدى الآن .

٢ ـ وهناك فريق آخر يرى أن تجمع ما طبع من هذه الكتب وتخفيها عن أعين الناس ، ثم نعيد طبعها بعد تنقيتها من الإسرائيليات والموضوعات ، ولكن أية قوة في العالم الإسلامي يمكنها أن تفعل هذا ؟! ثم هو إن أمكن في المكاتب العامة ، فكيف يمكن في المكاتب الخاصة المختفية في بيوت أصحابها ؟! ، الحق أن هذا الرأي وإن كان أقل إسرافاً وغلوا من الرأى الأول ، فهو غير ممكن أيضاً من الناحية العملية .

وأيضاً : فهذه الإسرائيليات والموضوعات ، وإن لم تكن لها قيمتها الدينية والتشريعية في نسبتها إلى النبي ـ ﷺ ـ أو إلى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لأنها مختلقة عليهم ، منتحلة ، لكن لها في نظر بعض الباحثين والمؤلفين في الحياة العقلية في الإسلام قيمتها العلمية ، فهي تدل على ثقافة العصر ، وأفكار أهله ، وتلاقح الثقافات وتأثير بعضها في بعض ، لأن الذي وضعها ونسبها هؤلاء لم يكن خارجاً عن البيئة ، ولا منعزلاً عن روح العصر ، وإنما كان مؤثراً ، ومتأثراً وهذا الرأى قد ردده بعض الباحثين في كتبه [1] ، ولكنى لست منه على ثلج [2] ، ولا على اتفاق مع قائله ، لأنها سممت الأفكار ، وجنت على التفسير والحديث ، وكان لها آثارها السيئة في كتب العلوم الإسلامية فضررها أعظم بكثير من نفعها المزعوم .

٣ ـ فلم يبق إلا الطريق الثالث : وهو رأى القائلين بالتنصيص على هذه الإسرائيليات والموضوعات وردها من جهة العقل والنقل وبيان أنها دخيلة على الإسلام ، ومدسوسة على الرواية الإسلامية وبيان من أين دخلت عليه ، وذلك بتأليف كتاب ، أو كتب في هذا ، ونشرها نشراً موسعاً ، بحيث يستفيد منها كل مثقف ، وكل متعلم ، بل وكل من يحسن القراءة ، وبذلك نقضى على ما في بعض كتب التفسير من شرور الإسرائيليات وسمومها التى أفسدت عقول كثير من الناس ، ولاسيما العامة ، وصاروا يتناقلونها على أن لها أصلاً في الرواية الإسلامية ، وما هي منها في شيء .

---

(١) هو الأستاذ أحمد أمين ـ رحمه الله ـ في كتابيه : (فجر الإسلام) ص ٢٥١ و(ضحى الإسلام) ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) على ثلج أي على اطمئنان تامة .

منهجى فى هذا الكتاب

أما منهجى فى هذا الكتاب : فسأقدم للبحث الأصلى بمقدمات أبين فيها معنى التفسير والتأويل ومعنى الإسرائيليات ، وما المراد بالموضوعات ؟ وما المنهج الذى يجب أن يتبع فى تفسير القرآن ، والكلام عن التفسير بالمأثور ، وأقسامه ، والتفسير بالرأى والاجتهاد المقبول منه والمردود ودخول الوضع والإسرائيليات فى التفسير بالمأثور ، وأسباب ذلك وما وجه إلى هذا النوع من التفسير من نقد ، والآثار السيئة التى خلفتها هذه الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير وغيرها .

ثم أعرضُ لما قام به حفاظ الحديث ، وأئمة النقد ، والتعديل والتجريح من جهاد مشكور فى التنبيه إلى الموضوعات والإسرائيليات فى كتب التفسير ، ثم أعرض لأشهر كتب التفسير بالمأثور ، مبيناً بإيجاز قيمة كل كتاب من جهة الرواية ، ولأشهر كتب التفسير بالرأى المقبول ، من حيث اشتمالها على الموضوعات والإسرائيليات قلة أو كثرة ، أو عدم اشتمالها من غير تعرض لما فيها من جوانب كمال أو جوانب نقص أخرى ، فليس ذلك من غرضى ، ولا مما يتصل بالغرض الذى وضع له الكتاب ، إلى غير ذلك مما عرضت له .

وهذه المقدمات أو التمهيدات على طولها لابد منها ، حتى يكون القارىء لهذا الكتاب على بينة من أمر هذه المباحث ، التى ستسلمه إلى المقصد الأصلى من الكتاب فى غير اقتضاب .

ثم بعد ذلك آخذ فيما إليه قصدت ، وهو : الإبانة عن الإسرائيليات والكشف عن الموضوعات فى كتب التفسير ، سواء منها ما اختص بالتفسير بالمأثور ، أو ما جمع فيها بين المأثور وغيره ، أو ما غلب عليها التفسير بالرأى والاجتهاد ، ومما ينبغى أن يعلم ، أن هذه الكتب الأخيرة لا تخلو من التفسير بالمأثور قط ، ولا يمكن أن تخلو منه .

وليس من غرضى فى هذه الدراسة وهذا البحث أن أتناول الكتب كتاباً كتاباً ، فهذا أمر يطول ، ويلزم منه التكرار ، أو الإحالة على ما فات .

ولكنى سأعرض هذه الإسرائيليات والموضوعات ، وأردها من جهة العقل والنقل ،

مناسبا في ذلك أقوال جهابذة العلماء من حفاظ الحديث، وأئمة النقد الذين إليهم المرجع في التصحيح والتضعيف والتمييز بين الغث والسمين، والمقبول والمردود، وجمعوا بين المعقول والمنقول، وكذلك غيرهم ممن ليسوا من حفاظ الحديث، ولكنهم تناولوا إبطال بعض هذه الإسرائيليات، والموضوعات، من جهة العقل والنقل، وأزيد على ما ذكروه ما استفدناه من العلوم الحديثة، وما استجد من نظريات علمية مستقرة لم تكن معروفة في عصورهم وما من الله به علي من دراساتي القرآنية، والحديثية. ثم أنبه على مواضعها وأماكنها في كتب التفسير التي ذكرتها، من غير تردد، وأنص على بطلانها وزيفها، والتحذير منها، حتى يكون القارىء لهذه التفاسير على بينة من حقيقة هذه المرويات، وعلى حذر من الاغترار بها وتصديقها.

والله أسأل أن يهديني للصواب والرشد، وأن يمدني بروح من عنده إنه سميع مجيب

كتبه

أبو السادات

محمد بن محمد أبو شهبة

من علماء الأزهر الشريف

والمتخصص في الأصول الشرعية

عفا الله عنه

المحرم ١٣٩١ هـ

مارس ١٩٧١ م

معنى :

إسرائيليات . وموضوعات . وتفسير.

يقتضي منهج البحث التحليلي أن نبين معنى كلمة « إسرائيليات » والمراد من « موضوعات » و« التفسير والتأويل » حتى يكون القارئ على بينة مما نقول

(أ) الإسرائيليات

جمع إسرائيلية ، نسبة إلى بني إسرائيل . والنسبة في مثل هذا تكون للعجز المركب الإضافي لا لصدره ، وإسرائيل هو : يعقوب ــ عليه السلام ــ أي عبد الله . وبنو إسرائيل هم : أبناء يعقوب ، ومن تناسلوا منهم فيما بعد ، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء ، حتى عهد عيسى ــ عليه السلام ــ وحتى عهد سيدنا محمد ﷺ

وقد عُرفوا بـ « اليهود » أو « يهود » من قديم الزمان ، أما من آمنوا بعيسى فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم « النصارى » ، وأما من آمن بخاتم الأنبياء فقد أصبح في عداد المسلمين ويعرفون عند المسلمين أهل الكتاب[1].

وقد أكثر الله من خطابهم ببني إسرائيل في القرآن الكريم تذكيراً لهم بأبوة هذا النبي الصالح ، حتى يتأسوا به ، ويتخلقوا بأخلاقه ، ويتركوا ما كانوا عليه من تنكر نعم الله عليهم وعلى آبائهم وما كانوا يتصفون به من الجحود ، والغدر ، والتلوّن ، والخيانة وكذلك ذكرهم الله ــ سبحانه ــ باسم اليهود في غير ما آية . وأشهر كتب اليهود هي التوراة ، وقد ذكرها الله في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ

---

(1) أهل الكتاب يطلقون على اليهود والنصارى ، ولكنهم في مثل هذه المواضع يراد بهم اليهود غالباً لأنهم الذين كانوا يسكنون بالمدينة وما جاورها

ولأن الكثرة الكاثرة من الإسرائيليات دخلت عن طريق اليهود

الفرقان﴾(١) وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾(٢) ولكن التوراة التي بأيدي اليهود نالها من عبث الأيدي في التحريف والتبديل، ما أثبته القرآن صراحة، فهي تحتوي على كثير مما كتبوه بأيديهم، ولا سيما وقد جاء القرآن الكريم، الذي هو شاهد ومهيمن على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه فهو حق، وما خالفه فهو باطل.

ومن كتبهم أيضاً الزبور، وهو كتاب داود عليه السلام، وأسفار الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليه وعليهم السلام، ويسمى العهد القديم، وما اشتملت عليه من الأسفار الموسوية وغيرها بالعهد العتيق.

وكان لليهود بجانب التوراة المكتوبة التلمود، وهي التوراة الشفهية، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية، ومدنية وشروح، وتفاسير، وتعاليم، وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهياً من حين لآخر، وقد تجمع تلك الروايات وتضم إليها مرحلة بعد مرحلة، حتى صار من الصعب حفظها في الذاكرة، ورأى أحبارهم تدوينها، ومدونة، وجمعت الأقوال والنصوص والآراء الأسبق منها والحديثات، وتعد الحديثة، وجوه من سبقه وقدمائها، مع مرور الزمن وخصوصاً وقت الاضطهادات، فالاضطهادات قد تؤدي إلى ضياعها، فكتبته ... وقيل كلمة من سيدنا موسى عليه السلام(٣).

ومن التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه، والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها، أو تلقوها عن غيرهم، كانت معارف اليهود وثقافتهم، وهذه كلها كانت منابع للإسرائيليات التي حوت منها بعض كتب التفسير والتاريخ والقصص والمواعظ. ومن هذه المنابع إن كان فيه حق فهو قليل، وإن كان فيها صدق، فهو كذب صراح، وإن كان فيها صحيح ففيه غث كثير، ثم نظر ذلك إلى الإسرائيليات، وقد يتوسع بعض الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلها شاملة لما

(١) سورة الأنبياء: ٤٨ (٢) سورة المائدة: ٤٤

(٣) ... ص ١٠-٨

كان من معارف اليهود، أم كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها، والرسل وسيرهم، ونحو ذلك، وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم[1].

والحق أن ما في كتب التفسير من المسيحيات أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس له من الآثار السيئة ما للإسرائيليات، إذ معظمها في الأخلاق، والوعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب، وإنما

(ب) الموضوعات

فهي جمع موضوع، اسم مفعول، وهو في اللغة مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعاً، إذا حطه وأسقطه، أو من وضعت المرأة ولدها إذا ولدته[2]، وأما في اصطلاح أئمة الحديث فالموضوع: هو الحديث المختلق[3] المصنوع، المكذوب على رسول الله ـ ﷺ ـ أو على من بعده من الصحابة والتابعين، ولكنه إذا أطلق ينصرف إلى الموضوع على النبي ـ ﷺ ـ، أما الموضوع على غيره فبقيد، فيقال مثلاً: موضوع على ابن عباس، أو على مجاهد مثلاً، والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة، أما على المعنى اللغوي الأول، فلأنه منحط ساقط عن الاعتبار، وأما على الثاني: فلما فيه من معنى التوليد، والتسبب في الوجود، والموضوع من حيث مادته وصنعه نوعان:

١ ـ أن يصنع الواضع كلاماً من عند نفسه، ثم ينسبه إلى النبي ـ ﷺ ـ أو إلى الصحابي، أو التابعي.

٢ ـ أن يأخذ الواضع كلاماً لبعض الصحابة أو التابعين، أو الحكماء، أو الصوفية، أو ما يروى في الإسرائيليات، فينسبه إلى رسول الله؛ ليروج وينال القبول، مثال ما هو من قول الصحابة: ما يروى من حديث «أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون

---

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٦٥ (٢) تاج العروس والمصباح المنير مادة (وضع)

(٣) الاختلاق أعم من أن يكون إنشاء كلام لم يسبق إليه، أو أخذ كلام الغير ونسبه إلى النبي فيكون الاختلاق في نسبته إليه.

بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما». فالصحيح أنه من قول سيدنا علي - كرم الله وجهه -. ومثال ما هو من قول التابعين، حديث: «كأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل». فهو من كلام عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -. ومثال ما هو من كلام الحكماء: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء» فمن قول الحارث بن كلدة طبيب العرب.

[ومثال ما هو من كلام المتصوفة ما يروى: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق، فعرفتهم بي فعرفوني»]

ومثال ما هو من الإسرائيليات: «ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» قال الإمام ابن تيمية: هو من الإسرائيليات، وليس له أصل معروف عن النبي ﷺ.

[ومثل ذلك ما روي عن ابن عباس «من أن عمر الدنيا سبع آلاف سنة» فهو من الإسرائيليات]

وقد نسب إلى النبي وإلى الصحابة والتابعين كثير من الإسرائيليات في بدء الخلق والمعاد، وأخبار الأمم الماضية، والكونيات، وقصص الأنبياء، وسأذكر الكثير من ذلك فيما بعد، وبعضها من الخطورة على الدين بمكان.

حكم الكذب على رسول الله:

جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أن الكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر، ولا يكفر من فعل ذلك إلا إذا كان مستحلاً الكذب عليه. وبالغ الإمام أبو محمد الجويني (١) والد إمام الحرمين - من أئمة الشافعية - فقال: «يكفر من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ» نقل ذلك عنه ابنه إمام الحرمين وقال: إنه لم يره لأحد من الأصحاب، وأنه هفوة من والده.

ووافق الجويني على هذه المقالة الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن منير

(١) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الفقيه الشافعي والد إمام الحرمين المتوفى في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وقيل: سبع وثلاثين وأربعمائة بنيسابور، والجويني - نسبة إلى جوين - بضم الجيم وفتح الواو، وسكون الياء - ناحية من نواحي نيسابور تشتمل على قرى مجتمعة.

المالكي [1] وغيره من الحنابلة ، ووافقهم الإمام الذهبي في تعمد الكذب في الحلال والحرام ، ولعل مما يشهد لهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [2] فقد نفت الآية الإيمان عمن يفترى الكذب على الله . والكذب على الرسول كذب على الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [3] .

وقال رسول الله - ﷺ - : **« إن كذبا على ليس ككذب على أحد . فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »** رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وقد روى من طرق متكاثرة ؛ حتى قال العلماء : إنه متواتر ، وفي قوله : إن كذبا على ليس ككذب على أحد ما يشعر بأن حكم الكذب عليه ليس كحكم الكذب على غيره . والكذب على غيره كبيرة ، فيكون الكذب عليه أكبر من كبيرة ، أو أكبر الكبائر .

وفي معنى الكذب على النبي - ﷺ - الكذب على الصحابة والتابعين ، ولا سيما فيما لا مجال للرأي فيه مما لا يعرف إلا من الشرع لأن له حكم المرفوع إلى النبي كما نص على ذلك أئمة الحديث [4] وأيضاً فبعض الفقهاء يعتبر قولهم حجة في التشريع ، إلا أني لم أقف على من قال : إن الكذب عليهم كفر ، وإنما الذي قاله الجويني إنما هو في الكذب على النبي - ﷺ -

ولا يدخل في الكذب الرواية بالمعنى ، لأنها إنما أجازها العلماء لعارف بالألفاظ ومدلولاتها معرفة دقيقة عالم بالشريعة ومقاصدها خبير بما يغير المعاني ويفسدها ، فهي لم تخرج عند التحقيق عن مدلول اللفظ الأصلي

هل تقبل رواية من كذب في الحديث وإن تاب ؟ .

ولما للكذب على رسول الله - ﷺ - من إفساد في الشريعة وإبطال في الدين : ذهب

---

(1) هو الإمام أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي قاضي الإسكندرية وعالمها المشهور المتوفى سنة ٦٨٣ هـ وصاحب كتاب « الانتصاف » على تفسير الكشاف

(2) النحل ١٠٥

(3) النجم ٣ ، ٤

(4) هذا بالنسبة إلى ما يروى عن الصحابي . أما ما روى عن التابعين فهو مرفوع مرسل وهناك شرط آخر ، وهو ألا يكون الصحابي أو التابعي معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، وإلا احتمل أن يكون من الإسرائيليات (نزهة النظر في شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر والتدريب للسيوطي ص ٦٣ ، ٦٤)

جمهور المحدثين إلى أن من كذب في حديث واحد فُسق ، وردت روايته ، وبطل الاحتجاج بها . وإن تاب وحسنت توبته ، ومن هؤلاء الأئمة : أحمد بن حنبل ، وأبو بكر الحميدي والصيرفي ، والسمعاني[1]

قال أبو بكر الصيرفي : « كل من أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله لتوبة تظهر » ، وقال أبو المظفر السمعاني : « من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه »

وخالف في ذلك الإمام النووي ، فقال : والمختار القطع بصحة توبته في هذا ، وقبول رواياته بعدها ، إذا صحت توبته بشروطها[2] والحق . أن ما ذهب إليه سوى قوى من جهة الاستدلال ، ولكن مذهب الجمهور أحوط للأحاديث ، وأبعد من الريبة في الرواية ومن ثم نرى . أن أئمة الحديث احتاطوا له غاية الاحتياط ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً

حكم رواية الموضوعات والإسرائيليات الباطلة

قال العلماء سلفا وخلفا : لا يحل روايه الحديث الموضوع في أي باب من الأبواب ، إلا مقترناً ببيان أنه موضوع مكذوب ، سواء في ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام ، أو الفضائل ، أو الترغيب والترهيب أو القصص والتواريخ[3] ومن رواه من غير بيان وضعه فقد باء بالإثم العظيم ، وحشر نفسه في عداد الكذابين ، والأصل في ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه ، بسنده ، أن رسول الله ـ ﷺ قال : « **من حدث عني بحديث يرى أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين** »[4] وفي حكم الموضوعات الإسرائيليات التي ألصقت بالنبي زوراً ، وكذباً عليه

---

(1) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٢٨

(2) صحيح مسلم شرح النووي ج ١ ص ٧٠

(3) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٠٩ والتدريب للسيوطي ص ٩٨

(4) روى « يُرى » بضم الياء بمعنى يظن ، وبفتح الياء بمعنى يعلم فيشمل الوعيد من علم أو ظن ورُوى « الكاذبَيْن » بصيغة المثنى ـ بفتح الباء وكسر النون ـ أي من وضعه ومن رواه ، لأنه مثله ، وبصيغة الجمع بكسر الباء وفتح النون أي صار في عدادهم وواحداً منهم لإشاعته الكذب على رسول الله ـ ﷺ ـ

تحذير من يروي الموضوع المكذوب

وقد حكم كثير من علماء الحديث وأئمته على من روى حديثاً موضوعاً من غير تنبيه إلى وضعه وتحذير الناس منه بالتعزير والتأديب . قال أبو العباس السراج : شهدت محمد بن إسماعيل البخاري ، ودفع إليه كتاب من ابن كرام يسأله عن أحاديث ، منها حديث الزهري عن سالم عن أبيه (١) مرفوعاً : « الإيمان لا يزيد ولا ينقص » . فكتب محمد بن إسماعيل على ظهر كتابه : « من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد ، والحبس الطويل » .

بل بالغ بعضهم ، فأحل دمه . قال يحيى بن معين - وهو من كبار أئمة الجرح والتعديل - لما ذكر له حديث سويد الأنباري : « من عشق ، وعف ، وكتم ، ثم مات - مات شهيداً » .

قال : هو حلال الدم (٢) !!

وقد سئل الإمام ابن حجر الهيتمي عن خطيب يرقى المنبر كل جمعة ، ويروي أحاديث ، ولم يبين مخرجيها ، ودرجتها . فقال :

« ما ذكره من الأحاديث في خطبه من غير أن يبين رواتها ، أو من ذكرها جائز ، بشرط أن يكون من أهل المعرفة بالحديث ، أو ينقلها من مؤلف صاحبه كذلك .

وأما الاعتماد في رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث ، أو في خطب ليس مؤلفها كذلك ، فلا يحل ومن فعل عزر عليه التعزير الشديد . وهذا حال أكثر الخطباء فإنهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها ، وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أن تلك الأحاديث أصلاً أم لا ، فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك » .

* * *

(١) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(٢) من المؤسف حقاً أن بعض أهل الفن والإعلام ، وبعض محترفي الكلام في الأخلاق لا يزالون يرددون هذا الحديث المكذوب ، فهل علموا مقالة يحيى بن معين في حل دمائهم ؟!

ما أشبه الليلة بالبارحة .

أقول : لا يزال بعض الخطباء ، ومقيمي الشعائر الدينية ممن ليس له علم بالحديث رواية ودراية ، ولا سيما من لم يتأهلوا التأهل اللازم لمن يتولى الإمامة والخطابة ، والذين لا يزالون يحفظون من الدواوين ، أو يعتمدون في خطبهم على الكتب التي لا يعتمد عليها في معرفة الأحاديث والتمييز بين صحيحها ، وضعيفها ، وموضوعها والذين جعلوا غايتهم استرضاء الجماهير ، فيذكرون لهم أحاديث في الترغيب والترهيب ، وحكايات وقصصاً مثيرة عجيبة ، أغلب الظن أنها من وضع القصاص ، وجهلة الزهاد الذين استباحوا ذلك ، وكان من همهم تملق الجماهير ، واستمالتهم بذكر المبالغات ، والتهاويل والمحالات ، والغرائب وما أجدر هذه الفئة بأن تحال بينها وبين الخطابة ، والوعظ ، والتذكير ، حتى لا يسمموا أفكار الناس ويمسخوا القيم الدينية والخلقية الصحيحة ، وتكون حجة على الإسلام لا حجة له . وأحب أن أقول لهؤلاء وأمثالهم . إن في الأحاديث الصحاح والحسان ، والقصص الثابت الصحيح غنية عن الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة والقصص المكذوب لمن يريد أن يرقق القلوب ويستولي على النفوس ، فليتق الله هؤلاء في الناس ، وفي أنفسهم .

ومن الحق في هذا المقام أن أقول أيضاً : إن الكثيرين من المدرسين الأزهريين والوعاظ ، والمرشدين ، والدعاة إلى الله ، والأئمة والخطباء المؤهلين تأهيلاً علمياً سليماً ، في الأزهر ، وجامعته والجامعات الإسلامية الأخرى لهم من علمهم ، ووعيهم الديني والثقافي وسعة اطلاعهم ما يعصمهم من الوقوع في رواية الموضوعات والقصص الباطلة ، والإسرائيليات الزائفة ، وتحري الصدق والحق في رواية الأحاديث ، وذكر الأقاصيص ، وأخذهم أنفسهم بالرجوع في ذلك إلى كتب العلماء الثقات الحفاظ للحديث ، أو الذين هم علم به ودراية ، وهو أثر من آثار النهضة العلمية الحديثة من يوم أن أنشئت الدراسات العليا التخصصية في كليات الجامع الأزهر الشريف ، عمره الله بالعلم والعلماء .

فقد كان من شعب هذه الدراسات : « شعبة التفسير والحديث » منذ ما يقرب من نصف قرن ، وقد أتى على هذه الشعب حين من الدهر كان الطلاب فيها يستوعبون كل ما كتب وألف في العلم الذي تخصصوا فيه ، وكذلك كان هناك تخصص في « الدعوة

والإرشاد ، ويا ليت هذه التخصصات تعود كما كانت مناهج ، ودراسة .

وكذلك كان من أسباب هذه النهضة الحديثة : إنشاء دور للحديث في مصر ، وفي الحجاز وغيرها من الأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً وظهور علماء في كل قطر إسلامي أحيوا دراسة الحديث وعلومه ؛ وإنا لنرجو أن يعود للحديث وعلومه سيرته الأولى ، ومجده الغابر فاللهم حقق .

متى نشأ الوضع في الحديث ؟ :

كان من أثر اتساع رقعة الإسلام : دخول كثير من أبناء الأمم المغلوبة فيه ومنهم الفارسي ، ومنهم الرومي ، ومنهم المصري ، ومنهم المخلص للإسلام ، ومنهم المنافق الذي يكن في نفسه الحقد على الإسلام ويتظاهر فيه ، ومنهم الزنديق الذي يسعى بشتى الوسائل لإفساده وتشكيك الناس فيه ، ومنهم اليهودي الذي لا يزال مشدوداً إلى يهوديته ، ومنهم النصراني الذي لا يزال يحن إلى نصرانيته .

وقد انتهز أعداء الإسلام من المنافقين ، والزنادقة ، واليهود فرصة السيد الحيي : عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ودماثة خلقه ، فدبروا المدور الأولى للفتنة ، فكان ابن سبأ اليهودي الخبيث يطوف في الأقاليم ، ويؤلب عليه الناس ، وقد أخفى هذه السموم التي كان ينفثها تحت ستار التشيع ، وحب سيدنا علي ، وآل البيت الكرام فصار يزعم أن علياً ـ رضي الله عنه ـ هو وصي النبي ، والأحق بالخلافة حق من أبي بكر ، وعمر ـ رضي الله عنهم ـ ، ووضع على النبي ـ ﷺ ـ حديثاً « لكل نبي وصي ، ووصيي علي » .

لم يقف الأمر عند حد هذه الدعوة ، بل ادعى ألوهيته ، وقد طارده سيدنا عثمان ، فهرب فلما كان عهد سيدنا علي طارده وأحل دمه ، فما كان يرضى بهذه الدعوات الخبيثة التي ينشرها هذا المخبط المختل على الإسلام والمسلمين .

ومما يؤسف له أن دعوته وجدت آذانا صاغية من بعض الأمة وبخاصة أهل مصر ، وقد نجح هذا اليهودي الماكر في إثارة الفتنة التي أطاحت برأس الخليفة الثالث : عثمان ـ رضي الله عنه ـ وما إن تولى الخلافة سيدنا علي حتى وجد تركة مثقلة بالخلافات ، فقد ناصبه أنصار عثمان العداوة من أول يوم ، واستفحلت الفتنة ، ووقعت حروب طاحنة ، فني فيها كثيرون من خيرة المسلمين ، وظهرت طائفة أخرى وهم الخوارج الذين لم يرتضوا

التحكيم بين علي، ومعاوية، وكانت النتيجة أن طاحت الفتنة بركن آخر من أركان الإسلام، وهو الخليفة الرابع، وأصبحت الأمة الإسلامية في فرقة واختلاف، ودب إليها داء الأمم قبلها. وتمخضت الفتنة عن شيعة[1] ينتصرون لسيدنا علي وعثمانية ينتصرون لسيدنا عثمان، وخوارج[2] يعادون الشيعة وغيرهم ومروانية ينتصرون لمعاوية وبني أمية وقد استباح بعض هؤلاء لأنفسهم أن يؤيدوا أهواءهم ومذاهبهم بالكذب، وليس ذلك إلا في الحديث بأنواعه من أحكام، وتفسير، وسير، وغيرها

وكان ذلك حوالي سنة أربعين للهجرة، وما زالت حركة الوضع تسير، وتتسع حتى دخل بسببها على الحديث بلاء غير قليل، وهذا العصر هو ما عرف بعصر صغار الصحابة وكبار التابعين

روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه بسنده عن طاوس، قال: جاء هذا إلى ابن عباس - يعني بُشير بن كعب - فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس: عُد لحديث كذا وكذا، فعاد له، ثم حدثه، فقال له: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له، فقال له: لا أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا، أم أنكرت حديثي كله، وعرفت هذا، فقال له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله - ﷺ - إذ لم يكن يُكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه.

وابن عباس توفي سنة ثمان وستين للهجرة

وروى بسنده عن مجاهد قال: جاء بُشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله - ﷺ - فجعل ابن عباس لا يأذن[3] لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس: ما لي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله -

---

(1) هم أنصار سيدنا علي ومن بعده من ولده ثم صارت هذه الطوائف متطرفة في الإسلام كالرافضة الذين رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر، وعمر، بل وكفروهما ومن أخف طوائف الشيعة وأقربهم إلى الإسلام الزيدية وهم يفضلون عليا على غيره، ولكنهم يجيزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

(2) هم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم بينه وبين معاوية وقالوا: لا حكم إلا لله، وقالوا بصحة خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان في سنيه الأولى ثم كفروه بعد، وبصحة خلافة علي قبل رضاه بالتحكيم، وهم من أصدق الطوائف في حديثهم، لا يكذبون عادة.

(3) أي لا يستمع

ﷺ ـ ولا نسمع ، فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله ـ ﷺ ـ ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف » .

وروى بسنده عن طاوس ، قال : « أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء علي ـ رضي الله عنه ـ فمحاه إلا قدر »[1] وأشار سفيان بن عيينة بذراعه وروى بسنده عن أبي إسحاق قال : « لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي ـ رضي الله عنه ـ قال رجل من أصحاب علي : قاتلهم الله ، أي علم أفسدوا » قال الإمام النووي : أشار بذلك إلى ما أدخلته الروافض ، والشيعة في علم علي ـ رضي الله عنه ـ وحديثه ، وتقولوه عليه من الأباطيل وأضافوه إليه من الروايات ، والأقاويل المفتعلة ، والمختلقة[2]

وذكر الإمام الذهبي في « التذكرة » عن خزيمة بن نصر ، قال . « سمعت علياً بصفين يقول : قاتلهم الله ، أي عصابة بيضاء سودوا وأي حديث من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ أفسدوا »[3] .

وروى الإمام مسلم بسنده ، عن سفيان بن عيينة ، قال سمعت رجلا سأل جابرا[4] عن قوله عز وجل : ﴿ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي . أو يحكم الله لي . وهو خير الحاكمين ﴾ فقال جابر : لم يجيء تأويل هذه ! ! قال سفيان : وكذب ، فقلنا لسفيان . وما أراد بهذا ؟ فقال : إن الرافضة تقول : إن علياً في السحاب ، فلا نخرج مع من خرج من ولده ، حتى ينادي مناد من السماء ـ يريد عليًّا ـ أنه ينادي : اخرجوا مع فلان .

يقول جابر : فذا تأويل هذه الآية ، وكذب ، كانت في إخوة يوسف ـ ﷺ ـ[5] وهذا لون من ألوان الدس ، والوضع في التفسير ، وسيأتي من ذلك أمثلة لا تحصى .

---

(١) أي قدر ذراع بدليل تفسير سفيان ، والظاهر أنه كان درجاً مستطيلاً .

(٢) صحيح مسلم بشرحه ج ١ من ص ٨٠ ـ ٨٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١ ترجمة سيدنا علي [ولعل مراده ما وضعه غيره في مدحه ، وما وضعه مخصوصه في ذمه]

(٤) ابن يزيد الجعفي الشيعي الغالي قال فيه الإمام أبو حنيفة : « ما رأيت أكذب من جابر الجعفي » والشيعة يعتبرونه من شيوخهم .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٠٢ .

وروى بسنده عن ابن سيرين[1] قال : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد . فلما وقعت الفتنة قالوا . سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة ، فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » وروى بسنده عن ابن المبارك قال : « بيننا وبين القوم القوائم » ، يعني الإسناد[2]

قال الإمام النووي : ومعنى هذا الكلام : إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه ، وإلا تركناه ، فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد ، كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم .

إلى غير ذلك من الروايات التي تدل على ظهور الوضع بعد عصر الفتنة ، وأن كبار أئمة الحديث ، والجرح والتعديل كانوا للحركة بالمرصاد

* * *

عرض سريع لحركة الوضع .

في عصر التابعين ومن جاء بعدهم ضعفت الحصانة التي كانت في العصر الأول وهي التثبت والتحري في الحديث ، فكثرت الرواية وانتشر الحديث . وفشا الكذب على رسول الله ـ ﷺ ـ وبعض صحابته ، وبعد أن كان الخلفاء الراشدون المهديون يدعون إلى التحوط ، والتثبت في المرويات . أضحى الأمراء والخلفاء في شغل عن ذلك بالملك والسياسة .

وقد اشتدت الخصومة بين الأحزاب السياسية ، وجاءت الدولة العباسية فتقرب إليها ضعفاء الإيمان بالاختلاق في فضائلها ، والحط من شأن أعدائها ، بل بلغ من بعضهم أنه كان يضع الأحاديث ، أو يتزيد فيها . إرضاء لما يهوى بعض الخلفاء ، وذلك كما حدث من أبي البَخْتري الكذاب : فقد دخل ـ وهو قاض ـ على الرشيد ، وهو يطير الحمام ، فقال له : هل تحفظ في هذا شيئاً ، فروى حديثاً : « أن النبي كان يطير الحمام » ، وقد أدرك الرشيد كذبه ، وزجره ، وقال : لولا أنك من قريش لعزلتك[3] !! وكما حدث من

---

(1) ابن سيرين ولد لسنتين من خلافة عثمان وتوفي سنة ١١٠ وهو من خيار التابعين

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٤ ، ٨٨

(3) ويالنه عزله ليزدجر ، ويرعوى غيره

غياث بن إبراهيم أنه دخل على المهدى وهو يلعب بالحمام ، فروى له حديث : « لاسبق إلا فى نصل أو حافر » أو جناح » ، فزاد « أو جناح » إرضاء للمهدى ، وقد روى أن المهدى قال له وهو خارج : أشهد أن قفاك قفا كذاب ، وأمر بذبح الحمام ، والكذب هو اللفظ الأخير فحسب ، أما أصل الحديث فثابت ، رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة

وكذلك كان لنشأة الفرق الكلامية وغيرها من أهل السنة ومعتزلة ، ومرجئة ، وجبرية ، وجهمية ، وكرامية و.. و.. أثر كبير فى إذكاء حركة الوضع ، فقد حاول ضعفاء الإيمان ، ورقاء الدين منهم أن يؤيدوا بعض مذاهبهم وآرائهم بالأحاديث ، وقد وضعت أحاديث فى نصرة بعض هذه المذاهب ، وفى الرد على بعضها الآخر ، بحيث لا يشك الناظر فيها أنها مختلقة موضوعة ، وذلك مثل ما روى « الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص » ، ومثل « الإيمان قول ، والعمل شرائعه لا يزيد ولا ينقص » ومثل : ما روى أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال وقد سئل عن الإيمان هل يزيد وينقص ، فقال « لا ، زيادته كفر ، ونقصانه شرك » ، وإن أصابع الإرجاء لتظهر واضحة فى مثل ما روى « كما لا ينفع مع الشرك شىء ، كذلك لا يضر مع الإيمان شىء » ، إلى غير ذلك من الأحاديث التى تظهر عليها آثار الصنعة والاختلاق[1] وكذلك كان للخلافات الفقهية أثر فى إذكاء حركة الوضع ، فوضعت أحاديث فى فضائل بعض الأئمة ، كما وضعت أحاديث أخرى فى ذم بعضهم ، وكذلك وضعت أحاديث فى الاستشهاد لبعض الفروع الفقهية ليس عليها شىء من نور النبوة ، وإنما أقرب إلى قواعد الأصوليين والفقهاء ، وكتب التخاريج لبعض كتب الفقه فيها من ذلك شىء غير قليل

وكذلك وجد القصاص وأمثالهم من جهلة المتصوفة الذين استجازوا وضع الأحاديث حسبة لله ـ تعالى ـ (وسنرد عليهم فيما يأتى إن شاء الله تعالى) ، وقد كان القصاص فى كل عصر سبب شر كثير

وكذلك جدت أحداث ساعدت على الوضع كفتنة خلق القرآن وكحركة الشعوبية[2] .

---

(1) اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للإمام السيوطى ج 1 ص ٢٢ وما بعدها
(2) الشعوبية : هم الذين يفضلون العجم على العرب ، وقد نشأت فى آخر العهد الأموى ، وقويت فى عهد الدولة العباسية

والتعصب للجنس، أو اللون، أو اللغة، أو المكان، فوضعت أحاديث في تكفير من قال خلق القرآن، وتفضيل العجم على العرب، وفي فضائل بعض الشعوب، وفي فضائل بعض الأقاليم والبلدان.

وقد استمرت حركة الوضع إلى عصور متأخرة، فابن الجوزي يذكر في كتبه ما كان من قصاص زمانه، وهذا هو: «رتن الهندي» يدعي الصحبة في المائة السادسة للهجرة[1]، ويضع الأحاديث المكذوبة والسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ يذكر ما ناله من بعض قصاص زمانه إذ أنكر عليه رواية أحاديث موضوعة يدعي أنه سمعها، والشيخ الكوى افندى يذكر أنه اطلع على رسالة في: «تحريم التنباك» وقد استدل فيها مؤلفها ببعض الأحاديث التي وضعها، مثل: «كل دخان حرام».

ومهما يكن من استمرار سوق الوضع قروناً فقد ناهضها العلماء ولاسيما أئمة الحديث وجهابذته، الذين ألفوا الكتب، ودونوا الدواوين، وميزوا فيها بين الصحيح والحسن، والضعيف، والموضوع وكذلك وضعوا في التنصيص على الأحاديث الموضوعة كتباً لا يحصيها العد، وكشفوا عن عوارها، وحذروا الناس من الاغترار بها، فجزاهم الله أعظم ما جزى علماء أمة.

(جـ) التفسير

التفسير لغة: مصدر فَسَّره بتشديد السين ـ مأخوذ من الفسر بمعنى البيان يقال فَسَرْت الكتاب بتخفيف السين ـ أفسره فسراً وفسّرته ـ بالتشديد ـ أفسره تفسيراً وقيل هو مقلوب من سفر بتقديم الفاء على السين ـ مثل الجذب، والجبذ ـ والمعنى واحد يقال أسفر الصبح إذا أضاء فهو بمعنى الكشف والتوضيح، وقيل: مأخوذ من التفسرة وهي: اسم لما يعرف به الطبيب المرض.

وأما في الاصطلاح: فقد اختلفت أساليب العلماء في تعريفه.

فمنهم من أطال في تعريفه فقال: هو علم نزول الآيات، وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها، ومدنيها وبيان محكمها، ومتشابهها، وناسخها،

---

(١) إقرأ ما كتب عنه في كتب الرجال تر العجب العجاب. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي و«لسان الميزان» للحافظ ابن حجر.

ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها، ومفسرها، وحلالها وحرامها ووعدها، ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها، وأمثالها ونحو ذلك[1]

ومنهم من توسع - كأبي حيان في البحر المحيط - فقال في تعريفه: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك. ثم أخذ في شرح تعريفه[2]

وهذا التعريف غير جلي، ولا واضح، وكذلك لم يصرح بالغرضين الأهمين اللذين نزل لهما القرآن وهما: كونه كتاب الهداية التي هي أوضح الهدايات، وأقومها، والتي لو تبعها البشر لحققت لهم السعادتين الدنيوية والأخروية

وكتاب اللسان المعجز، فهو معجزة المصطفى، والآية الكبرى الباقية على وجه الدهر لنبينا محمد - صلوات الله وسلامه عليه -.

وقال الزركشي في البرهان: التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد - ﷺ -، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ[3].

وهذا التعريف أوضح، وأيسر من التعريفين السابقين، وأدل على الغرضين الأهمين اللذين ذكرناهما آنفا.

ومن العلماء من أوجز في التعريف، فقال: هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله - تعالى - بقدر الطاقة البشرية[4].

ولو زيد في التعريف فأقول: ومن حيث كونه معجزة المصطفى نبينا محمد ﷺ.

والمراد بأحوال القرآن الكريم من حيث كونه كتاب الهداية الأقوم، وكتاب العربية الأكبر، والمعجزة الخالدة لنبينا محمد - ﷺ -

[ويدخل في ذلك كل ما يتوقف عليه معرفة ذلك من علم بأسباب النزول، ومناسبات

---

(1) الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٤ (2) البحر المحيط ج ١ مقدمة

(3) البرهان ج ١ بحث التفسير

(4) منهج الفرقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٦، ومناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ ص ٤٠٦ ط الأولى

آيات ، ومكي ومدني ، ومحكم ومتشابه ، والناسخ والمنسوخ وغيره]

وكل ما يحتاج إليه المفسر من العلوم فهي وسائل يحتمها حسن الغرض لا كبرى ، ثم إن المفسر حين يفسر القرآن الكريم سواء أكان التفسير بالمأثور ، أم بالاجتهاد والرأي المحمود – لا يمكنه الجزم والقطع بأن هذا مراد الله تماماً ، وتعالى – ومن ثم كان يحترز في التعريف « فقد احتاط بقوله « بحسب الطاقة البشرية » ، ولا يتأتى هذا القطع إلا من مرسل يوحى إليه من ربه ، وأما غيره فلا

والمناسبة بين هذه التعاريف الاصطلاحية ، والمعنى اللغوي لكلمة ظاهرة ، ولا سيما على المعنى اللغوي الأولين فإن شعارهما يدور على معنى الكشف ، والتوضيح والإظهار بعد الخفاء

وأما على المعنى الثالث فلأن المفسر كأنه يسبر معاني القرآن [1] ، ويكشف عن الآهاره ، ويحركه بمحاوره المعاني ، حتى يتضح له المراد

التأويل

التأويل لغة : أصله من الأول ، وهو الرجوع ، فكأن المؤول للآية رجع بها إلى ما تحتمله من المعاني

وقيل : أخذ من الإيالة وهي السياسة ، فكأن المؤول للكلام ساسه ، وتناوله بالمحاورة والمداورة حتى وصل إلى المراد منه

أما معناه في الاصطلاح : فقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام ، وطائفة من العلماء هما بمعنى ، وعلى هذا : فيعرف بما عرف به التفسير

وقد أنكر ذلك بعض العلماء ، من بينهم في الإنكار

وقال الراغب الأصفهاني في « مفرداته » : التفسير أعم من التأويل وأكثر استعمالاته في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل ، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية ، وأما التفسير فيستعمل فيها وفي غيرها

وقال غيره : التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً ، والتأويل ... وجه منها

(1) ... في الحديث ... ... لا ... علي ... ...

متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة

وقال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فهو تفسير بالرأي، وهو المنهي عنه. والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله]

وقال أبو طالب الثعلبي: التفسير: بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر، والتأويل: تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ تفسيره أنه من الرصد، يقال رصدته إذا رقبته، والمرصاد مفعال منه. وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه. [وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة]

وقال بعض العلماء: التفسير يتعلق بالرواية، أي التفسير بالمأثور، والتأويل يتعلق بالدراية أي التفسير بالرأي والاجتهاد[1]

ومهما يكن من شيء فقد شاع واشتهر أن التفسير أعم من أن يكون بالمأثور، أو بالرأي والاجتهاد، وأعم من أن يكون متعلقاً باللفظ أو بالمعنى، وقد أصبح في ذلك حقيقة عرفية، وهذا ما سأسير عليه في هذا الكتاب إن شاء الله ـ تعالى ـ

الحاجة إلى علم التفسير:

علم تفسير القرآن من العلوم المهمة التي يجب على الأمة تعلمها وقد أوجب الله على الأمة حفظ القرآن، وكذلك أوجب عليهم فهمه وتدبر معانيه، قال ـ تعالى ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2] وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3] وقال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[4] فقد دلت الآية الثانية على أنه أنزل للتدبر، وحثت الآيتان الأخريان على تدبره. وتدبر القرآن بدون فهم معانيه غير ممكن. وفهم معانيه إنما يكون بمعرفة تفسيره، فتفسير القرآن فرض على الأمة، ولكنه فرض كفائي تعني. إذا قام

(1) الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٣ (2) النساء ٨٢

(3) سورة ص ٢٩ (4) محمد ٢٤

به أهل العلم متأهلون به من الأمة الإسلامية سقط عن الباقين .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما خاطب كل قوم بما يفهمونه ، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه بلغتهم ، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، في وقت بلغ فيه العرب الغاية في الفصاحة والبلاغة وكانوا يعرفون ظواهره وأحكامه ، وأما دقائق معانيه وحقائق تأويله فإنما كان يظهر لهم بعد البحث ، والنظر ، والتأمل ، وما كان يخفى عليهم منه ، أو يشكل ، كانوا يسألون عنه النبي ـ ﷺ ـ ، وحينئذ كشف لهم لما نزل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (١) قالوا : وأينا لم يظلم ؟ ورجعوا إلى النبي ـ ﷺ ـ ، فبين لهم أن المراد بالظلم الشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) وكتبيينه لسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن المراد بالحساب اليسير في قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (٣) العرض أي استعراض الأعمال من غير مناقشة ، وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والخيط الأسود ، وظنه أن المراد الحقيقة ، حتى بين له النبي ـ ﷺ ـ أن المراد بالخيط الأبيض بياض النهار ، وبالخيط الأسود سواد الليل ، إلى غير ذلك مما خفي عليهم . ونحن محتاجون إلى مثل ما كانوا محتاجين إليه ، بل وزيادة على كثير مما كانوا محتاجين إليه ، لقصورنا عنهم في العلم باللغة ، وأساليبها ، والبلاغة وأسرارها ، والعلم بأسباب النزول ، والفقه في الدين ومعرفة الحلال والحرام ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه .

وقد بين لهم النبي معاني القرآن ، كما بين لهم ألفاظه قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤) ومن ثم حفظوا ألفاظه ، وفهموا معانيه ، وفقهوا أحكامه .

قال أبو عبد الرحمن السلمي (٥) : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ـ ﷺ ـ عشر آيات ، لم

---

(١) الأنعام ٨٢ (٢) لقمان ١٣ (٣) الانشقاق ٨ (٤) النحل ٤٤

(٥) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة ـ بضم الراء وفتح الباء وتشديد الياء المكسورة ـ السلمي ـ بضم السين ـ الكوفي التابعي الكبير .

يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن ، والعلم ، والعمل جميعاً ، وهذا النص يبين لنا منهج المسلمين الأوائل في موقفهم من القرآن ، وأنهم كانوا يجمعون بين حفظ العلم ، والعمل .

ولذلك كانوا يقضون مدة طويلة في حفظ السورة الواحدة وهذا هو السر في أن ابن عمر رضي الله عنهما أقام على حفظ البقرة ثماني سنين ، أخرجه مالك في الموطأ . وروي عن أنس ، قال : «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد[1] في أعيننا» رواه أحمد في مسنده[2] .

وكذلك جاء عن السلف الصالح - الصحابة في تفسيرهم ، فقد أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[3] قال في تفسير الحكمة : المعرفة بالقرآن ناسخه ، ومنسوخه ومحكمه ، ومتشابهه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وحلاله ، وحرامه ، وأمثاله .

وأخرج أيضاً عن أبي الدرداء في قوله ﴿ **يؤتي الحكمة** ﴾ قال : قراءة القرآن والفكرة فيه ، وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال : «ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني ، لأني سمعت الله يقول ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾[4] .

وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال : «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت ، وما أراد بها» .

فالواجب على الأمة الإسلامية حفظ القرآن ، وفهم معانيه ، ومعرفة تفسيره معرفة لا تشوبها الإسرائيليات ، ولا الموضوعات ، ولا الأباطيل ، والتزامه سلوكاً وعملاً من الأفراد والجماعات في كل شأن من شئون الحياة . وبذلك سعدوا وحققوا لهم العزة ، وعزتهم التي

---

(1) أي عظم وجل .
(2) رسالة في أصول التفسير ص ٦ .
(3) البقرة ٢٦٩ .
(4) العنكبوت ٤٣ .

بوه الله بها فى القرآن الكريم حيث قال ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] وأرضهم السليبة . وسلطانهم المرهوب فى الأرض .

التفسير من أشرف العلوم :

والعلم بالتفسير من أشرف العلوم الشرعية ، وأجلها . فالشيء إنما يشرف إما بشرف موضوعه وإما من جهة غايته والغرض منه . وإما من جهة الحاجة إليه

وموضوع علم التفسير هو : كلام الله ، أشرف الكلام . وأصدقه ، وهو أصل الدين ، ومنبع الصراط المستقيم وينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة

وغايته هى : الاعتصام بالعروة الوثقى . والوصول إلى السعادتين : الدنيوية والأخروية .

وأما شدة الحاجة إليه : فلأن كل كمال دينى أو دنيوى ، عاجل ، أو آجل ، مفتقر إلى العلوم الشرعية ، والمعارف الدينية وهى متوقفة على العلم بكتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ

العلوم التى لابد منها للمفسر :

وهاك ما قاله الإمام السيوطى فى الإتقان : مع زيادة التوضيح ، وحسن التصرف .

قال بعض العلماء : اختلف الناس فى تفسير القرآن : هل يجوز لكل أحد الخوض فيه ؟ فقال قوم . لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن . وإن كان عالماً ، أديباً . متسعاً فى معرفة الأدلة ، والفقه ، والنحو ، والأخبار ، والآثار وليس له إلا أن ينتهى إلى ما روى عن النبى ـ ﷺ ـ فى ذلك

ومنهم من قال : يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التى يحتاج المفسر إليها ، وهى خمسة عشر علما .

« أحدها : اللغة . لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع . قال مجاهد : « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله ، إذا

---

(١) المنافقون ٨

لم يكن عارفاً بلغات العرب». قال الإمام مالك: «لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً». أقول: والمراد أن العلم باللغة واسع، فالتعمق، ولا يكتفي باليسير منه. فقد يكون اللفظ مشتركاً، وهو يعلم أحد المعنيين، ويكون المراد الآخر. وكذلك العلم بالفروق اللغوية. والعلم باللغة نحوها وعلمها من الأسباب التي مكنت لابن عباس أن يكون حبر القرآن، ومن مدرسة مكة التي هي أصل مدارس التفسير.

ثانياً: النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره.

أخرج أبو عبيد عن الحسن أي البصري: أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟ فقال: حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها، فيهلك فيها.

أقول: ومن لم يعرف النحو ربما يقع في أخطاء فاحشة، قد تؤدي إلى الكفر. ومثال ذلك الرجل الذي قرأ قوله تعالى ﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ بجر رسوله، فكاد يقع في الكفر وهو لا يعلم فكان هذا من الأسباب الحاملة على وضع علم النحو.

ثالثاً: علم التصريف؛ لأن به تعرف أبنية الكلمات والصيغ قال ابن فارس: ومن فاته علمه فاته المعظم، لأن وجد مثلاً كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها، فإنها تستعمل في العثور على الدابة وفي الحصول على المطلوب، وفي الغضب، وفي الغنى، وفي الحب، وإنما تتميز بالمصادر. يقال: وجد ضالته وجداناً ـ بكسر الواو ـ، ومطلوبه وجوداً ـ بضمها ـ، وفي الغضب موجدة ـ بكسر الجيم ـ وفي الغنى وجداً بضم الواو، وفي الحب وجداً ـ بفتح الواو ـ[2]

وقال الزمخشري في تفسيره: من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام في قوله

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي ج ١٠ ص ٤٧

(٢) نقله ابن الصلاح في مقدمته ص ١٦٧ عن [illegible] ولا يخفى أن [illegible] على المصادر أن هذه المصادر ليست موضع اتفاق وهو الحق، كما يظهر ذلك من مراجعة القاموس ولسان العرب، [illegible] مراد هذا القائل أن ذلك هو الغالب والكثير في الاستعمال

تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [1] أنه جمع أم . وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم . قال : وهذا جهل أوجبه جهله بالتصريف . فإن أُمّاً لا تجمع على إمام . وصدق الزمخشري ـ رحمه الله ـ ، فهذا من بدع التفاسير حقاً .

« الرابع » : علم الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما ، كالمسيح [2] أهو من السياحة ، أو المسح . فمن الأول يسمى المسيح مسيحاً لكثرة سياحته ، وأما من الثاني ، فلأنه كان لا يمسح على ذي عاهة إلا برأ بإذن الله ـ تعالى ـ ومثل ذلك أيضاً النبي ، أهو من النبأ بمعنى الخبر ، فهو مخبِر ـ بكسر الباء ـ عن الله ، أو مخبَر ـ بفتح الباء ـ منه أو هو من النبوة بمعنى الرفعة ، وليس من شك في أن المعنى يتغير بتغير أصل الاشتقاق .

« الخامس ، والسادس ، والسابع » : علوم المعاني ، والبيان والبديع ؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام . وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسر . لأنه لا بد له من أن يعي ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم .

وقال السكاكي : اعلم أن شأن الإعجاز عجيب ، يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة ، ولا طريق لتحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا التمرن على علمي المعاني والبيان .

أقول . وتعلم البلاغة بالطريقة التي وضعها السكاكي وأمثاله ممن قعّدوا القواعد ، وطلسموها ، لا تكون ملكة ، ولا تربي ذوقاً ، وكثير ممن درس البلاغة على هذا النحو خاف لا يستطيع أن يكتب صحيفة ، أو يحبر مقالاً رائقاً مشرقاً ، يأخذ بمجامع القلوب ، ويستولي على النفوس ، فضلاً عن كتاب .

وإنما الذي يجدي في تكوين الملكة ، وتربية الذوق البلاغي ، وإرهاف الحس الأدبي ، هو ، مزاولة الجيد من القول ، والبليغ من كلام العرب نثراً ونظماً .

---

(1) الإسراء : ٧١ .

(2) فهو على الأول فعيل بمعنى فاعل ، وعلى الثاني فعيل بمعنى مفعول .

والمقارنة، والموازنة بين الأساليب، وطرق الأداء، وكثرة المدارسة والممارسة لكلام البلغاء والفصحاء، وهي طريقة الإمام عبد القاهر الجرجاني ومدرسته، وذلك كما صنع في كتابيه الجليلين: «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة»، حيث يسهل على المفسر لكتاب الله إدراك ما فيه من فصيح الكلام، وبديع المعاني وأسرار الإعجاز. ومن أحسن ما قاله ابن أبي الحديد في هذا، قال: اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح، والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة عليه، وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشربة حمرة، دقيقة الشفتين، نقية الثغر، كحلاء العين، أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة، والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن، لكنها أحلى في العيون والقلوب منها، ولا يدرى سبب ذلك، ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة، ولا يمكن تعليله، وهكذا الكلام!! نعم يبقى الفرق بين الوصفين: أن حسن الوجوه وملاحتها، وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة، وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق، وليس كل من اشتغل بالنحو، واللغة، والفقه، يكون من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل، والخطب، والكتابة، والشعر، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فإلى هؤلاء ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض.

وقال الزمخشري: من حق مفسر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليمًا من القادح.

أقول: والزمخشري من خير - إن لم يكن خير - من له في تدوين إعجاز القرآن باع طويل، وخير من أفصح عن أسرار إعجاز القرآن الكريم بطريقة العرب الفصحاء البلغاء، لا بطريقة أهل الفلسفة والكلام.

«الثامن»: علم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

«التاسع»: علم أصول الدين، ليعرف، وهو مفسر القرآن ما يجب لله وما يستحيل عليه، وما يجوز له، وليعرف الفرق بين العقائد والشرائع، وما هو من أصول الدين، وما هو من فروعه.

«العاشر»: علم أصول الفقه، لأن به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام، وطريقة استنباطها من النصوص.

«الحادي عشر»: علم أسباب النزول، وعلم القصص والأخبار، لأن بمعرفة سبب النزول يعرف معنى المراد من الآية، كما أنه يزيل الإشكال عن بعضها، ويبين حكمة الله في التشريع، وبعلم القصص يعلم ما هو من الإسرائيليات التي دست في الرواية الإسلامية، وما ليس منها وما هو حق، وما هو باطل.

«الثاني عشر»: علم الناسخ والمنسوخ، وهو مهم للمفسر، وإلا وقع في خطأ كبير.

«الثالث عشر»: علم الفقه إذ به يعرف مذاهب الفقهاء، ومن احتج منهم بالآية ومن لم يحتج بها، وطريقة كل منهم في فهم الآية والأخذ بها، أو الإجابة عنها.

«الرابع عشر»: علم الأحاديث والسنن والآثار المبينة لتفصيل المجمل، وتوضيح المبهم، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، إلى غير ذلك من وجوه بيان السنة للقرآن.

«الخامس عشر»: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث النبي ﷺ: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم». قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن، وما يستنبط منه بحر لا ساحل له.

فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها فمن فسر القرآن بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه، والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ.

قال الإمام السيوطي: ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق إلى تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل، والزهد.

قال الزركشي في البرهان: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو حب للدنيا، أو وهو مصر على ذنب، أو

(١) [illegible]

غير متحقق بالإيمان ، أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، أو راجع إلى معقوله ، وهذه كلها حجب ، وموانع بعضها آكد من بعض .

قال السيوطي : ويدل على هذا المعنى : قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[1] قال سفيان بن عيينة . يقول : « أنزع عنهم فهم القرآن » أخرجه ابن أبي حاتم[2] .

أقول : وعلم الموهبة ثمرة من ثمرات التقوى ، والتقوى لها معنيان : معنى نفسي وهو : خشية الله ومراقبته في السر والعلن ، وهذا هو ما أراده النبي ـ ﷺ ـ حينما قال « التقوى ههنا » ثلاثا ، وأشار إلى صدره ، رواه مسلم ، ومعنى ظاهري ، وهو : الاستقامة على الدين ، وذلك بامتثال المأمورات ، واجتناب المنهيات ، وقد تسمو بصاحبها ، فتصل به إلى حد فعل النوافل والمستحبات أيضاً ، واتباع مكارم الأخلاق ، وتوقي الشبهات ، خشية الوقوع في المآثم والمحرمات ، والتقوى بمعنييها لا بد منها لمن يتصدى لشرح كتاب الله ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾[3] أي معنى في القلب يفرق به بين الحق والباطل .

وليتمثل المفسر لكتاب الله أنه يفسر كلاماً لا ككلام الناس ، وأنه قائم بين يدي الله الواحد ، الأحد ، الجبار ، الكبير ، المتعال ، المنتقم وأن أي تقصير ، أو تساهل فيه يعتبر كذباً على الله ، وافتراء عليه .

وسلوا بطانات الملوك ، والرؤساء ، والأمراء ، والوزراء ينبئوكم بأن الواحد منهم محسوب عليه كل كلمة ، بل كل حرف ينطق به ومؤاخذ على كل ما يصدر منه مهما قل ، وأن كلمة يقولها ، ربما تطيح بعنقه ، أو تقصيه عن منصبه ، فما بالكم بمن يفسر كلام رب الأرباب وملك الملوك ؟! ويقول : مراد الله كذا ، أو عنى الله كذا ؟!

وهذا هو السر في أن بعض كبار الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم كان يتحرج غاية

---

(1) الأعراف ١٤٦ .
(2) الإتقان ج ٢ ص ١٨٠ ـ ١٨٢ .
(3) الأنفال ٢٩ وفرقانا : مصدر كالرجحان والغفران .

لتخرج ، من القول في تفسير القرآن الكريم ، بما كانوا عليه من العلم الغزير ، والعمل المستنير ، والقلب المستضيء .

علوم أخرى لابد منها للمفسر:

وقد جاء الأستاذ الإمام ، الشيخ محمد عبده - فزاد هو وتلميذه السيد محمد رشيد رضا بعض العلوم الأخرى ، كالعلم بتاريخ البشر ، وعلم السيرة والعلوم الكونية ، وقد رددت - وفقه الخمسة والستة - كي زاد عليها بعض العلوم ، وها أنذا أجمل ذلك فيما يأتي .

١ - أن يكون عالما بالأحاديث الصحيحة ، وحسنها ، وضعيفها ولئن عز ذلك في عصرنا هذا فليكن وقفه على ما قاله العلماء ، وجمعه الأئمة فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم ، وبيان فضائل آياته وسوره ولو أن المفسرين جميعهم كانوا من حفاظ الحديث ونقاده مميزين لغثه من سمينه ، وأئمة الذين جمعوا بين الرواية والدراية ، لما وقع في كتب التفسير كل هذا القدر ، من الإسرائيليات ، والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ولما عانى المسلمون ما يعانونه اليوم من الآثار السيئة ، التي ترتبت على وجود هذه الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .

٢ - أن يكون عالماً بالسير ، ولاسيما سيرة النبي - ﷺ - وسير أصحابه الشلاء - رضوان الله عليهم - وعالما بالتواريخ ، وأحوال الأمم الماضية ، ولاسيما تاريخ الأنبياء السابقين ، والملوك الغابرين ، فإن ذلك يعين المفسر على إصابة وجه الحق والصواب .

[من القرآن كثير من الآيات لا يمكن تفسيرها إلا لعالم بالسير كالآيات المتعلقة ببدر وأحد والخندق والحديبية والفتح وتبوك ، وكثير من الآيات المتعلقة بقصص الماضين وأولياء الله الصالحين والملوك الغابرين لا يمكن تفسيرها إلا بمعرفة التاريخ وذلك كقصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وقصة الخضر مع موسى عليه الصلاة والسلام]

٣ - أن يكون على علم بعلم الاجتماع البشري ، وعلم النفس ، فإن هذين العلمين يعينان المفسر على فهم المراد من بعض الآيات ، وتفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً ، والكشف عما فيها من أسرار اجتماعية ، ونفسية ، وقارىء التفسير اليوم تستهويه التفاسير المدعمة بالمباحث النفسية والاجتماعية .

وكيف يتأتى للمفسر الذي يجهل قواعد هذين العلمين الصحيحة أن يفسر هذه الآيات

وأمثالها . كقوله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ . وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (1) وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (2) وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (3) وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (4) وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (5) إلى نحو ذلك من الآيات

٤ – أن يكون على علم بتاريخ الأديان السماوية السابقة . كاليهودية والنصرانية ، وما دخلها من تحريف وتبديل . حتى يستطيع أن يفسر مثل قوله تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (6) وبالمذاهب الدينية غير السماوية كالبرهمية ، والبوذية ، والمزدكية ، والمانوية ونحوها وبذلك يستطيع المفسر أن يصل إلى الحق والصواب حينما يعرض للآيات التي جادلت أهل الكتاب . ولاسيما النصارى في عقيدة التثليث والصلب والفداء . وكيف تأثروا في هاتين العقيدتين بالديانات والنحل القديمة وإلى ذلك أشار الله – تبارك وتعالى – في قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (7)

فإذا كان من يتعرض لتفسير كتاب الله على علم بهذه العلوم كلها – ما ذكره الإمام السيوطي وغيره . وما ذكرناه . فقد استأهل أن يفسر القرآن الكريم . وإلا فليريح نفسه . وليريحنا معه . ولا يخبط في كتاب الله خبط عشواء (8)

---

(1) البقرة : ٢١٣ (2) هود : ١١٨ ، ١١٩ (3) الرعد ١١ (4) آل عمران : ١١٩
(5) محمد ٣٠ (6) المائدة ٤١ (7) التوبة ٣٠

(8) هذا الفصل وما بعده من بحوث من لاحقة الكتاب . ولابد من ذكرها لمن للمفسر لأنه معين على معرفة الحق من الباطل . والإسرائيليات من غيرها . والموضوع من غيره . والمقبول من المردود

ما يجوز الخوض في تفسيره وما لا يجوز

من التفسير ما هو ظاهر واضح، يعلمه العالم باللسان العربي، ومنه ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما لا يجوز التكلم فيه إلا للعلماء الراسخين في العلم، ومنه ما لا يجوز الاشتغال به، لأنه مما استأثر الله بعلمه، فلا يخرج منه الباحث بطائل.

وقد أُثرت عن الصحابي الجليل حبر القرآن ابن عباس - رضي الله عنهما - مقالة في هذا، يستحسن أن نذكرها، فقد أخرج ابن جرير وغيره من طرق، عن ابن عباس، قال: «التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله - تعالى -» ثم رواه مرفوعاً[1] بسند ضعيف، بلفظ: «أنزل القرآن على أربعة أحرف (أي أوجه): حلال، وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله - تعالى - ومن ادعى علمه سوى الله - تعالى - فهو كاذب» وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب[2] وقد صح لنا كلمة ابن عباس. وشرحها الإمام الزركشي في البرهان فقال:

هذا تقسيم صحيح. فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك: اللغة والإعراب، فعلى المفسر معرفة معانيها، ومسميات أسمائها، ولا يلزم ذلك القارئ. ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم، كفى فيه خبر الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان يوجب العلم لم يكتف بذلك، بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر شواهده من الشعر، وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلا للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلمه، ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم ويسلم القارئ من اللحن، وإن لم يكن محيلا للمعنى وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن، ولا يجب على المفسر لوصوله إلى المقصود بدونه[3]

وأما ما لا يعذر أحد بجهله فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص

---

(1) المرفوع: ما نسب إلى النبي - ﷺ - من قول، أو فعل، أو تقرير أو وصف خلق أو خلق

(2) تفسير ابن كثير والبغوي ج 1 ص 15 ط المنار

(3) مثال ذلك من قوله تعالى [illegible] فالإعراب [illegible] لا يغير المعنى [illegible]
لا يحتمل تكون يرجع لازما للقارئ، وهو قراءة القرآن بغير لحن

المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً يعلم أنه مراد الله تعالى. فهذا القسم لا يلتبس تأويله، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(١) وأنه لا شريك له في الإلهية، وإن لم يعلم أن «لا» موضوعة في اللغة للنفي، و«إلا» للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر. ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ونحوه، طلب إيجاب المأمور به، وإن لم يعلم أن صيغة «افعل» للوجوب. فما كان من هذا القسم لا يعذر أحد يدعي الجهل بمعاني ألفاظه، لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة.

وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة قيام الساعة، وتفسير الروح، والحروف المقطعة في أوائل السور(٢)، وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق. فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث، أو إجماع الأمة، على تأويله.

وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم، فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، فإن كان أحد المعنيين أظهر، وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي، وإن استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية، وفي الآخر شرعية، فالحمل على الشرعية أولى(٣)، إلا إن دل دليل على إرادة الحقيقة اللغوية، كما في قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾(٤)، ولو كان في أحدهما حقيقة عرفية، وفي الآخر لغوية، فالحمل على العرفية أولى(٥)، وإن اتفقا في ذلك أيضاً، وإن تنافى اجتماعهما، ولم يمكن إرادتهما باللفظ

---

(١) محمد ١٩ (٢) سبق الخلاف [illegible] وجوهه

(٣) وذلك مثل لفظ الصلاة والزكاة فإن الصلاة معناها في اللغة الدعاء، والزكاة معناها النماء والطهارة، لكن لها معنى شرعي وهو في الصلاة الأقوال والأفعال المبتدأة بالتكبير المختتمة بالتسليم، والزكاة إخراج جزء من المال بشروطه المقررة وصرفه في مصارف الزكاة، فكلاهما عند الإطلاق ينصرفان إلى المعنى الشرعي

(٤) أي ادع لهم وهذا [illegible] لأن الزكاة تؤخذ منهم وصرفها لمستحقيها

(٥) وذلك مثل لفظ المسجد، فإن معناه لغويا وهو مكان السجود، ومعنى عرفيا وهو المكان المخصص للعبادة فلفظ المسجد ينصرف عند الإطلاق إلى الحقيقة العرفية

الواحد ، كالقرء للحيض ، والطهر ، اجتهد في المراد منها بالأمارات الدالة عليه ، فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه ، وإن لم يظهر له شيء : فهل يتخير في الحمل على أيهما شاء ، أو يأخذ بالأغلظ حكماً ، أو بالأخف ؟ أقوال ، وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز ، والفصاحة ، إلا إن دل دليل على إرادة أحدهما[1] . وقال ابن النقيب : علم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام

« الأول » : علم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه ، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ، وغيوبه التي لا يعلمها إلا هو ، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعا

« الثاني » : ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب ، واختصه به وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له ـ ﷺ ـ ، أو لمن أذن له ، وأوائل السور من هذا القسم ، وقيل من القسم الأول

« الثالث » : علوم علمها الله نبيه ، مما أودع في كتابه من المعاني الجلية والخفية ، وأمر بتعليمها ، وهذا ينقسم إلى قسمين :

١ ـ منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع ، وهو أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات ، وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث ، وأمور الحشر ، والمعاد .

٢ ـ ومنه ما يؤخذ بطريق النظر ، والاستدلال ، والاستخراج من الألفاظ وهو قسمان :

١ ـ قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهة في الصفات[2]

---

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٢

(٢) الآيات المتشابهة مثل « الرحمن على العرش استوى » ، « وجاء ربك » ، « ويبقى وجه ربك » ، « يد الله فوق أيديهم » والعلماء في هذا على فريقين : السلف وهؤلاء يؤمنون بالآيات المتشابهة كما وردت من غير تأويل ولا تشبيه ، ولا تكييف مع اعتقاد تنزيه الله عن ظواهرها المعروفة لنا ، والخلف : هؤلاء أولوا هذه الآيات على حسب المعروف من اللغة ، وقواعد الشرع ، والعقل ، والأول هو الذي كان عليه النبي ـ ﷺ ـ والصحابة ، والتابعون والسلف وقد قالوا : إن مذهب السلف أحكم ، ومذهب الخلف أسلم ، فلنكن على ما كان عليه السلف ـ رضوان الله عليهم ـ .

٢ ـ وقسم اتفقوا عليه وهو : استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية [١] لأن مبناها على الأقيسة ، وكذلك فنون البلاغة ، وضروب المواعظ والحكم والإشارات لا يمتنع [٢] استنباطها منه ، واستخراجها لمن له أهلية

وروى عن الإمام الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله ـ ﷺ ـ أو خبر عن أحد من أصحابه ، أو بإجماع العلماء ، ومن هذه النصوص الجيدة التي تدل على العمق في البحث ، والأصالة في الرأي ، والدقة في التفكير نعلم أن من القرآن ما لا يجوز الخوض فيه قط ، وأن منه ما الأولى عدم الخوض فيه ، لأنه لا يؤدي إلى أمر تركن إليه النفس ، ويطمئن إليه القلب ، وأن هذه ودائع لم يرد فيه عن المعصوم ـ ﷺ ـ روايات صحيحة ثابتة ، وإنما الكثرة الكاثرة منها روايات ضعيفة أو واهية أو مكذوبة مختلقة .[٣]

وما ورد فيها عن الصحابة والتابعين فمعظمه لم يصح عنهم ، لأنهم ما كانوا يخوضون في مثل هذا والكثير منه من قبيل الإسرائيليات والأخبار الباطلة التي تلقوها عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأخذت في ظاهر الأمر شكل الرواية الإسلامية ، وما هي منها في شيء .

* * *

(١) أي استنباط وأخذ القواعد النحوية ، فإن القرآن الكريم هو أوثق المصادر التي يعتمد عليها في إثبات اللغة ، وقواعد النحو

(٢) التعبير بلا يمتنع غير دقيق ، فإن القرآن هو أصل الفصاحة والبلاغة ، والبيان المعجز ، هو المصدر الأول الذي عرفت منه فنون البلاغة ، والفصاحة ، والأساليب المحكمة الجزلة نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين

(٣) الاتقان ج ٢ ص ١٨٢ ، ١٨٣

أقسام التفسير

التفسير المعتد به عند جمهور العلماء سلفا وخلفا ينقسم إلى قسمين:

الأول: التفسير بالمأثور.

الثاني: التفسير بالرأي السديد، والاجتهاد الصحيح المبني على العلوم والمعارف التي سبق ذكرها آنفا.

وكتب التفسير بالمأثور منها ما هو خالص فيه، ومنها ما فيه زيادة توجيه الأقوال والآراء، وكتب التفسير بالرأي والاجتهاد لا ينفك عن المأثور في الجملة أيا كانت ألوانه ونزعاته.

ولم نقف على تفسير بالاجتهاد خلا عن المأثور قط.

ولذلك رأيت التعريف بكلا القسمين، وأشهر الكتب المؤلفة فيهما، حتى يكون القارئ على بينة من كتب هذا العلم، ثم نعرض لبيان ما فيها من موضوع، وإسرائيليات، فأقول وبالله التوفيق.

- ١ -

التفسير بالمأثور

المأثور[١]: اسم مفعول من أثرت الحديث أثرا من باب قتل نقلته والأثر بفتحتين اسم منه، وحديث مأثور أي منقول.

فالتفسير بالمأثور أي المنقول، سواء أكان متواترا أم غير متواتر.

وعلى هذا: يشمل المنقول عن الله - تبارك وتعالى - في القرآن الكريم والمنقول عن

---

(١) المصباح المنير مادة أثر.

النبي ـ ﷺ ـ والمنقول عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والمنقول عن التابعين ـ رحمهم الله ـ وعلى هذه الأنواع الأربعة يدور التفسير بالمأثور

* * *

(أ) تفسير القرآن بالقرآن :

هو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه ، فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً . فما أجمل في مكان قد فسر وبين في مكان آخر ، وما أوجز في موضع قد بسط وبين في مكان آخر ، ولذلك أمثلة .

أمثلة من تفسير القرآن بالقرآن :

قوله تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾

فقد فسر المنعم عليهم بقوله ـ سبحانه : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[1]

وقوله تعالى : ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[2] فقد فسرت الكلمات في آية أخرى ، قال تعالى : ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[3] وقد روى هذا عن كثير من التابعين[4] .

وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** ﴾[5] .

فقد فسر قوله : ﴿ **إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ** ﴾ بقوله بعد : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ**

---

(١) النساء : ٦٩ .

(٢) البقرة : ٣٧

(٣) الأعراف : ٢٣

(٤) تفسير ابن كثير والبغوي جـ ١ ص ١٤٦ ، ١٤٧

(٥) المائدة : ١

وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾[1]

وقوله تعالى ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ فقد فسر بما بعده ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ ، فقد فسر بما بعده ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾[3] إلى غير ذلك.

(ب) تفسير القرآن بالسنة :

فإن لم نجد تفسيرا للقرآن في القرآن ، فلنبحث عما ثبت وصح في السنة والأحاديث ، فإنها شارحة للقرآن ، ومبينة له . قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] وقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[5]

وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته[6] يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم[8] بمثل قراه » . رواه أبو داود في سننه .

قال الإمام الخطابي - رحمه الله - قوله ﷺ « أوتيت الكتاب ومثله معه » [illegible]

---

(1) المائدة 3 (2) الواقعة 7 - 11 (3) المعارج 19 - 21

(4) النحل 44 (5) الجمعة 2 (6) [illegible]

(7) المراد أنه من أهل الترفه والدعة الذين لزموا البيوت وقعدوا عن طلب العلم من مظانه

(8) روي مشددا ومخففا من المعاقبة أن يأخذ من أموالهم بقدر قراه [illegible] الإسلام

وجهين: أحدهما: أن معناه: أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو.

والثاني: أنه أوتي الكتاب وحياً يتلى، وأوتي من البيان مثله، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، فيعم ويخص، ويزيد عليه، ويشرح ما في الكتاب، فيكون في وجوب العمل به، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن.

وقوله: يوشك رجل ... يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التي سنها مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب، فتحيروا، وضلوا(1).

وفي حديث معاذ حين بعثه رسول الله ـ ﷺ ـ إلى اليمن قال له: «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال أجتهد رأيي، ولا آلو. أي لا أقصر، فضرب رسول الله ـ ﷺ ـ في صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله».

قال ابن كثير في تفسيره(2): وهذا الحديث في المسند والسنن بإسناد جيد.

وورد من الآثار عن الصحابي الجليل عمران بن حصين: أنه قال لرجل سأله عن شيء وطلب منه أن يجيبه بالقرآن: «إنك رجل أحمق، أتجد الظهر في كتاب الله أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة، ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسراً؟! إن كتاب الله أبهم هذا، وإن السنة تفسر هذا». وقال مكحول: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن. وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إن السنة تفسر الكتاب وتبينه»(3).

وهذا النوع من التفسير المنقول عن النبي ـ ﷺ ـ هو بحر زاخر العلم. ويجب الاعتماد في هذا النوع على الأحاديث الصحيحة، والحسان، وتجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

---

(1) تفسير القرطبي جـ 1 ص 38

(2) تفسير ابن كثير [illegible] ص 6 [illegible]

(3) [illegible] ص 9

فقد حفظ عن النبي في تفسير القرآن كما حفظ عنه في غيره.

وقد قال الزركشي في البرهان: إنه قد صح من ذلك كثير.

ورد عليه السيوطي في الإتقان، فقال: «الذي صح من ذلك قليل جداً، بل أصل المرفوع في غاية القلة، وسأسردها في آخر الكتاب، إن شاء الله تعالى»(1).

والحق أني لا أوافق السيوطي على مقالته، وهي أن ما صح في التفسير عن النبي قليل جداً. ولعل مراده القلة النسبية، أي بالنسبة إلى ما ورد عن الصحابة والتابعين. وإلا فقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه في ذلك كتاباً كبيراً، وهو «كتاب التفسير»، استغرق نحو جزء من ثلاثة عشر جزءاً من أجزاء الإمام الحافظ ابن حجر في شرحه «فتح الباري».

وليس أدل على ما ذهبت إليه مما ذكره الحافظ بعد ما فرغ من شرح «كتاب التفسير»، قال بعد عده: «اشتمل كتاب التفسير على خمسمائة حديث، وثمانية وأربعين حديثاً، من الأحاديث المرفوعة، وما في حكمها، الموصول من ذلك أربعمائة حديث وخمسة وستون حديثاً، والبقية معلق(2)، وما في معناه. المكرر من ذلك فيه وفيما مضى أربعمائة وثمانية وأربعون حديثاً. والخالص منها ... من غير تكرر مائة حديث وحديث. وافقه مسلم على تخريج بعضها، ولم يخرج أكثرها، لكونها ليست ظاهرة الرفع. والكثير منها من تفاسير ابن عباس – رضي الله عنهما –، وهي ستة وستون حديثاً. وفيه من الآثار(3) عن الصحابة فمن بعدهم خمسمائة وثمانون أثراً»(4). وهذا يدل على أن ما صح في التفسير مرفوع غير قليل.

* * *

السبب في أن الصحابة لم ينقلوا عن النبي كل التفسير

وليس من شك في أن النبي – ﷺ – بين القرآن كله للصحابة، ولاسيما ما أشكل

---

(1) الإتقان جـ 2 ص 178، 179.

(2) المعلق في اصطلاح علماء ...: ما حذف من مبتدأ إسناده راو أو أكثر. والمراد مبدأ السند من جهة الراوي، وذلك مثل قول البخاري: وقال مجاهد كذا، وقال ابن عباس كذا.

(3) أي الموقوفة على الصحابة. (4) فتح الباري جـ 8 ص 604، 605.

عليهم ، أو خفي عليهم المراد منه . ولكن لم ينقل إلينا عنه ـ ﷺ ـ كل ما يتعلق بآيات القرآن ونقل السبب في هذا أنهم كانوا لفهمهم الكثير من آياته بمقتضى فطرتهم العربية ، وعلمهم بأسباب نزوله ، أو لا حاجة لنقل كل ما يتعلق بتفسير القرآن . فلما سبق أن من أتى بعدهم فهو مثلهم ، أو بدايتهم وأيضاً لاشتغالهم بالجهاد ، وبالفتوحات ونشر الإسلام لم يدع لهم وقتاً للتفرغ للعلم وروايته .

* * *

السبب في أن ما نقل عن النبي في التفسير أقل مما نقل في الأحكام

وقد كان من حكمة الله البالغة أن ما نقل عن النبي في تفسير القرآن ولا سيما فيما يتعلق بنشأة الكون ، وأسرار الوجود ، والآيات الكونية والنفسية ـ أقل مما نقل في الأحكام . وذلك لأن الأحكام الشرعية ثابتة دائمة لا تتغير بتغير الأزمان والعصور . أما الآيات الكونية والآفاقية والنفسية فهي مجال للنظر ، والتفكر ، والتدبر ، ويختلف إدراكها والاستفادة منها بتغير العقول ، والفهوم ، وتتطور بتطور الأزمان والأجيال ، وهي عرضة للتقدم العلمي . فمن ثم كان موقف القرآن منها موقف الداعي إلى التفكر والتدبر ، والملاحظة والتجربة ، والاستفادة مما أودعه الله فيها من أسرار ، وخصائص ، وسنن . وبذلك فتح القرآن للعقول أبواب التقدم العلمي على مصاريعها حتى بلغ هذا التقدم إلى ما نرى ، وقد صيغت هذه الآيات الكونية والنفسية صياغة في غاية المرونة[1] فمن ثم صلحت لكل زمان ومكان . وذلك سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم .

وكذلك كان موقف النبي ـ ﷺ ـ من هذه الآيات الكونية : الحث على البحث فيها والتفكر ، والتدبر ، والتنبيه إلى فوائدها دون الإخبار عن حقائقها وأسبابها . ولم يصح عن النبي ـ ﷺ ـ في التفصيل في الآيات الكونية كالسماوات ، وجوهرها وما تحتها ، ومقدار ما بين كل سماء والأخرى ، إلا شيء قليل جداً . وغالب ما ورد في ذلك لم يصح ، ولم يثبت عنه

---

(1) في القاموس المحيط : مرن مرانة ، ومرونة لان في صلابة ، وهذا ما أردته من مرونة الألفاظ القرآنية

ولما سئل ﷺ عن الهلال لم يبدو دقيقاً ، ثم يزيد ، حتى يمتلىء نوراً أي يصير بدراً ، ثم يعود دقيقاً كما كان (١) نزل القرآن منبهاً إلى الفائدة دون الإجابة عن الحقيقة العلمية مع أنها محط السؤال قال عز من قائل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (٢) والله سبحانه وتعالى ـ وهو خالق الكون : علويه وسفليه ، ومدبره ، والعليم بكل أسراره كان يعلم الحقيقة العلمية ولا ريب ، وكان من الممكن اليسير أن يعلمها لنبيه ـ ﷺ ـ ليجيب بها ، أو لعله أعلمه بها ، ولكن جاء القرآن على هذا الأسلوب الحكيم بالتنبيه إلى الفائدة والغاية من هذا رحمة بالناس ، ورفقاً بعقولهم فليست كل العقول كانت متهيئة في هذا الزمن البعيد لتقبل الحقيقة العلمية ، وقد يكون لبعضهم فتنة ، ومن ثم ترك ذلك إلى العقول ، لتصل إلى الحقيقة بعلمها ، وجدها ، وبحثها ، والعالم في تقدمه مدين لهذا المنهج القرآني ، فهو الذي فتح للبشرية آفاق العلم ، والمعرفة ، وقد كان ـ ﷺ ـ يخاطب الناس على قدر عقولهم ، واستعداداتهم ، وبه في ذلك السياسة الحكيمة ، والتوجيهات الرشيدة ، وفي الأثر الصحيح عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » رواه مسلم في مقدمة الصحيح . وروى البخاري في صحيحه تعليقاً عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال : « حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله »

حديث منكر غريب :

ومهما يكن من شيء : فقد فسر النبي ـ ﷺ ـ للصحابة جل القرآن ، إن لم يكن كله ، وأما الحديث الذي رواه ابن جرير الطبري بسنده عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : « ما كان النبي ـ ﷺ ـ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد ، علمهن إياه جبريل ـ عليه السلام » فإنه حديث منكر غريب ، لأن جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري قال فيه البخاري : لا يتابع في حديثه ، وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي : منكر الحديث (٣) .

وقد تكلم عليه الإمام ابن جرير بما حاصله : أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوي جـ ١ ص ٤٣٠ (٢) البقرة ١٨٩

(٣) تفسير ابن كثير والبغوي جـ ١ ص ١٥

عن الله تعالى ما وقته عليها جبريل ، وهذا تأويل مقبول لو صح الحديث ، ولكنه لم يصح .

أمثلة لتفسير القرآن بالسنة :

من ذلك : تفسير المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى ، في سورة الفاتحة ، أخرج أحمد ، والترمذي ، وحسنه ، وابن حبان في صحيحه ، عن عدي بن حاتم ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إن المغضوب عليهم هم اليهود ، وإن الضالين هم النصارى** » ويؤيد هذا التفسير ، قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [1] فإن المراد بهم : اليهود[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [3] وقد حمل النبي ـ ﷺ ـ اليهود عموماً على كل من فسدت إرادتهم ، فعلموا الحق ، وعدلوا عنه والنصارى عموماً على الذين فقدوا العلم ، فأخطأوا الوصول إلى الحق ، فهم هائمون في الضلالة ، لا يهتدون إلى الحق .

ومن ذلك تفسير الظلم في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [4] روى أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ شق ذلك على الصحابة ، فقالوا : يارسول الله وأينا لا يظلم نفسه ؟ قال : « إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [5] ، إنما هو الشرك » .

ومن ذلك : تفسير القوة بالرمي ، في قوله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ**

---

(١) المائدة ٦٠

(٢) تفسير ابن كثير والطبري جـ ٣ ص ١٨٧

(٣) المائدة ـ ٧٧

(٤) الأنعام ٨٢

(٥) لقمان ١٣ والمراد بالعبد الصالح لقمان

يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1] .

روى مسلم وغيره عن عقبة بن عامر ، قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول وهو على المنبر : « وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ » . ألا وإن القوة الرمي ، ألا وإن القوة الرمي ، ألا وإن القوة الرمي .

وقد جاءت الكلمة القرآنية معجزة ، فإن المراد بالقوة أسبابها ، وهي كل ما يكون به القوة . ولما كانت أسباب القوة وهي أسلحة الحرب ، وآلات القتال تختلف باختلاف العصور ، جاءت الكلمة على هذه المرونة الفائقة ، التي جعلتها صالحة لكل زمان ومكان .

وكذلك : جاء المفسِّر معجزاً كالمفسَّر ـ بفتح السين المشددة ـ . فهما من مشكاة واحدة ، فالرمي ، كلمة مرنة صالحة لتطور الأسلحة بتقدم الزمان ، فإن كلمة الرمي يدخل فيها الرمي بالقوس ، والنشاب ، والرمي بالحراب ، والرمي بالمنجنيق ، ويدخل فيه أيضاً : كل ما استحدث في عصرنا ، كالرمي بالمدفع ، والقذائف المدمرة ، والصواريخ ، والصواريخ وغيرها ، ومن ذلك : تفسير الحساب اليسير بالعرض . أخرج الشيخان وغيرهما ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « من نوقش الحساب عذب » ، قلت : أليس يقول الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[2] قال : « ليس ذاك الحساب ، وإنما ذاك العرض » . وهذا لفظ مسلم .

والعرض ـ بفتح العين وسكون الراء ـ أن تعرض أعماله المؤمن عليه ، حتى يعرف منة الله تعالى عليه في سترها على الناس في الدنيا ، وفي عفوه عنها في الآخرة .

ومن ذلك : تفسير الكوثر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أخرج أحمد ومسلم عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة » قال السيوطي : له طرق لا تحصى[3] وفي الصحيحين عن أنس قال : لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال : « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر » .

* * *

---

(1) الأنفال ٦٠ (2) الانشقاق ٨ (3) الإتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٩١ ـ ٢٠٤

(جـ) تفسير الصحابة

فإن لم نجد في القرآن، ولا في السنة والأحاديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجعنا في ذلك إلى ما صح وثبت عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فإنهم أدرى بتفسير القرآن الكريم، فقد تلقوا عن النبي معاني القرآن، وشرح لهم مجمله، وأزال مشكله، وبعضهم أعلم بتفسيره منا، لما شهدوه من القرائن والأحوال، التي أحاطت بنزول القرآن الكريم، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، والنفس المستضيئة، والعقل الذكي، ولا سيما كبراؤهم، وعلماؤهم كالخلفاء الأربعة الراشدين المهديين، وعبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، ونظائرهم.

ويكفيك على ذلك ما رواه أبو عبدالرحمن السلمي، التابعي الجليل عن كبار حفظة القرآن، من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم كانوا إذا نزلت عليهم عشر آيات لم يتجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم والعمل جميعا.

وروي عن الصحابي الجليل، عبدالله بن مسعود، أنه قال: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم».

وروى الإمام أحمد والبيهقي عن الشافعي ـ رحمه الله ـ أنه ذكر الصحابة في رسالته القديمة، وأثنى عليهم بما هم أهله، ثم قال: «وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع، وعقل، وأمر استدرك به علم، واستنبط به حكم، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عندنا لأنفسنا»(١).

* وقد روي عن الصحابة في التفسير كثير جداً، وفيه الصحيح، والحسن، والضعيف، والمنكر، والموضوع، وما هو من الإسرائيليات ونحوها، وقد عني أئمة

---

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٦٣

الحديث وجهابذته[1] بنقد ما روى ، وتمييز المقبول من المردود . والغث من السمين ، ولكنها معرفة مثبوتة فى كتب كثيرة ، وهى تحتاج إلى جهد جهيد فى الوصول إليها ، وإلى صبر وأناة فى تتبعها ، والانتفاع بها .

أقوال الصحابة فى التفسير

وقد اختلف العلماء فى أقوال الصحابة فى التفسير : أهى لها حكم الرفع ، أم هى موقوفة عليهم ؟ فمنهم من قال : إن تفسير الصحابى له حكم المرفوع إلى النبى ـ ﷺ ـ ، وقد قال ذلك الحاكم ، فى « المستدرك »[2] .

وقال أبو الخطاب من كبار علماء الحنابلة : يحتمل ألا يرجع إليه ، إذا قلنا : إن قوله ليس بحجة ، قال : والصواب الأول ، لأنه من باب الرواية لا الرأى .

وما قاله الحاكم وغيره ، نازعه فيه الإمام ابن الصلاح وغيره ، من المحققين المتأخرين ، وقالوا : إن ذلك مخصوص بما فيه سبب نزول أو نحوه ، مما لا دخل للرأى فيه ، وأما ما يتعلق باللغة والأحكام الاجتهادية ، فليس من قبيل المرفوع[3] .

وقد صرح الحاكم نفسه بذلك فى كتابه : « علوم الحديث » فقال : ومن الموقوفات تفسير الصحابة ، وأما من يقول : إن تفسير الصحابة مسند ـ أى مرفوع ـ ، فإنما يقوله فيما فيه سبب نزول ، فقد خصص هنا وعمم فى المستدرك ، فلعل هذا ما أراده فى المستدرك أو رجع عنه إلى هذا .

والمحققون من العلماء ، كالحافظ الكبير ابن حجر ، على أن أقوال الصحابة فى التفسير لها حكم المرفوع إلى النبى ـ ﷺ ـ بشرطين .

---

(1) جمع جهبذ ـ بكسر الجيم والباء ـ النقاد الخبير الماهر .

(2) كتاب قصد بتأليفه استدراك الأحاديث الصحيحة التى فاتت الشيخين : البخارى ومسلم ، وهى على شرطهما ، أو على شرط أحدهما ، ووافقهما فيها ، وهو ، ما أداه اجتهاده إلى تصحيحه ، وإن لم يكن على شرطهما ، ولم يسلم له كل ما قال .

(3) علوم الحديث بشرح العراقى ص ٥٣

الأول : أن يكون مما لا مجال للرأي فيه ، كأسباب النزول ، وأحوال القيامة ، واليوم الآخر ونحوها

الثاني : ألا يكون الصحابي معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، أي غير معروف برواية الإسرائيليات(1)

لأن من عادة الصحابة وأخلاقهم ألا يتكلموا في لا مجال للرأي فيه إلا بسماع وتوقيف ، ولا يتجرءوا على ذلك من عند أنفسهم والسماع إما من النبي ـ ﷺ ـ ، أو من بعض أهل الكتاب الذين أسلموا ، فإذا انتفى الثاني ، فقد تعين الأول

وهذا الشرط الثاني يدل على بعد نظر أئمة الحديث ونقده ، وأنهم لم تخف عليهم هذه الإسرائيليات التي رويت عن بعض الصحابة ، فقد علموا كذبها ، وعلموا أنها دخيلة على الرواية الإسلامية

وقد كان كثير من التابعين يتحاشون الرواية عن بعض الصحابة الذين عرفوا بالأخذ من أهل الكتاب ، وليس أدل على ذلك من أن عبد الله بن عمرو بن العاص قد شهد له أبو هريرة بأنه كان أكثر حديثاً منه لأنه كان قارئاً كاتباً ، رواه البخاري في صحيحه ، ومع هذا فقد جاءت مروياته أقل من مرويات أبي هريرة ، لأنه كانت وقعت له كتب من كتب أهل الكتاب في موقعة اليرموك ، تبلغ حمل بعيرين ، فكان يحدث ببعض ما فيها ، ومن ثم تحاشى بعض الرواة الرواية عنه ، فكان هذا سبباً من أسباب قلة مروياته عن أبي هريرة رضي الله عنه(2)

أمثلة من تفسير الصحابة

من ذلك ما روي عن سلمة بن الأكوع في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ قال : لما نزلت : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ : كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها(3) فنسختها(4).

---

(1) نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص 43 ط الاستقامة

(2) فتح الباري جـ 1 ص 167

(3) يريد قوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾

(4) صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ سورة البقرة ـ باب فمن شهد منكم الشهر فليصمه

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس: أنها ليست بمنسوخة، وأنها في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (1).

وهذا إنما يأتي على من يفسر الإطاقة بأنها تحمل الشيء بتكلف وجهد، ويشهد له قراءة «يُطَوَّقونه» بضم الياء، وفتح الطاء، وفتح الواو مشددة، وأما قراءة العامة من القراءة المشهورة فتشهد للرأي الأول. وهذا إلى جانب كونه مثلاً لتفسير الصحابي، لون من ألوان اختلاف الصحابة في التفسير.

ومن ذلك: ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (2). قال: كانت السماوات رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق الله هذه بالمطر، وهذه بالنبات. ورجع السائل إلى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فأخبره بما قاله ابن عباس، فقال ابن عمر: كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً». أخرجه أبو نعيم في الحلية. وذكره السيوطي في الإتقان (3).

ومن ذلك ما روي عن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما سألها ابن أختها عروة بن الزبير عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ فقالت: «يا ابن أختي: هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تشركه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن ذلك، إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن» (4).

ومن ذلك ما روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

---

(1) الجامع الصحيح ـ باب قوله تعالى ﴿أياماً معدودات﴾ الآية. (2) الأنبياء: 30

(3) جـ 2 ص 187

(4) صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ سورة النساء ـ باب ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾

روى البخاري في صحيحه، بسنده ـ من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لمَ تدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم[1]، فدعاهم ذات يوم، فأدخلني معهم، فما رؤيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله، ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: «إذا جاء نصر الله والفتح»، وذلك علامة أجلك، «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.[2]

* * *

ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه». قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة. فقال سعيد: «النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه». ولا منافاة بين هذا التفسير وما صح عن النبي من أنه الكوثر لأن الكوثر من هذا الخير الكثير، ويدخل في هذا الخير الكثير النبوة والرسالة والقرآن والسنة.

تفاسير التابعين:

وأما أقوال التابعين[3] في التفسير ففيها خلاف بين العلماء، فبعضهم عدها من المأثور، لأن الغالب أنهم تلقوها عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

وبعضهم عدها من التأويل والتفسير بالرأي والاجتهاد، لكثرة اختلافهم أكثر من الصحابة، قال الزركشي في البرهان[4]: وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل المنع. وحكوه عن شعبة بن الحجاج أنه قال: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ لكن عمل المفسرين على خلافه. فقد

---

(1) يعني قرابته من رسول الله وذكاءه، وفطنته.

(2) صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ سورة النصر ـ باب قوله تعالى ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾.

(3) التابعي: هو من لقي الصحابي وهو مؤمن سواء سمع منه أم لا، سواء طالت لقياه به أم لا.

(4) الإتقان جـ ٢ ص ١٧٩

حكوا في كتبهم أقوالهم، لأن غالبها تلقوها عن الصحابة.

والتحقيق: أنهم إن أجمعوا على شيء فلا يرتاب في كونه حجة ويكون نقلوه عن الصحابة، أما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، وحينئذ فالمفسر للقرآن، أن يرجع إلى الطرق والوسائل، التي يستمد منها التفسير الصحيح [1].

وقد رويت عن التابعين في التفسير روايات كثيرة لا نحصيها الآن، ولا سيما لأصحاب ابن عباس، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولاه، وعطاء وغيرهم، وقد ذكر منها ابن جرير في تفسيره كثرة كاثرة، والسيوطي في «الدر المنثور»، والبغوي وابن كثير وغيرهم، وسنعرض - إن شاء الله - فيما يأتي لبيان القيمة العلمية لتفاسير التابعين.

* * *

المفسرون من الصحابة:

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهم أجمعين - أما الخلفاء الأربعة: فإن أكثر من روى عنه منهم في التفسير علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لتخلفه عن مهام الخلافة، طيلة مدة الخلفاء الثلاثة، ولتأخر وفاته عنهم.

وأما الخلفاء الثلاثة الأول: فالرواية عنهم في التفسير قليلة جداً [2] وذلك بسبب تقدم وفاتهم ولانشغالهم بمهام الخلافة، فالصديق كان شاغله الأكبر القضاء على الفتنة، فما قضى عليها شرع في نشر الإسلام في الشام والعراق، فلم يكن عنده متسع للرواية، وأما الفاروق عمر - رضي الله عنه - فكان شاغله الأكبر الفتوحات الإسلامية، والاستكمال بناء الدولة، وإن كانت الرواية عنه أكثر من الرواية عن سلفه العظيم.

وذو النورين عثمان - رضي الله تعالى عنه - شغل بإتمام الفتوحات، وبالفتنة الكبرى في عهده التي أودت بحياته، وإن كانت الرواية عنه أكثر من الرواية عن الشيخين، فقد

---

(1) مقدمة في أصول التفسير ص ٥٠.

(2) قال السيوطي: لا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً.

كان متفرعا طبقة عهدها والمكثرون من هؤلاء هم : على بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، وعبدالله بن عباس وإليك كلمة موجزة عن كل منهم .

١ ـ على بن أبى طالب :

على بن أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف

هو : ابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ ، وزوج ابنته السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ، وقد كانت نشأته فى بيت النبوة من الأسباب المهمة فى كثرة ما حمل من علم ، وما اشتهر به من فقاهة ، هذا إلى ما وهبه الله من فطرة سليمة لم تدنس بشىء من أمور الجاهلية ، فلم يسجد لصنم قط ، ولم يشرب خمراً ، ولا اقترف إثماً ، وما كان يتمتع به من قلب مضىء وعقل ذكى ، ولسان فصيح بليغ وقد روى معمر عن وهب بن عبدالله عن أبى الطفيل ، قال : « شهدت علياً يخطب وهو يقول : « سلونى ، فوالله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم به ، وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم : أبليل نزلت أم بنهار ؟ أم فى سهل أم فى جبل » » .

وأخرج أبونعيم فى الحلية بسنده عن على قال : « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت ؟ وأين نزلت ؟ ، إن ربى وهب لى قلباً عقولاً ، ولساناً سئولاً » ، وقد اشتهر بالفصاحة ، والبلاغة ، والبيان ، والفتيا ، وحل المشكلات ، حتى قيل فيه : « قضية ولا أبا حسن لها » .

وقد منى ـ رضى الله عنه ـ بشيعة أسرفوا فى حبه ، فوضعوا روايات كثيرة جداً فى مناقبه ، وفى التفسير وغيره ، وألصقوا به ما هو برىء منه ، وقابلهم المبغضون له ، فوضعوا فى ذمه ، ولمزه ، وغمزه شيئاً غير قليل ، وهكذا ، نجد أنه هلك فيه رجلان : محب غال ، ومبغض قال .

وقد نقد أئمة الحديث وحفاظه هذه المرويات ، وبينوا الصحيح ، والضعيف ، والمكذوب ، والمقبول من المردود ، وسيأتى إن شاء الله بيان الكثير من ذلك .

٢ ـ عبدالله بن مسعود :

هو عبدالله بن مسعود بن غافل ، بن حبيب ، بن شمخ ، بن هذيل مات أبوه فى الجاهلية ، وأسلمت أمه وصحبت النبى ، فلذلك نسب إليها أحياناً .

أسلم قديماً، وكان كثير الملازمة لرسول الله ـ ﷺ ـ وصاحب سره، ومطهرته، وحامل نعليه، كان من حفاظ القرآن المجيدين له، والمعروفين بقرآته بالصحابة وغيرهم. وفي صحيح البخاري عن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله، فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ـ ﷺ ـ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ـ ﷺ ـ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم».

وفي صحيح البخاري عن مسروق، قال: ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو ـ يعني ـ ابن العاص، فقال: «لا أزال أحبه بعد ما سمعت النبي ﷺ يقول: «**خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب**» وقد كان من أعلم الناس بتفسير القرآن الكريم، بل كان يرى نفسه أنه أعلم الناس بكتاب الله. روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن مسعود قال: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه»(1).

وهذه شهادة رجل كعلي بن أبي طالب، وشهد له بسعة علمه بالقرآن والسنة. أخرج أبو نعيم عن أبي البختري، قال: قالوا لعلي: أخبرنا عن ابن مسعود، قال: علم القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علماً» وشهد له من التابعين مسروق بن الأجدع من خيار التابعين وفضلائهم، قال: «وجدت أصحاب محمد ﷺ مثل الإخاذ(2)، فالإخاذ يروي الواحد، والإخاذ يروي الاثنين، والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعون لأصدرهم(3) وإن عبد الله بن مسعود من تلك الإخاذ».

وقد كان له تلاميذ أخذوا عنه، وتخرجوا به، وملأوا الآفاق من علمه، وقد حكى الإمام علي بن المديني أنه قال: «لم يكن أحد من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ له أصحاب

---

(1) صحيح البخاري كتاب المناقب ـ باب مناقب عبد الله بن مسعود، وكتاب فضائل القرآن ـ باب القراء من أصحاب النبي.
(2) الإخاذ: بكسر الهمزة الموضع الذي يحبس الماء كالغدير.
(3) أي أرجعهم وهم مرويون جميعاً.

يقومون بقوله في الفقه ، إلا ثلاثة : عبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، كان لكل رجل منهم أصحاب يقولون بقوله ، ويفتون الناس

وقد رويت عنه روايات كثيرة في التفسير ، وقد عني بها أئمة الحديث ونقدوها ، وبينوا الصحيح من الضعيف ، والمقبول من المردود . وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى

وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل ثلاث وثلاثين رضي الله عنه وأرضاه

٣ – أُبيّ بن كعب

هو : أبي بن كعب بن قيس ، من بني النجار الأنصاري الخزرجي يكنى : أبا المنذر وأبا الطفيل كان من السابقين إلى الإسلام ، من الأنصار شهد العقبة ، وبدرًا ، وما بعدها ، وهو أحد المشهورين بحفظ القرآن من الصحابة ، وبإقرائه . وقد سبق ذلك آنفًا ، وقد قال فيه عمر : «أُبيّ أقرؤنا» رواه البخاري

ومن فضائله : أن النبي ﷺ قرأ عليه القرآن . روى البخاري في صحيحه بسنده : عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : «قال النبي ﷺ لأبي : إن الله أمرني أن أقرأ عليك : لم يكن الذين كفروا (1) قال : وسماني ؟ قال : نعم ، فبكى» (2)

وإنما قرأ عليه النبي ﷺ ليزداد علمًا بتلقيه من النبي ﷺ ، ويزداد تثبتًا فيها ، ويكون عرض القرآن وأخذه عن شيخ مقرئ سنة متبعة ، وللتنبيه على فضيلة في تقدمه في حفظ القرآن ، وليس المراد أن يتعلم منه النبي شيئًا ، أو يستذكره منه بهذا العرض . وقد روي عنه في التفسير نسخة كبيرة ، يرويها أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه . وهذا إسناد صحيح . وقد أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم منها كثيرًا ، وكذا الحاكم في مستدركه ، وأحمد في مسنده ، وكانت وفاته سنة ثلاثين ، رضي الله عنه

---

(1) يعني سورة البينة ، وذلك لما فيها مع وجازتها من التوحيد والرسالة والإخلاص في العبادة ، وفي ذكر الكتاب المنزل إجمالًا ، وذكر الصلاة ، والزكاة ، والمعاد ، وبيان أهل الجنة والنار

(2) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب أبي بن كعب ، وإنما بكى لأن تسمية الله له تشريف عظيم فبكى إما فرحًا ، وإما خشوعًا وخوفًا ، ألا يقوم بشكر تلك النعمة

٤ ـ زيد بن ثابت

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان، من بني مالك بن النجار، كاتب الوحي، وأحد فقهاء الصحابة، وحفظة القرآن، والمشهورين بقراءته. وقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن قتادة عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «جمع القرآن على عهد النبي ـ ﷺ ـ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت [1]. قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي». وقد اختلف في اسم أبي زيد هذا على أقوال، وصححها أنه قيس بن السكن، من بني حرام الأنصاري النجاري، رواه ابن أبي داود[2].

وحسبه فضلاً ومفخرة أنه هو الذي جمع القرآن في المصحف في عهد الصديق، بعد أن كان مفرقاً في العسب، والأكتاف، واللخاف، والصدور[3]. وأنه رئيس الجماعة التي كتبت المصاحف في عهد سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ[4].

وقد كان له أصحاب تفقهوا به، وأخذوا عنه، ونشروا علمه، وقد سبقت في ذلك مدرسة الإمام ابن المديني آنفاً، وقد ورد عنه في التفسير مرويات كثيرة، إلا أنه أقل من سابقيه، وقد تناقل الأئمة الحفاظ، ورووا عنها من الصحابة أو التفسير ... وكانت وفاته سنة خمس وأربعين للهجرة، فرضي الله عنه وأرضاه.

٥ ـ عبد الله بن عباس

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو ترجمان القرآن، دعا له النبي ـ ﷺ ـ فقال: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**». رواه أحمد والطبراني، وفي صحيح البخاري بلفظ:

---

(١) يريد جمعه حفظه واستظهاره عن ظهر قلب، ويريد أنهم أكثر الصحابة حفظاً للقرآن من الأنصار من قبيلة الخزرج، وإلا فقد كان يحفظه عدد كثير من المهاجرين، وغيرهم من القبائل.
(٢) فتح الباري ج ٩ ص ٤٤، وأنظر تحقيق هذا في كتابنا المدخل إلى علوم القرآن الكريم.
(٣) ... (مقدمة المحرر)
(٤) صحيح البخاري ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب جمع القرآن.

« اللهم علمه الحكمة » . وفي رواية « اللهم علمه الكتاب » ، وهو مفسر لما قبله ، وأن المراد بالحكمة علم القرآن . وكان ابن عباس من أعلم الصحابة بتفسير القرآن . قال فيه ابن مسعود : « نعم ترجمان القرآن : ابن عباس » رواه ابن سعد ، والبيهقي في الدلائل . وقد عرف بغزارة العلم ؛ حتى لقب بالحبر ، والبحر . وكانت له مدرسة لها سماتها وخصائصها . وأصحاب يقومون علمه . ويقومون قوله . ونشروا علمه على أوسع ما يكون النشر . ولعلك على ذكر من مقالة ابن المديني الآنفة . وكان الفاروق عمر – رضي الله عنه – يجلسه على حداثة سنه في مجلسه ، ويعرف قدره ، حتى كان يدخله مجلسه مع الأشياخ من الصحابة . يروى عن الحسن البصري : أن ابن عباس كان من القرآن بمنزل ، كان عمر يقول : « ذاكم فتى الكهول ، إن له لساناً سئولاً ، وقلباً عقولاً » ، وقد مر أنه لما وجد بعض الصحابة من إدخاله معهم ، وقالوا : إن لنا أبناء مثله دعاه . ودعاهم ، ثم سألهم وسأله ، فتبين لهم أنه ليس كغيره ، وأن له من العلم ما يؤهله لذلك . ومن أراد زيادة في هذا : فليرجع إلى الإتقان[1]

وقال الأعمش عن أبي وائل : « استخلف علي عبد الله بن عباس على الموسم ، فخطب الناس ، فقرأ في خطبته سورة البقرة ، وفي رواية : سورة النور ، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك ، والديلم لأسلموا »[2]

وقد ورد عنه في تفسير القرآن ما لا يحصى كثرة ، ورويت عنه من طرق كثيرة ، وفيها الصحيح ، والحسن ، والضعيف بل والموضوع شيء كثير ، وأما التفسير المطبوع المنسوب إليه ، ففي صحة نسبته إليه شك غير قليل ، وليس هنا موضع بيان ذلك .

وقد نقد أئمة الحديث ، وصيارفته العارفون بالرجال جرحاً ، وتعديلاً ، وبالعلل – المرويات عنه ، وطرقها عنه ، وبينوا بعث من السمين ، والمقبول من المردود ، وما حمله عن أهل الكتاب الذين أسلموا من الإسرائيليات ، مما حمله على غيرهم ، وسنعرض لذلك بالتفصيل في نقد التفسير المأثور – إن شاء الله تعالى – ، وكانت وفاته بالطائف سنة ثمان وستين للهجرة ، وقبره هنالك معروف ، فرضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) الإتقان جـ ٢ ص ١٨٧ ، ١٨٨ . (٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٤٥

أما أبو موسى ، وعبد الله بن الزبير ، فما روى عنهم في التفسير أقل مما روى عن سابقيهم . وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير ، كأنس وأبي هريرة ، وابن عمر ، وجابر ، وغيرهم وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أخبار كثيرة في التفسير ولا سيما فيما يتعلق بقصص الأنبياء ، وأخبار الفتن ، وأحوال يوم القيامة قال السيوطي : وما أشبهها بأن تكون مما تحمله عن أهل الكتاب : يحيى من الإسرائيليات[1] .

* * *

« المفسرون من التابعين »

وقد اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون ، من أعلامهم : مجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم كثيرون .

* * *

مدارس التفسير

وقد كانت هناك مدارس متعددة في التفسير ، لكل مدرسة خصائصها ، ومميزاتها وأساتذتها ، وطلابها ، فكانت هناك مدرسة الحجاز ، وهي تشمل مدرستين : مدرسة مكة ، وأستاذها الأكبر ابن عباس ، ومدرسة المدينة ، ومن أساتذتها : علي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، ومدرسة العراق ، وأستاذها الأكبر : ابن مسعود ، ومدرسة الشام ، ومن أساتذتها من الصحابة : أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي ، وتميم الداري راهب عصره ، وعابد أهل فلسطين ، ومدرسة مصر وأستاذها الأكبر ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومدرسة اليمن وأستاذها الأكبر : معاذ بن جبل ، وأبو موسى الأشعري ، إلى غير ذلك من المدارس التي انتشرت في العالم الإسلامي .

---

(1) الإتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٨٩

وكان أصل هذه المدارس، وأعلمها بالتفسير مدرسة مكة، لأن أستاذها وشيخها ابن عباس حبر القرآن وترجمانه، قال الإمام ابن تيمية: «وأعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك: ما تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل: زيد بن أسلم: الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذه عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب»[1].

وسأقتصر على ذكر المشاهير من مدارس مكة، والمدينة، والعراق، والشام، ومصر، واليمن مع التعريف بهم.

* * *

(أ) مدرسة مكة

١ - مجاهد بن جبر المكي

مولى السائب بن أبي السائب، ولد سنة إحدى وعشرين، وهو من المبرزين من تلاميذ ابن عباس، وأكثرهم ملازمة له. قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة، وعنه أيضاً قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات[2]، أقف عند كل آية منه، وأسأله عنها فيم نزلت (وكيف كانت) وروى ابن جرير بسنده، عن ابن أبي مليكة، قال: «رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن تفسيره كله».

ولذا قال الإمام سفيان الثوري: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك». وقال ابن تيمية: «ولذا يعتمد على تفسيره الشافعي، والبخاري وغيرهما من أهل العلم»[3].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٢٣، ٢٤

(٢) ولا منافاة بين الروايتين لأن الأولى عرض حفظ، والثانية عرض مع العلم بالتفسير

(٣) مقدمة في أصول التفسير ص ٧

وقال السيوطي في الإتقان: «وغالب ما أورده الفريابي في تفسيره عنه، وما أورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليل جداً»، وكانت وفاته بمكة وهو ساجد، سنة اثنتين ومائة.

٢ ـ سعيد بن جبير[1] :

مولى بني والبة، من بني أسد بن خزيمة. أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، وعبدالله بن مغفل المزني، وغيرهم، وكان من تلاميذ ابن عباس، المتخرجين في مدرسته، وكان في أول أمره كاتباً لعبدالله بن عتبة بن مسعود، ثم لأبي بردة الأشعري، ثم تفرغ للعلم حتى صار إماماً علماً.

قال سفيان الثوري: «خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة، والضحاك» وقال قتادة: «وكان أعلم الناس أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام»، ولما خرج عبدالرحمن بن الأشعث على عبدالملك بن مروان، انضم إليه سعيد بن جبير، فلما قتل عبدالرحمن، وانهزم أصحابه فر إلى مكة، فقبض عليه واليها خالد بن عبدالله القسري، وأرسله إلى الحجاج فقتله، وكان ذلك بواسط سنة خمس وتسعين، وقد استحق الحجاج بفعلته الآثمة المنكرة غضب الله، والناس أجمعين، قال الإمام أحمد: «قتل الحجاج سعيد بن جبير، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه» فرضي الله عنه وأرضاه.

٣ ـ عطاء بن أبي رباح:

أصله يمني من الجند[2] التي قد نزلها سيدنا معاذ بن جبل مبعوثاً من النبي ـ ﷺ ـ، ثم تحول إلى مكة، وأقام بها، وبلغ مرتبة الإمامة والفقه، وانتهت إليه الفتوى بمكة. قال فيه ابن عباس لأهل مكة: «تجتمعون علي وعندكم عطاء!». قد سمعت آنفاً مقالة

---

(١) بضم الجيم وفتح الباء الموحدة، وسكون الياء المثناة.

(٢) الجند: بفتحتين بلد باليمن.

عداده فيه. وقال عنه إمام الفقهاء أبو حنيفة النعمان: ما رأيت أفضل من عطاء بن أبي رباح. وهو من أعلام المدرسة المكية في التفسير. وكانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة.

٤ - عكرمة مولى ابن عباس:

هو أبو عبد الله عكرمة بن البربري، أحد الأئمة الأعلام. وقد أخذه ابن عباس بتربية وتثقيف من صغره، ولذا كان يستوعب علمه في هذا. قال عكرمة: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل[1] ويعلمني القرآن والسنن. وكان يقول: كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس. وقال أيضاً: لقد فسرت ما بين اللوحين - يعني ما بين جلدتي المصحف. وقد اختلف العلماء فيه ما بين معدل له ومجرح، والأكثرون على توثيقه وتعديله وعده ثقة ثبتاً، وروى له إمام الأئمة البخاري عنه في صحيحه[2]. ومن أراد زيادة تفصيل في هذا فليرجع إلى ما كتبه الإمام الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح[3]. وقد شهد له بالعلم كبار الأئمة.

قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وكانت وفاته سنة خمس ومائة.

* * *

(ب) مدرسة المدينة

كانت المدينة دار الإسلام، وقضى بها شطراً من حياة النبي ﷺ بعد الهجرة، ثم صارت بعد وفاة النبي مركز الخلافة الإسلامية الراشدة إلى ما يقرب من سنة أربعين من الهجرة. وبعد أن انتقلت الإمارة إلى بني أمية، وجعلوا عاصمة ملكهم إلى دمشق لم تزل مستبقية مكانتها، وبقيت مركزاً من مراكز العلم الأصيلة، فقد بقي بها جمهور الصحابة، تلقى عنهم أجلة التابعين، وأستاذ هذه المدرسة الأكبر هو أبي بن كعب. ومن أشهر علماء هذه المدرسة في التفسير:

---

(١) الكبل: القيد.

(٢) وقد تقدم في تخريج له حديثاً واحداً في الحج، مقروناً بسعيد بن جبير، وإنما تركه مسلم لكلام مالك فيه، وقد تعقب جماعة منهم أبو ثور في الموطأ في الحج، وصرح باسمه، ومال إلى روايته عن ابن عباس وترك عطاء في تلك المسألة مع [illegible]

(٣) مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥٢

١ ـ زيد بن أسلم:

كان أبوه مولى سيدنا عمر بن الخطاب. أخذ العلم عن أبيه، وعن عبد الله بن عمر، وعائشة وغيرهم، وقد أخذ عنه العلم والتفسير ابنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، توفي سنة ست وثلاثين ومائة.

٢ ـ أبو العالية:

أبو العالية اسمه رفيع[1] بن مهران الرياحي: أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي بسنتين، روى عن علي، وأبي بن كعب، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم، وروى عنه بديل بن ميسرة، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما، وثقه ابن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وهو من كبار التابعين، وروي عنه أنه قال: «قرأت القرآن على عهد عمر ثلاث مرات»، وقال فيه ابن أبي داود: «ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية».

وقد روى عن أبي بن كعب نسخة كبيرة في التفسير، ورواها عنه الربيع بن أنس، وعنه أبو جعفر الرازي، وهي صحيحة، كما قدمنا في ترجمة أبيّ، وتوفي سنة تسعين.

٣ ـ محمد بن كعب (القرظي):

هو: أبو حمزة، أو أبو عبد الله، محمد بن كعب القرظي المدني روى عن علي، وابن مسعود، وابن عباس وغيرهم، وروى عن أبي بن كعب بالواسطة، قال فيه ابن سعد: كان ثقة، عالماً، كثير الحديث، ورعاً، وهو من رجال الكتب الستة، وقال فيه ابن عون: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي، وكانت وفاته سنة ثماني عشرة ومائة، وهو ابن ثمان وسبعين، سنة، وقيل غير ذلك.

(جـ) المفسرون من مدرسة العراق

ومن المدارس التي أصبحت لها قيمتها العلمية: مدرسة العراق وكان تلاميذ هذه

---

(١) قال الحافظ في التقريب: رفيع ـ بالتصغير ـ ابن مهران الرياحي، بكسر الراء، والتحتانية، ثقة كثير الإرسال، من الثانية، مات سنة تسعين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقيل: بعد ذلك. روى له الجماعة.

(*) وهناك أبو العالية آخر: البراء ـ بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء ـ البصري اسمه زياد بن فيروز، وقيل غير ذلك، قال العجلي: بصري ثقة، وكانت وفاته في شوال سنة تسعين للهجرة / ج م ص.

مدرسة منهم من كان بمكة، ومنهم من كان بالكوفة ومنهم من كان بالمدينة، واستاذ هذه المدرسة الأولى هو عبد الله بن مسعود، لما ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة بعث معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وقد شهد من خمسة أهل العراق [illegible] أصبحوا منارات في طريقته في الاجتهاد في [illegible] والأحكام بالتفسير، وهي حرية الرأي في الاجتهاد، وحسن التصرف في النصوص، [illegible] [illegible]

وقد [illegible] أصحاب النبي ﷺ [illegible] [illegible] عبد الله بن مسعود [illegible] هؤلاء [illegible] علي بن مسعود، وفي رواية [illegible] [illegible] في [illegible][2] ولكن خروجه [illegible] لأن [illegible] على فتحها [illegible] [illegible] عند ابن مسعود [illegible] ثلاث [illegible]

١ ـ مسروق بن الأجدع

هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية، الهمداني الكوفي العابد الفقيه، روى عن الخلفاء الأربعة، وعن ابن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهم.

وكان أعلم أصحاب ابن مسعود، [illegible] أحداً منه. قال علي بن المديني ما أقدم على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله [illegible] ابن مسعود. وقال الشعبي ما رأيت أطلب للعلم منه. وقد قال فيه ابن معين ثقة لا يسأل عن مثله. وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة في كتبهم وقد ورد عنه في التفسير روايات كثيرة [illegible] من شيخه ابن مسعود فقد روي عنه أنه قال: كان عبد الله بن مسعود يقرأ علينا السورة، ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار. وتوفي سنة ثلاث وستين من الهجرة، على الأصح

(١) عقلي الشريعة [illegible] ولي [illegible] الأولى (٢) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٦٢ – ٢٦٣

٢ ـ قتادة بن دعامة :

هو : أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه[1] ، عربي الأصل كان يسكن البصرة . روى عن بعض الصحابة والتابعين ، وكان واسع الإطلاع في الشعر العربي ، بصيراً بأيام العرب عالماً بأنسابهم ، متضلعاً في اللغة العربية . وقد اكتسب شهرة في التفسير ، قال فيه سعيد بن المسيب « ما رأيت عراقياً أحفظ من قتادة » ، وقد احتج به أصحاب الكتب الستة ، إلا أنه كان يخوض في القدر وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ « إذا ذكر القدر فأمسكوا » فمن ثم تحاشى بعض العلماء الأخذ عنه . وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة .

٣ ـ الحسن البصري

هو : أبو سعيد الحسن بن يسار البصري ، مولى الأنصار ، وأمه خيرة مولاة السيدة أم سلمة ، ولد سنتين بقيتا من خلافة عمر ، ونشأ بوادي القرى ، وكان فصيحاً ، ورعاً ، زاهداً ، واعظاً لا يجارى في وعظه ، روى عن بعض الصحابة والتابعين ، وروى عنه الكثيرون من أتباع التابعين ، قال فيه ابن سعد ، كان الحسن جامعاً ، عالماً ، رفيعاً ، فقيهاً ، ثقة ، مأموناً ، عابداً ، ناسكاً ، كثير العلم ، فصيحاً ، جميلاً ، وسيماً ، وقيل : إنه اكتسب هذه الفصاحة لأنه رضع من السيدة أم سلمة مولاة أمه[2] ، وقيل إنه أفضل التابعين ، وقد رويت عنه في التفسير روايات كثيرة ، وقد تعرض لها العلماء بالنقد ، وبينوا الصحيح من الضعيف ، وكانت وفاته سنة عشر ومائة .

٤ ـ مرة الهمداني :

هو : أبو إسماعيل مرة بن شراحيل الكوفي العابد ، المعروف بمرة الطيب ، ومرة الخير ، لكثرة عبادته ، وشدة ورعه ، وتقواه ، روى عن أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وغيرهم ، وروى عنه الشعبي وغيره . وثقه ابن معين وغيره من أئمة الجرح

---

(١) الأكمه : الذي ولد أعمى .
(٢) لم تكن أم المؤمنين السيدة أم سلمة حاضنة ولده وصبح حتى ولد الحسن فقيل ثدييها درّ به يابس حيث

والتعديل . وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وكان من المعروفين بتفسير القرآن ، توفي سنة ست وسبعين من الهجرة .

٥ ـ الضحاك بن مزاحم :

هو : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، مولاهم الخراساني ، روى عن بعض الصحابة ، وأخذ عنهم العلم ، وثقه أحمد بن حنبل ، وابن معين ، وأبو زرعة ، وكان له شهرة بالتفسير ، توفي سنة خمس ومائة

* * *

(د) مدرسة الشام

وقد اشتهر منهم :

١ ـ عبدالرحمن بن غنم الأشعري :

وقد بعثه الفاروق : عمر بن الخطاب إلى الشام ، كي يفقه الناس ويعلمهم القرآن والسنة : وكان قد لقي معاذ بن جبل ، وروى عنه وكان كبير القدر صادقاً فاضلاً . توفي سنة ٧٨ هـ

٢ ـ عمر بن عبدالعزيز بن مروان :

وهو : الخليفة الثامن من بني أمية ، ولد بالمدينة ، ونشأ بمصر . حدث عن أنس بن مالك ، وعن كثير من التابعين . وكان إماماً فقيهاً . مجتهداً ، عارفاً بالقرآن . والسنن ، كبير الشأن في العلم زاهداً ، قانتاً لله . وكان يقرن بعمر بن الخطاب في عدله ، وبالحسن البصري في زهده ، وبالزهري في علمه . قال مجاهد : « أتيناه لنعلمه ، فما برحنا حتى تعلمنا منه » . وله الفضل الأكبر في الأمر بجمع السنن والأحاديث . وكانت وفاته سنة واحد ومائة هجرية

٣ ـ رجاء بن حيوة الكندي :

شيخ أهل الشام ، وعالمهم ، روى عن معاوية ، وعبدالله بن عمر ، وجابر وغيرهم .

[illegible] توفي سنة [illegible]

٤ ـ كعب الأحبار

[illegible]

* * *

(هـ) مدرسة مصر

[illegible]

١ ـ يزيد بن أبي حبيب الأزدي

[illegible]

٢ ـ أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني

[illegible]

* * *

(و) مدرسة اليمن

[illegible]

١ ـ طاووس بن كيسان اليماني

[illegible] وقال عنه الذهبي: كان طاووس شيخ أهل اليمن [illegible]

---

(١) [illegible]

وكان كثير الحج . واتفق موته بمكة سنة ست ومائة . وله آراء كثيرة في تفسير القرآن الكريم .

٢ ـ وهب بن منبه الصنعاني :

عالم أهل اليمن . روى عن ابن عمر . وابن عباس وجابر ، وغيرهم . وكان ثقة ، توفي سنة أربع عشرة ومائة . وقد روى عنه في التفسير روايات كثيرة جداً . مما في كتب أهل الكتاب . وسيأتي الكلام عنه بما له ، وما عليه .

* * *

طبقة أخرى من المفسرين بالمأثور :

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير ، تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ . وسفيان بن عيينة ، المتوفى سنة ١٩٨ هـ . ووكيع بن الجراح . المتوفى سنة ١٩٦ هـ ، وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ . ويزيد بن هرون . المتوفى سنة ٢٠٦ هـ . وعبد الرزاق الصنعاني . المتوفى سنة ٢١١ هـ . وآدم بن أبي إياس . وإسحاق بن راهويه . المتوفى سنة ٢٣٨ هـ . وروح بن عبادة . وعبد بن حميد . المتوفى سنة ٢٤٩ هـ . وسنيد[1] م (٢٢٠) هـ وأبي بكر بن أبي شيبة م (٢٣٥) هـ وآخرين غيرهم .

والظاهر أن هذه التفاسير كانت مستقلة عن الحديث . وأن هذا العصر كانت فيه الطريقتان : طريقة التأليف في التفسير . على أنه جزء من الحديث . وطريقة التأليف في التفسير على سبيل الاستقلال

طبقات أخرى بعد هذه الطبقة

ثم جاء بعد هؤلاء طبقات أخرى . ألفت في التفسير وذلك مثل الإمام أحمد بن حنبل (م ٢٤١) . والبخاري (م ٢٥٦ هـ) . وبقي بن مخلد القرطبي (م ٢٧٩ هـ) وابن ماجه (م ٢٧٣ هـ) . ثم محمد بن جرير الطبري ، (م ٣١٠ هـ) ، وابن أبي

---

(١) بضم السين المهملة ، وفتح النون ، وسكون الياء آخره دال مهملة ـ لقب الحسين بن داود المصيصي وله تفسير مسند المتوفى سنة عشرين ومائتين

حاتم ، (م ٣٢٧ هـ) ، ثم الحاكم ، (٤٠٥ هـ) ، وابن مردويه ، (م ٤١٠ هـ) ، وأبو الشيخ ابن حيان في آخرين غيرهم وتفاسير هؤلاء كانت مسندة إلى الصحابة والتابعين ، وأتباعهم . وليس فيها غير ذلك ، إلا ما كان من تفسير ابن جرير ، فإنه يتعرض للاستشهاد بالشعر على المعاني القرآنية ، وتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ، والإعراب ، والاستنباط فهو يفوقها بذلك .

والظاهر أن القرن الثالث الهجري ، لم ينفصل فيه التفسير عن الحديث كل الانفصال ، وأنه كانت فيه الطريقتان طريقة التأليف في التفسير كجزء من الحديث ، وطريقة التأليف فيه على سبيل الاستقلال وليس أدل على ذلك ، من أن الإمام البخاري ذكر في ضمن كتابه ، « الصحيح » كتاب التفسير هو عشر الصحيح ، وألف في التفسير على سبيل الاستقلال كتابه ، « التفسير الكبير »[1] كما ألف فيه ابن جرير الطبري على سبيل الاستقلال ، ثم جاء بعده ، ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والحاكم ، فألفوا في التفسير على سبيل الاستقلال

* * *

حذف الأسانيد وغلبة الدخيل

ثم ألف في التفسير بعد هذا خلائق كثيرون ، فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال من غير أن يعزوها إلى قائليها ، فمن ثم دخل الدخيل أكثر من ذي قبل ، والتبس الصحيح بالعليل ، وصار كل من يسنح له قول يورده ، ومن خطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل ذلك من يجيء بعده ظانا أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ، ومن يرجع إليهم في التفسير ، وولع المفسرون بالإكثار من الأقوال حتى رأينا بعضهم ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ عشرة أقوال ، مع أن تفسيرها باليهود ، والنصارى هو الوارد عن النبي ـ ﷺ ـ وجميع الصحابة ، والتابعين وأتباعهم ، حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين[2] .

---

(١) أعلام المحدثين للمؤلف ص ١١٦

(٢) الإتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٩٠ ، مقدمة في أصول التفسير ص ٣٣ ، ٣٤

وقد كان حذف الأسانيد مما ساعد على شيوع القصص الإسرائيلي في كتب التفسير، وعلى رواج الروايات الواهية، والموضوعة المكذوبة لأن ذكر الأسانيد كثيراً ما يدل على موضع العلة، ويكشف الداء، ومن هو سبب البلاء.

* * *

تلوّن كتب التفسير بثقافة مؤلّفيها

ثم ألّفت بعد ذلك كتب يغلب عليها التأويل، والتفسير الاجتهادي بحسب براعة المؤلف في بعض العلوم، وبرزوا فيه، ومنهم من هم من أهل السنة والجماعة، ومنهم من هم من أهل الزيغ والابتداع، فصار كل واحد منهم يميل بالتفسير إلى ما برز أو غلب فيه: فالنحوي ليس له هم إلا الإعراب وذكر الأوجه المحتملة في الآية، ونقل قواعد النحو ومسائله وخلافياته، كأن كتب التفسير كتب لتمرين النحويين، ومحل ذكر للقواعد، وذلك كالزجاج، والواحدي في البسيط، وأبي حيان في البحر المحيط.

والإخباري ليس له هم إلا ذكر القصص واستيفاؤها، عمن مضى من الأنبياء والأمم، والحوادث، وذكر ما يتعلق بالفتن والملاحم وأحوال الآخرة، ولا عليه بعد هذا إن كانت صحيحة، أو باطلة، لأنه لم يتحر الصدق، ولم يبحث عن الرواة، وكونهم ثقات، أو غير ثقات، وذلك كما فعل الثعلبي في تفسيره، فقد حشاه بالكثير من القصص الإسرائيلي، والروايات المكذوبة الموضوعة.

والفقيه، يكاد يسرد فيه مسائل الفقه جميعها، وكثيراً ما يستطرد إلى إقامة الأدلة، وبيان منشأ الخلاف في غير ذلك مما لا تعلق له بالآية والأدهى من ذلك أنه يتعصب في أدلة مذهبه، والتأويل للآية إليه، ومحاولة إضعاف مذهب غيره، وذلك كما فعل الإمام القرطبي في تفسيره، فإن ما فيه من التفسير أقل مما فيه من الأحكام الفقهية ولا سيما على مذهب إمام دار الهجرة مالك ـ رحمه الله تعالى ـ.

وصاحب العلوم العقلية قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء، والفلاسفة وشبههم، والرد عليهم، ويخرج من شيء إلى شيء، ويستطرد، ثم يستطرد حتى ينسى الإنسان أنه في كتب التفسير، ويخيل إليه أنه يقرأ كتاباً من كتب الكلام، والملل والنحل، كما صنع الإمام

خلص : فخر الدين الرازي ، ولذلك : قال أبو حيان في : البحر المحيط : جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء[1] : فيه كل شيء إلا التفسير .

والحق : أنا لا نوافق هذا القائل ؛ فإن فيه تفسيراً كثيراً ، ولو أنه — رحمه الله — قصر على التفسير وقصد في مناقشة آراء الفلاسفة والمتكلمين ، وسرد أقوالهم ، لكان أوفى وأجمل .

ومن تفاسير المتأخرين المحققين من أكثر من الاستطراد ، وذكر أقوال العلماء وغيرهم في كل مسألة من المسائل ، وقد يسر له هذا تأخره الزمني ، وسعة اطلاعه على أقوال من سبقوه ، ومؤلفاتهم ، حتى إنه ليذكر في بعض الموضوعات والمسائل ، ما يصلح أن يكون رسالة صغيرة ، فهي تمثل حاشية كبيرة شاملة ، أو خلاصة لكلام كل من سبقوه في التفسير وغيره أو إن شئت فقل : معلمة للتفسير وغيره ، وذلك كما صنع الإمام الجليل الآلوسي في تفسيره العظيم[2] .

* * *

تفسيرات المبتدعة والباطنية والملحدة

وأصحاب المذاهب المبتدعة : كالشيعة ، والمعتزلة ، وأضرابهم ، قد عنوا بالتفسير خدمة لمذاهبهم ، وفي سبيل ذلك قد حرفوا بعض الآيات وخرجوا بها عن مدلولها المراد ، وعن قواعد اللغة ، وأصول الشريعة وصار الواحد منهم كلما لاحت له شاردة من بعيد قنصها ، أو وجد موضعاً له به أدنى مجال لإظهار بدعه وترويج مذهبه سارع إليه ، ومن هذه التفاسير : تفاسير جيدة خدمت القرآن خدمة جليلة ، وذلك كتفسير الكشاف للإمام الزمخشري ، ولولا ما فيه من آراء اعتزالية ، لكان أجل تفسير في بابه .

---

(1) قيل هو ابن عطية

(2) الإتقان ج ٢ ص ١٩٠

قال الإمام البلقيني: استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش من قوله تعالى: ﴿فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز﴾. قال الزمخشري: وأي فوز أعظم من دخول الجنة؟ أشار به إلى عدم رؤية الله في الآخرة. وهي من مذهبهم[1].

ومنها تفاسير باطلة، ضالة مضلة، كتفاسير الباطنية[2]، والروافض، وبعض المتصوفة، والملحدين[3]، فقد ألحدوا في آيات الله، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وخالفوا القواعد اللغوية والشرعية وافتروا على الله ما لم يرده من كتابه ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾.

فمن تفسيرات الرافضة: قولهم في قوله تعالى: ﴿وورث سليمانُ داود﴾ أن الإمام عليًّا ورث النبي في علمه، ويقولون: الكعبة هي النبي، والباب هو: علي. إلى غير ذلك من أباطيلهم.

ومن تفسيرات الباطنية: قولهم في قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ أن المراد بهما علي وفاطمة، وقوله: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أن المراد الحسن والحسين، وقولهم في قوله: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ هي عائشة. إلى غير ذلك من تحريفاتهم للنصوص القرآنية[4]. ومن تفسيرات الملحدة: قولهم في قوله تعالى حكاية عن قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ أنه كان له صديق وصفه بأنه قلبه. وفي قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ إنه الحب والعشق. إلى غير ذلك من تخريفاتهم وتحريفاتهم للقرآن الكريم.

---

(1) الباطنية: فرقة من فرق الضلالة، قالوا: إن للقرآن ظاهراً وباطناً، والمراد منه باطنه دون ظاهره، ونسبته إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر.

(2) فرقة مغالية من الشيعة رفضوا إمامة الشيخين: أبي بكر وعمر وكفروهما.

(3) قوم مالوا عن الحق إلى الباطل، ويطعنون في دين الإسلام بمثل الآراء الفاسدة، والأفكار الزائفة، وهم أخبث الطوائف لأنهم يتسترون بالإسلام ليخدعوا الناس بزعمهم، ومنهم الباطنية وأشباههم من محرفي نصوصه.

(4) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٨.

ومن تحريفات بعض المتصوفة في كلام الله - قول بعضهم في قوله تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ : أن معناه « من ذل » أى من الذل ، « ذى » . إشارة إلى النفس ، « يشف » : من الشفاء جواب من ، « ع » أمر من الوعى .

وقد سئل الإمام سراج الدين البلقيني : عمن قال هذا ؟ فأفتى بأنه ملحد ، وقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ ، قال ابن عباس : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه[1] وحسبنا هذا القدر في هذا المقام .

وهي تحريفات ، وتحريفات للقرآن الذي أنزله الله بلسان عربي مبين ، وصرف له عن ظاهره المراد لغة وشرعاً ، وهؤلاء أضر على الإسلام من أعدائه ، والعدو المداجي المتستر بالتشيع ، أو التصوف ونحوه شر من العدو ، المكاشف ، المستعلن ، وقد أشار النبي ـ ﷺ ـ إلى هذه الفئات الضالة ، المضلة المحرفة لكتاب الله ، فقال فيما رواه عنه حذيفة : « إن في أمتي قوماً يقرأون القرآن ، ينثرونه نثر الدقل[2] ، يتأولون القرآن على غير تأويله » .

وقد حاول هؤلاء أن يؤيدوا آراءهم ومذاهبهم ، فافتروا على النبي ـ ﷺ ـ : وعلى صحابته الأطهار ، ومن ثم : دخل في تفسيرهم من المرويات الباطلة شيء كثير

* * *

– ٢ –

التفسير بغير المأثور

وقد اختلف العلماء في التفسير بغير المأثور ، فذهب قوم إلى أنه لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن ، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة ، والفقه والنحو والأخبار ، والآثار ، وليس له أن ينتهي إلا إلى ما روى عن النبي ـ ﷺ ـ ، أو إلى صحابته الآخذين عنه ، ومن أخذ عنهم من التابعين

وأجاز تفسير القرآن بالرأى والاجتهاد الأكثرون من السلف الصالح والعلماء ، ولكل وجهة ، ولكل أدلة .

---

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٤ .

(٢) الدقل : ردئ التمر

أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي والاجتهاد

١ - ما روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». رواه أبو داود، والترمذي، وقال فيه: هذا حديث غريب. والنسائي.

٢ - وروي أيضاً عن النبي - ﷺ - أنه قال: «اتقوا الحديث عليّ إلا ما علمتم فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». رواه الترمذي وأبو داود.

٣ - ما روي عن السّلف الصالح، من الصحابة فمن بعدهم من التحرج من الكلام في تفسير القرآن. فمن ذلك ما رواه ابن أبي مليكة، قال: سئل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن تفسير حرف من القرآن فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، وأين أذهب، وكيف أصنع إذا قلت في حرف[1] من كتاب الله بغير ما أراد الله. وفي رواية: «إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم».

ومنه ما ورد عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: «لا أقول في القرآن شيئاً». وكان سعيد إذا سئل عن الحلال والحرام تكلم، وإذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت، كأن لم يسمع شيئاً.

ومنه ما روي عن الشعبي أنه قال: «ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن، والروح، والرؤى»[2]. وما روي عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني - وهو تابعي جليل - عن آية من القرآن، فقال: «ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد»[3]. وروي عن مسروق أنه قال: «اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله [illegible]»[4]

---

(١) أي كلمة.
(٢) تعبير الأحلام وهو محض التكهن والرؤى.
(٣) أي الصواب وعدم الخوض في تفسير القرآن.
(٤) تفسير القرطبي جـ ١ ص ٣٤، تفسير ابن كثير والبغوي جـ ١ ص ١٢ ـ ١١.

مناقشة هذه الأدلة .

وقد ناقش المجوزون للتفسير بالرأى والاجتهاد هذه الأدلة فقالوا :

١ ـ أما الحديث الأول : ففى صحته وثبوته نظر ، لأن أحد رواته وهو : سهيل بن أبى حزم القطيعى قد تكلم فيه ، وعلى فرض صحتهما والتسليم بهما ، فقد أجاب عنهما العلماء بما يأتى :

(أ) أن المراد من يقول فى القرآن بمجرد رأيه وهواه ، بأن يجعل الرأى أصلاً والقرآن تبعاً . وذلك ، بأن يكون له فى المسألة رأى ، وإليه ميل بطبعه وهواه ، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ، ليحتج به على تصحيح غرض ، ولو لم يكن ذلك الرأى والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى ، ومثل هذا إن صادف الحق والصواب فى الواقع ونفس الأمر فإنما هو اتفاق من غير قصد ، ورمية من غير رام ، وهذا الصنف من الناس قد يكون معه علم ، وذلك كالذين يحتجون ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته ، كالمعتزلة ، والشيعة ، والخوارج ، وأمثالهم . وقد يكون مع الجهل ، وذلك : كما يصنع بعض الذين يدعون العلم اليوم ويتهجمون على تفسير كتاب الله بالهوى والاستحسان . فيحرفون الكلم عن مواضعه ، ويخرجون بالقرآن عن منهجه الواضح المستقيم

(ب) أن المراد بالحديثين من يفسر المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ

(جـ) أو الذى يفسر القرآن ، ولم يعرف من العلوم اللغوية والشرعية ما يؤهله لهذا ، فمثل هذا وإن أصاب الصواب فقد أخطأ الطريق الصحيح فى تفسيره [1]

٢ ـ أما ما ذكروه عن السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين : فهو معارض بما يخالفه ، فقد روى عن الصديق ـ رضى الله عنه ـ أنه سئل عن الكلالة فقال : « أقول فيها برأيى ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، الكلالة : من لا ولد له ، ولا والد » ، فلما ولى الخلافة الفاروق عمر ـ رضى الله عنه ـ قال « إنى لأستحى أن أخالف أبا بكر فى رأى

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوى جـ ١ ص ١٢

رآه» ، رواه ابن جرير، وغيره[1]، وهذا يدل على أن قوله: «أي سماء تظلني ...» إنما أراد به ما لم يقم عليه دليل، ومن لا علم له به، أو تخوفاً من أن لا يصيب مراد الله، وكذلك يحمل ما روي عن بعض السلف مما ذكروه على هذا.

قال الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً، فلا حرج عليه[2]، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه، مما يعلمه، لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[3] ولما جاء في الحديث الذي جاء من طرق: «**من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»[4] رواه الترمذي.

وأيضاً فقد روي عن كثير من الصحابة – رضي الله عنهم – القول في تفسير القرآن، ونجد كل هذه الأخبار: علي، وابن مسعود وابن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس وأبي هريرة وغيرهم. فلولا أن تفسير القرآن جائز لمن تأهل له لما فعلوه، لأنهم كانوا أشد الناس ورعاً، وتقوى، ووقوفاً عند حدود الله.

وكذلك ورد تفسير القرآن عن كثير من خيار التابعين، كسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة، وقتادة، والحسن البصري ومسروق، والشعبي وغيرهم، مما يدل على أن من منع منهم من تفسير القرآن إنما كان زيادة احتياط ومبالغة في التورع.

ولعلهم – رضي الله عنهم – أرادوا بهذا أن يتريث من يريد تفسير كلام الله، ثم يتريث قبل أن يتكلم فيه، ويحجم قبل أن يقدم، وأن يكونوا قدوة حسنة لمن سيجيء بعدهم. وعسى أن يكون في موقفهم هذا مع جلالتهم وعلمهم بالقرآن مذكر لهؤلاء الذين يتجاوزون

---

(1) الإتقان جـ 2 ص 179، 183.
(2) تفسير ابن كثير والبغوي ج 2 ص 270، 271.
(3) آل عمران: 187.
(4) تفسير ابن كثير والبغوي ج 1 ص 14.

ظهورهم ويهجمون على تفسير القرآن بغير علم، ويتطاولون حتى إن بعضهم ناقض، ونسج الرسيد، وسفه، وهجر من القول

* * *

جواز التفسير بالرأى والاجتهاد

وبما كانت الأدلة التي يستند إليها المانعون من التفسير بالاجتهاد لم تنهض أمام البحث والنظر، فقد تبين للباحث المنصف جواز التفسير بالرأى المستند للتفسير. والاجتهاد الذي توفرت لصاحبه أسبابه، وهي العلوم التي ذكرناها في صدر الكتاب. ولو منعنا تفسير القرآن بالاجتهاد لتعطلت معنى التدبر والتأمل في القرآن الذي حث الله عليه في غير آية (١)، ولتعطلت كثير مما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الأحكام والآداب، ولما كانت معارفه وعلومه التي لا يزال يظهر منها في كتاب الله كل يوم جديد

وليس من شك في أن الصحيح الثابت المروي في تفسير القرآن عن النبي ﷺ قليل بالنسبة إلى ما لم يرو عنه فيه شيء، وكذلك ما روي عن الصحابة والتابعين لم يستوعب كل آيات الكتاب الكريم هذا إلى ما فيه من الضعيف، والموضوع، والإسرائيليات وهو شيء كثير ولا سيما في الآيات الكونية، التي يتجدد العلم فيها عصراً بعد عصر، ويظهر بطلان ما فسرت به على طريق اليقين. فكان لا بد إذن من فتح باب الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم، وإلا لاستعجم شيء غير قليل من آيات القرآن الكريم، وبقيت غير مفهومة المعنى، ولا معروفاً منها المراد، وهذا ينافي كونه كتاب الهداية الكبرى، والمرشد الأعظم للبشرية في عصورها اللاحقة والمعجزة العظمى، والآية الباقية لخاتم الأنبياء والمرسلين، على وجه الدهر

* * *

التفسير بالرأى المذموم، والممدوح

والخلاصة: أن تفسير القرآن بالرأى والاجتهاد نوعان

---

(١) قد ذكرت بعضها في بحوث التفسير، وكونه فرض كفاية في صدر الكتاب

« الأول » : التفسير المذموم المردود ، وهو : التفسير من غير تأهل له بالعلوم التي لابد منها للمفسر ، أو التفسير بالهوى والاستحسان ، أو التفسير المقصود به تأييد المذهب الفاسد ، والرأي الباطل ، أو تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، وهذا اللون من التفسير كثيراً ما يشتمل على المرويات الواهية ، والباطلة .

« الثاني » : التفسير الممدوح المقبول ، وهو : التفسير المبني على المعرفة الكافية بالعلوم اللغوية ، والقواعد الشرعية ، والأصولية : أصول الدين ، وأصول الفقه ، وعلم السنن والأحاديث ، ولا يعارض نقلاً صحيحاً ، ولا عقلاً سليماً ، ولا علما يقينياً ثابتاً مستقراً ، مع بذل غاية الوسع في البحث والاجتهاد والمبالغة في تحري الحق والصواب ، وتجريد النفس من هوى ، والاستحسان بغير دليل ، ومع مراقبة الله سبحانه ، المراقبة في كل ما يقول .

* * *

المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم

على من يفسر كتاب الله ــ تعالى ــ أن يبحث عن تفسيره في القرآن فإن لم يجد فليطلبه فيما صح وثبت في السنة ، فإن لم يجد فيطلبه في أقوال الصحابة ، وليتحاش الضعيف ، والموضوع ، والإسرائيليات ، وإن لم يجد في أقوال الصحابة ، فليطلبه في أقوال التابعين ، وإن أجمعوا على شيء كان ذلك أماره ــ غالباً ــ على تلقيه عن الصحابة ، وإن اختلفوا ، تخير من أقوالهم ، ورجح ما يشهد له الدليل ، فإن لم يجد في أقوالهم ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية بكونه ضعيفاً ، أو موضوعاً أو من الإسرائيليات التي حملها عن أهل الكتاب الذين أسلموا : فليجتهد رأيه ولا يألو ، أي لا يقصر ، إذا استكمل أدوات هذا الاجتهاد ، وعليه أن يراعي القواعد الآتية

١ ــ أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسَّر للمفسِّر ، وأن يتحرز في ذلك عن نقص ما يحتاج إليه في إيضاح المعنى ، أو زيادة لا تليق بالغرض ، أي لا يوجز فيخل ، ولا يطيل ويستطرد فيمل

٢ ـ أن يعنى بأسباب النزول ، فإن أسباب النزول كثيراً ما تعين على فهم المراد من الآية(١).

٣ ـ أن يعنى بذكر المناسبات بين الآيات ، لأن في ذلك الإفصاح عن خصيصة من خصائص القرآن الكريم وهي : الإعجاز ، وللمناسبات في الكشف عن أسرار الإعجاز ضلع كبير.

وقد اختلفت مناهج المفسرين في هذين الأخيرين ، فمنهم من يذكر المناسبة ، لأنها المصححة لنظم الكلام ، وهي سابقة عليه . وبعضهم يذكر السبب أولاً ، لأن السبب مقدم على المسبب.

والتحقيق : التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ ، إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ، إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(٢) ، فهذا ينبغي فيه تقديم السبب على المناسبة ، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ، وإن لم يتوقف وجه المناسبة على ذلك فالأولى تقديم المناسبة على سبب النزول لبيان تآلف نظم القرآن ، وتناسقه ، وأخذ آياته بعضها بحجز بعض.

٤ ـ أن يجرد نفسه من الميل إلى مذهب معين ، حتى لا يحمله ذلك على تفسير القرآن على حسب رأيه ومذهبه ، ولا يزيغ بالقرآن عن منهجه الواضح ، وطريقه المستقيم.

٥ ـ مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ، حتى لا يصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بصارف ، ولتقدم الحقيقة الشرعية على اللغوية وكذلك الحقيقة العرفية ، وليراع حمل كلام الله على معان جديدة أولى من حمله على التأكيد ، وليراع الفروق الدقيقة بين الألفاظ.

---

(١) فإن معرفة سبب النزول يبين لنا ارتباط الآية بقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ الآيات ، فقد فضل اليهود دين الوثنية على دين التوحيد ، فكان ذلك منهم خيانة للأمانة التي أخذها الله عليهم أن يقولوا الحق ولا يجحدوا واستحقوا بهذا التوبيخ والوعيد ، فناسب بعد هذا أن يذكر بالأمانة العامة بقوله ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ﴾
(٢) النساء : ٥٨

٦ ـ مراعاة تأليف الكلام، والغرض الذي سيق له، وأن ذلك يعينه على فهم المعنى المراد، وإصابة الصواب. قال الزركشي في البرهان: ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي، لثبوت التجوز.

٧ ـ يجب على المفسر أن يبدأ أولاً بتفسير المفردات، ويحقق معناها، ثم يتكلم عليها حسب التركيب، فيبدأ بالإعراب إن كان خفياً، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم ما يستنبط من الآيات من الأحكام والآداب. وليراع المفسر القصد فيما يذكر من اللغويات، أو النحويات، أو البلاغيات، أو الأحكام، حتى لا يطغى ذلك على جوهر التفسير.

٨ ـ التحامي عن ذكر الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، والروايات المدسوسة من الإسرائيليات ونحوها، حتى لا يقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين السابقين من الموضوعات، والإسرائيليات في أسباب النزول، وقصص الأنبياء والسابقين، وبدء الخلق والمعاد ونحوها. ومن هنا تتبين أهمية هذا الموضوع في البحث الذي هو المقصود من هذا الكتاب.

غلبة الضعف على التفسير بالمأثور

قلنا: إن التفسير بالمأثور يشمل تفسير القرآن الكريم، بالقرآن أو بالسنة أو بأقوال الصحابة، والتابعين.

فأما تفسير القرآن بالقرآن، فهو لا مجال للطعن فيه، ولا الاعتراض، وإنما يأتي الضعف من المفسر، أن يفسر الشيء بما ليس بتفسير له عند التحقيق.

وأما تفسير القرآن بما صح وثبت عن النبي ﷺ فهو من الحق والواجب، وليس لأحد أن يرفضه، أو يتوقف فيه، بعد ثبوته، وقد صح عن الأئمة الأربعة المجتهدين في الأحكام، أن كل واحد منهم قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط»(1) وإذا كان هذا في الحلال والحرام، فما بالك بالتفسير الذي لا يتعلق

---

(1) عرض الحائط: أي جانبه والمراد طرحه وعدم الأخذ به.

بالحلال والحرام ؟ ، به واجب الاتباع من باب أولى ، وأما الضعيف والموضوع المختلق على النبي : فأحرى به أن يرد .

وأما تفاسير الصحابة والتابعين ، وهي أكثر من أن تحصى ففيها الصحيح ، والحسن ، والضعيف والموضوع ، والإسرائيليات ، التي تشتمل على خرافات بني إسرائيل ، وأكاذيبهم ، وقد تدسست إلى الكتب الإسلامية ، ولاسيما كتب التفسير ، وأصبحت تكون ركاما ، تجمعاً مجموعاً من هنا وهناك ، سواء في ذلك ما كان خاصاً بالتفسير المأثور وما جمع بين المأثور وغيره ، فما كان من هذه الروايات صحيحاً أو حسناً : أخذنا به ، وما كان ضعيفاً ، أو واهياً ، أو موضوعاً ، أو من الإسرائيليات نبذناه ولا كرامة

ملاحظة الأئمة القدامى لهذه الظاهرة :

وقد تنبه العلماء المحدثون القدامى ، إلى هذه الظاهرة ، وهي غلبة الضعف على الرواية بالمأثور . فقد روي عن الإمام الجليل أحمد بن حنبل أنه قال : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم ، والمغازي » وقال المحققون من أصحاب الإمام : مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحيحة متصلة ، وإلا فقد صح من ذلك شيء غير قليل ، كما قلنا فيما سبق . وحققناه ، وقيل : لأن الغالب عليها المراسيل (١)

وروي عن الإمام الكبير الشافعي أنه قال : « لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث » ، ومهما كان في هذه الكلمة من مبالغة ، فهي تدل على كثرة ما وضع على ابن عباس ، وألصق به ، ونسب إليه زوراً

أسباب الضعف في التفسير بالمأثور

لقد دخل الوضع والكذب في الحديث ، فلا جرم أن دخل في التفسير بالمأثور ، فقد كان التفسير كما قلنا جزءاً من الحديث ، وإن أقدم كتاب وصل إلينا في الحديث وهو : موطأ الإمام مالك اشتمل على « كتاب التفسير » ، وقد سار على هذا بعض مؤلفي في

(١) المرسل عند جمهور المحدثين : هو ما رواه التابعي عن النبي ﷺ من غير ذكر الصحابي ، وأما المرسل عند الفقهاء وبعض المحدثين فهو : ما لم يتصل إسناده على أي وجه ، سواء أكان المحذوف الصحابي أم غيره ، وسواء أكان المحذوف واحداً من الرواة ، أو أكثر .

الحديث ، حتى بعد أن انفصل التفسير عنه أعني التحقيق ، وصار علماً مستقلاً ، كما ذكرنا .

ويرجع الضعف والوضع في التفسير بالمأثور إلى أسباب أهمها .

١ ـ ما دسه الزنادقة من اليهود والفرس والرومان وغيرهم في الرواية الإسلامية فقد دخل هؤلاء الإسلام وهم يضمرون له الشر والحقد والكيد ، وتستروا بالإسلام ، بل بالغ بعضهم في التستر فتظاهر بحب آل بيت النبي ـ ﷺ ـ ، ولما كانوا لا يمكنهم مواجهة سلطان الإسلام لا عن طريق الحرب والعداوة الظاهرة ، ولا عن طريق الحجة والبرهان ، فقد توصلوا إلى أغراضهم الدنيئة عن طريق الوضع ، والاختلاق ، والدس في المرويات الإسلامية عن النبي ـ ﷺ ـ وعن الصحابة ، والتابعين ، وكان للتفسير ـ ولا ريب ـ كفل من هذا . وكان هذا الصنف من أخبث الوضاعين ، فقد وضعوا على النبي أحاديث يخالفها المحسوس ، أو يناقضها المعقول ، أو تشهد أذواق الحكماء بسخافتها ، وإسفافها ، مما لا يليق بالعقلاء

٢ ـ الخلافات السياسية والمذهبية فقد سولت هذه الخلافات لأرقاء الدين ، وضعفاء الإيمان أن يضعوا أحاديث تؤيد مذاهبهم ، وأحاديث في فضائل متبوعيهم ، وفي مثالب مخالفيهم وذلك كما فعل الشيعة ، ولاسيما الروافض . فقد وضعوا في فضل سيدنا علي وآله أحاديث كثيرة ، ونسبوا إليه كل علم وفضل ، ومنه ما يتعلق بتفسير بعض آيات القرآن ، وبأسباب النزول ، كما وضعوا أحاديث في ذم الصحابة : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وغيرهم

وكذلك فعل أنصار العباسيين ، فقد وضعوا على ابن عباس روايات كثيرة ، ولاسيما في تفسير القرآن ، وصوروه بصورة العالم بكل شيء وقولوه ما لم يقل ، كما وضعوا أحاديث في مثالب الأمويين وذمهم ، وقابلهم أنصار الأمويين بالمثل ، فضلاً عن أعقل العقلاء . وإنما يقصدون بذلك المكيدة لضعفاء الأحلام ، وأرقاء الدين ، حتى يقعوا في ريبة فتتزلزل من نفوسهم عقيدة أن الإسلام تنزيل من حكيم عليم

قال ابن قتيبة[1] « الحديث مدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة : الزنادقة ، واجتيالهم للإسلام ، وتهجينه بدس الأحاديث المستبشعة ، والمستحيلة ، كالأحاديث في

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٥٥

قدمنا ذكره من عرق الخيل، وعيادة الملائكة. وقفص الذهب على جمل أورق، وزغب الصدر ونور الذراعين، مع أشياء ليست تخفى على أهل الحديث»[1]

وقال حماد بن زيد: «وضعت الزنادقة أربعة عشر ألف حديث» وما جيء بعبد الكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة، إلى عمه محمد بن سليمان بن علي العباسي، أمير البصرة، بعد سنة مائة وستين في زمن المهدي، اعترف حينئذ بوضع أربعة آلاف حديث، يحرم فيها الحلال، ويحل فيها الحرام. وكان عبد الكريم هذا منهم بطاقية، وكان يضع الحديث بأسانيد يغتر بها من لا معرفة له بالجرح والتعديل. وتلك الأحاديث ضلالات في التشبيه، والتعطيل، وبعضها يعبث بأحكام الشريعة[2]. كما كان ينسب إلى الرافضة في الظاهر، ووضع لهم الأحاديث التي أعجبوا بها[3]. وقد كان الزنادقة حملوا الكثير من الخرافات والأباطيل، مما هو مسطور في كتبهم، ودسوها في الرواية الإسلامية وفسروا بها بعض الآيات القرآنية، ونسبوها زوراً إلى النبي، أو الصحابة، والتابعين، فجاء من لا يعلم الحقيقة فطعن في الإسلام بسبب هذه المرويات الباطلة مثل حديث: عوج بن عنق، وأمثاله وقد ناهض العلماء حركة الزندقة ناسبين إلى ضلالاتهم ودسهم: كما قاومهم الخلفاء، والأمراء بقتلهم، وصلبهم.

وكذلك فعل الخوارج[4]، والقدرية[5]، والمرجئة[6]، والكرامية[7]، والباطنية[8]

---

(1) حديث عرق الخيل هو ما روي كذباً «أن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل وأجراها، فعرقت فخلق نفسه [illegible] من ذلك العرق». هذا موضوع وضعه الزنادقة ليشنعوا على أهل الحديث في روايتهم المستحيل، وهو كما ترى باطل عقلاً وشرعاً. أما حديث عيادة الملائكة فهو ما روي كذباً «أن الله اشتكى عيناه فعادته الملائكة». أما حديث قفص الذهب فنقل مرد به ما روي كذباً [illegible] عشية عرفة على جمل أورق [illegible] وهو من أعظم الكذب [illegible] حديث زغب الصدر، فهو ما روي زوراً «خلق الله تبارك وتعالى الملائكة من شعر ذراعيه وصدره أو نوره».

(2) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٦

(3) التبصير : الإسفراييني ص ٨١

(4) هم الذين خرجوا على علي؛ ومعاوية وأتباعهما بعد قبولهما التحكيم وقالوا: «لا حكم إلا لله».

(5) القدرية: هم الذين ينكرون القدر، ويقولون بخلق أفعال العباد الاختيارية، فقد نفوها عن الله، ونسبوها لأنفسهم

(6) المرجئة: هم الذين يؤخرون الأعمال عن الإيمان، ويقولون: «لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة».

وأنصارهم ، فقد وضعوا أحاديث تؤيد مذاهبهم ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم إنه بسبب تطرف هؤلاء وضلالهم ، دخلت الرافضة الإمامية ثم الفلاسفة ، ثم القرامطة (١) وغيرهم فيما هو أبلغ من ذلك . وتفاقم الأمر في الفلاسفة ، والقرامطة ، والرافضة ، فإنهم فسروا القرآن بأنواع لا يقضي العالم منها عجبه . فتفسير الرافضة كقولهم : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ هما أبو بكر وعمر . وقوله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (٢) أي : بين أبي بكر ، وعمر ، وعلي في الخلافة ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ (٣) هي عائشة وقوله : ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ (٤) : طلحة والزبير ، وقوله ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ علي وفاطمة ، وقوله : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (٥) الحسن والحسين ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٦) هو علي ، ويذكرون الحديث الموضوع بإجماع أهل العلم ، وهو تصدقه بخاتمه في الصلاة وكذلك قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (٧) نزلت في علي لما أصيب بحمزة ، ومما يقارب هذا من بعض الوجوه : ما يذكره كثير من المفسرين في مثل قوله : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (٨) : إن « الصابرين » : رسول الله ، و « الصادقين » أبو بكر ، و « القانتين » : عمر ، و « المنفقين » : عثمان ، و « المستغفرين » : علي ، وفي مثل قوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ : أبو بكر ، ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ عمر ، ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ : عثمان ، ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ (٩) علي ، وأعجب من ذلك :

تتمة (٧) هم أتباع محمد بن كرام السجستاني

(٨) هم الذين يقولون : إن للقرآن ظاهراً وباطناً ، والمراد باطنه ، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشرة .

(١) القرامطة فرقة من الباطنية تنسب إلى قرمط الذي دعا إلى مذهبه ، وهو رجل يسمى حمدان قرمط ، وهي من قرى واسط

(٢) الزمر : ٦٥ (٣) البقرة : ٦٧ (٤) التوبة : ١٢ (٥) الرحمن : ١٩ ، ٢٢

(٦) المائدة : ٥٥ .

(٧) البقرة : ١٥٧

(٨) آل عمران : ١٧

(٩) الفتح : ٢٩

قول بعضهم: ﴿وَالتِّينِ﴾: أبو بكر، ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾: عمر، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: عثمان، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[1]: علي، وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تفسير اللفظ بما لا يدل عليه[2]، وقد أطلت القول في هذا في كتابي: «الوضع في الحديث وآثاره السيئة في كتب العلوم»[3].

* * *

٣ - القُصَّاص: فقد كانت هناك فئة تقص بالمساجد، وتذكر الناس، وترغبهم وترهبهم، ولما كان هؤلاء ليسوا من أهل العلم بالحديث، وكان غرضهم من ذكر القصص استمالة العوام، فقد اختلقوا بعض القصص الباطل، وروجوا لبعض الآخر مما ذكرهم له، وفي هذا الكثير من الإسرائيليات والخرافات والأباطيل، وقد تلقفها الناس منهم؛ لأن من طبيعة العوام الميل إلى العجائب والغرائب.

ويعجبني في هذا: ما ذكره ابن قتيبة عن القصاص، قال: فإنهم يميلون وجه العوام إليهم، ويستدرون ما عندهم بالمناكير، والأكاذيب من الأحاديث، ومن شأن العوام: القعود عند القاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب، فإذا ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران وعجيزتها ميل في ميل، ويبوئ الله وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء، فيها سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، ولا يزال هكذا في السبعين ألفاً، لا يتحول عنها.

ومن هؤلاء القصاص: من كان يبغي الشهرة والجاه بين الناس، ومنهم: من كان يقصد التعيش والارتزاق، ومنهم: من كان سيء النية خبيث الطوية، يقصد الإفساد في الدين، وحجب جمال القرآن بما يحشره فيه من أباطيل وخرافات.

وقد حدثت بدعة القص في آخر عهد الفاروق عمر - رضي الله عنه -، وقد كان ملهماً حقاً، حينما أبى أن يقص قاص في المسجد، وفيما بعد صار حرفة، ودخل فيه من لا خلاق له في العلم، وقد ساعدهم على الاختلاق: أنهم لم يكونوا من أهل الحديث

---

(١) سورة التين: ١ - ٣.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ٣٨ - ٤٠.

(٣) من الرسالة التي نلت بها العالمية من درجة أستاذ «الدكتوراه» ولم تطبع بعد، وقد تولد منها كتابان: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، والثاني: هذا الكتاب.

والحفظ ، وغالب من يحضرهم جهال ، فحالوا ، وصالوا ، في هذا ميدان ، وأتوا ، لا ينقضى منه العجب .

ومن مصدقاتهم في هذا ما روى أنه صلى أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين بمسجد الرصافة ، فقام من أيديهم قاص ، فقال حدثنا أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، قالا : حدثنا عبدالرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان » ، وأخذ في قصة نحو من عشرين ورقة ! فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ، ويحيى ينظر إليه فقال : أنت حدثته بهذا ؟ فقال : والله ما سمعت بهذا إلا الساعة ، فلما انتهى أشار له يحيى ، فجاء متوهماً نوالا ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا ؟ قال أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، فقال : أنا يحيى ، وهذا أحمد ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ، فإن كان ولا بد فعلى غيرنا ، فقال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل أحمقان ، ما تحققته إلا الساعة ، فقال له يحيى : وكيف ؟ قال كأنه ليس في الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما . لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين !! فما كان منهما إلا أن رضيا من الغنائم بالسلامة .

ومن ذلك ، فلعلهم لو أطالا معه القول ، لنالهما ما نال الشعبي ، فقد دخل مسجدا ، فإذا رجل عظيم اللحية ، وحوله ناس يحدثهم ، وهو يقول : إن الله خلق صورين ، في كل صور نفختان ، قال فخففت صلاتي ، ثم قلت له : اتق الله يا شيخ ، إن الله لم يخلق إلا صوراً واحداً فقال لي يا فاجر أن يحدثني فلان ، وفلان ، وترد علي ، ثم رفع نعله ، وضربني فتتابع القوم علي ضرباً ، فوالله ما أقلعوا عني حتى قلت لهم إن الله خلق ثلاثين صوراً في كل صور نفختان !! وهكذا كان القصّاص مصدر شرّ وبلاء على الإسلام والمسلمين .

* * *

٤ - بعض الزُّهَّاد والمتصوِّفة : فقد استباح هؤلاء لأنفسهم وضع الأحاديث والقصص في الترغيب ، والترهيب ، ونحوهما ، وتأولوا في الحديث المتواتر المعروف :

﴿من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار﴾ ، وقالوا : إنما نكذب للنبي ولا نكذب عليه[1] وهو جهل منهم باللغة والشرع ، فكل ذلك كذب عليه ، لأن الكذب هو عدم مطابقة الأمر للواقع ، فكل من نسب إلى النبي ، أو إلى الصحابة ، أو إلى التابعين ما لم يقولوه ، فقد كذب عليهم ، قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال : « رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ، ومغازي محمد بن إسحاق ، فوضعت هذا حسبة لوجه الله » ، وعن طريق هؤلاء دخل في التفسير شيء كثير

* * *

٥ ـ النقل عن أهل الكتاب الذين أسلموا ككعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الداري وأمثالهم ، وقد حمل هؤلاء الكثير من المرويات المكذوبة ، والخرافات الباطلة ، الموجودة في التوراة وشروحها ، وكتبهم القديمة التي تلقوها عن أحبارهم ورهبانهم جيلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف ، ولم تكن هذه الإسرائيليات والمرويات مما يتعلق بأصول الدين ، والحلال والحرام ، وهي التي جرى العلماء من الصحابة والتابعين ، فمن بعدهم على التثبت منها ، والتحري عن رواتها ، وإنما كانت فيما يتعلق بالقصص ، وأخبار الأمم الماضية ، والملاحم[2] ، والفتن ، وبدء الخلق ، وأسرار الكون ، وأحوال يوم القيامة

وقد نبه إلى هذا بعض الأئمة القدامى ، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، في أثناء الكلام عن تفاسير الصحابة ، قال : « وهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير[3] ، في تفسيره عن هذين الرجلين : ابن مسعود ، وابن عباس ، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب ، التي أباحها رسول الله ـ ﷺ ـ حيث قال : « بلغوا عني ، ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل

---

(١) أي لترويج دينه وشريعته ، لا للطعن فيه
(٢) جمع ملحمة وهو الوقائع العظيمة
(٣) السدي الكبير مختلف فيه : فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه ، أما السدي الصغير فهو متهم بالكذب

ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخارى ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ . ولقد كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين[1] من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث ، من الإذن فى ذلك . ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد[2] وقد أطال فى رده على البكرى ، منكراً عليه استدلاله بالحديث الذى يرويه ، عن استشفاع آدم بالنبى ﷺ : هذا الحديث . وأمثاله لا يحتج به فى إثبات حكم شرعى ، لم يسبقه أحد من الأئمة إليه .. فإن هذا الحديث لم ينقله أحد عن النبى ـ ﷺ ـ . لا بإسناد حسن ، ولا صحيح ، بل ولا ضعيف يستأنس به ، ويعتضد به ، وإن نقل هذا وأمثاله كما تنقل الإسرائيليات التى كانت فى أهل الكتاب وتنقل عن مثل كعب ، ووهب ، وابن إسحق ، ونحوهم ، ممن أخذ ذلك عن مسلمة أهل الكتاب أو غير مسلمتهم ، كما روى : أن عبد الله بن عمرو وقعت له صحف يوم اليرموك من الإسرائيليات . وكان يحدث منها بأشياء »[3]

وقد وافق ابن تيمية على مقالته أحد تلامذته ، وهو الإمام الحافظ المفسر ابن كثير ، فذكر نحوا من ذلك فى مقدمة تفسيره[4]

وقد جاء بعد ابن تيمية الإمام العالم المؤرخ ، واضع أساس علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون ، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، فأبان عن ذلك بأوفى وأتم من هذا فى مقدمته المشهورة فى أثناء الكلام عن علوم القرآن من التفسير والقراءات ، قال : « وصار التفسير على صنفين : تفسير نقلى ، مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف . وهى : معرفة الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، ومقاصد الآى . وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين ، وقد جمع المتقدمون فى ذلك ، وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث ، والسمين ، والمقبول ، والمردود .

(١) الزاملة البعير الذى يحمل عليه من حمل وغيره
(٢) مقدمة فى أصول التفسير ص ٤٥
(٣) الرد على البكرى ص ٦
(٤) تفسير ابن كثير والبغوى ج ١ ص ٨

والسبب في ذلك : أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ، ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة ، والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل الكتاب الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير ، الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم ـ مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها ـ ، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان[1] ، والملاحم ، وأمثال ذلك ، وهؤلاء مثل : كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وعبدالله بن سلام ، وأمثالهم . فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم ، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام ، فتتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها ، كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، إلا أنهم بعد صيتهم ، وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ »[2]

وفي كتب التفسير من هذه الإسرائيليات خرافات وطامات ، والكثير منها لم ينبه ناقلوه على أصله ، ولم يوقف على قائله ، فكانت مثاراً للشك ، والطعن ، والتقول على الإسلام ونبيه ـ ﷺ ـ .

* * *

٦ ـ نقل كثير من الأقوال ، والآراء المنسوبة إلى الصحابة والتابعين من غير إسناد ، ومن غير تحرٍّ عن رواتها ، فمن ثَمَّ التبس الصحيح بالضعيف ، والحق بالباطل ، وصار كل من يقع على رأي يعتمده ويورده ، ثم يجيء من بعدهم فينقله على اعتبار أن له أصلاً ، وتحسيناً للظن بقائله ، ولا يكلف نفسه مؤنة البحث عن منشأ الرواية ، وعمن رويت ، ومن رواها عنه

---

(١) حدثان الدهر : أحداثه المشهورة .
(٢) مقدمة ابن خلدون ، بحث التفسير ص ٣٦٨ ط الأزهرية .

خطورة رفع هذه الإسرائيليات إلى النبي ﷺ

ولو أن هذه الإسرائيليات – ولا سيما المكذوب، والباطل منها – وقفت بها عند قائليها، لكان الأمر محتملاً بعض الشيء، ولكن الشنيعة وكبر الإثم أن بعض الزنادقة، والوضاعين، وضعفاء الإيمان، قد رفعوا هذه الإسرائيليات إلى المعصوم ﷺ، ونسبوها إليه صراحة وهنا يكون الضرر الفاحش والجناية الكبرى على الإسلام، والتجني الآثم على النبي – ﷺ –، فإن نسبة الغلط، أو الخطأ، أو الكذب إلى الراوي – أيا كان – أهون بكثير من نسبة ذلك إلى النبي – ﷺ –.

وإن ما اشتملت عليه بعض الإسرائيليات من الخرافات، والأباطيل لتصد أي إنسان مهما بلغ من التسامح في هذا العصر، الذي نعيش فيه عن الدخول في الإسلام، وتحمله على أن ينظر إليه نظرة الشك، والارتياب.

ولهذا ركز المبشرون، والمستشرقون طعونهم في الإسلام، ونبيه على مثل هذه الإسرائيليات والموضوعات، لأنهم وجدوا فيها ما يسعفهم على ما نصبوا أنفسهم له من الطعن في الإسلام، وإرضاء صليبيتهم التي رضعوها في لبان أمهاتهم.

وهذه الأباطيل والخرافات مهما بلغ إسنادها من السلامة من الطعن فيه، لا شك في تبرئة ساحة النبي – ﷺ – منها ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

الموقوف من الإسرائيليات على الصحابة والتابعين.

ولو أن هذه الإسرائيليات جاءت مروية صراحة عن كعب الأحبار، أو وهب بن منبه، أو عبدالله بن سلام، وأضرابهم، لدلت بعزوها إليهم أنها مما حملوه، وتلقوه عن كتبهم، ورؤسائهم قبل إسلامهم، ثم لم يزالوا يذكرونه بعد إسلامهم، وأنها ليست مما تلقوه عن النبي أو الصحابة، ولكانت تشير بنسبها إليهم إلى مصدرها، ومن ثم حاكمة بأن الرواية الإسلامية بريئة منها.

ولكن بعض هذه الإسرائيليات – بل الكثير منها – جاء موقوفاً على الصحابة ومنسوباً إليهم – رضي الله عنهم –، فظن من لا علم بحقيقة الأمر، ومن ليس من أهل العلم بالحديث أنها متلقاة عن النبي – ﷺ –، لأنها من الأمور التي لا مجال للرأي فيها، فلها

حكم المرفوع إلى النبي ، وإن لم تكن مرفوعة صراحة

تحوُّط دقيق للمحدثين

وقد كان أئمة علم أصول الحديث ، والرواية ، أبعد نظراً ، وأصح تفكيراً ، وأوسع اطلاعاً ، وأدق في تقعيدهم لقواعد النقد في الرواية حينما قالوا : إن الموقوف على الصحابة يكون له حكم المرفوع إلى النبي بشرطين :

١ ـ أن يكون مما لا مجال للرأي فيه

٢ ـ أن لا يكون راويه معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا وبرواية الإسرائيليات . ومن ثم يجد الباحث الحصيف المنصف مخارج هذه الروايات الموقوفة على الصحابة ، وهي في نفسها مكذوبة وباطلة فهي : إما إسرائيليات ، أخذها بعض الصحابة الذين رووها ، عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، ورووها لما فيها من الغرائب والعجائب ، ولم ينبهوا على كذبها وبطلانها اعتماداً على ظهور كذبها وبطلانها ، ولعلهم نبهوا إلى كذبها وعدم صحتها ، ولكن الرواة لم ينقلوا هذا عنهم . وإما أن تكون مدسوسة على الصحابة ، وضعها عليهم الزنادقة ، والملحدون ، كي يظهروا الإسلام وحملته بهذا المظهر المنتقد المشين . وإما مما يحتمل الصدق والكذب منها ، وليس فيه ما يصادم نقلاً صحيحاً ، أو عقلاً سليماً ، فذكروه ، فهموه من الإذن لهم في روايتها من قوله ﷺ : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » ، وهذا النوع أقل خطراً من الأول ، إلا أنه لا فائدة تذكر من الاشتغال به ، بل كان صارفاً عن فهم القرآن ، وتفسيره الصحيح .

وكذلك جاء الكثير جداً من هذه الإسرائيليات عن التابعين ، وحملتها عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، أكثر من احتمال أخذها عن الصحابة ، ومنشؤها في الحقيقة هو ما ذكرت لك ، وهي : التوراة وشروحها ، والتلمود وحواشيه ، وما تنقلوه عن أحبارهم ، ورؤسائهم الذين افتروا ، وحرفوا وبدلوا ، ورواتها الأول ، هم : كعب الأحبار ، ووهب بن منبه وأمثالهما . والنبي ـ ﷺ ـ والصحابة رضوان الله عليهم ـ بريئون من هذا .

ويجوز أن يكون بعضها مما ألصق بالتابعين ، ونسب إليهم زوراً ولاسيما أن أسانيد

معظمها لا تخلو من ضعيف أو مجهول ، أو متهم بالكذب ، أو الوضع ، أو معروف بالزندقة ، أو مغمور في دينه وعقيدته

بعض الإسرائيليات قد يصح السند إليها

ولعل قائلاً يقول : أما ماذكرت من احتمال أن تكون هذه الروايات الإسرائيلية مختلقة ، موضوعة على بعض الصحابة والتابعين ، فهو إنما يتجه في الروايات التي في سندها ضعيف أو مجهول ، أو وضاع ، أو متهم بالكذب ، أو سيء الحفظ ، يخلط بين المرويات ، ولا يميز ، أو نحو ذلك ، ولكن بعض هذه الروايات حكم عليها بعضُ حفاظ الحديث ، بأنها صحيحة السند أو حسنة السند ، أو إسنادها جيد ، أو ثابت ، ونحو ذلك ، فماذا تقول فيها ؟!

والجواب : أنه لا منافاة بين كونها صحيحة السند ، أو حسنة السند أو ثابتة السند ، وبين كونها من إسرائيليات بني إسرائيل ، وخرافاتهم ، وأكاذيبهم فهي صحيحة السند إلى ابن عباس ، أو عبدالله بن عمرو بن العاص ، أو إلى مجاهد ، أو عكرمة ، أوسعيد بن جبير وغيرهم ، ولكنها ليست متلقاة عن النبي ، لا بالذات ، ولا بالواسطة ولكنها متلقاه عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، فثبوتها إلى من رويت عنه شيء ، وكونها مكذوبة في نفسها ، أو باطلة ، أو خرافة ، شيء آخر ، ومثل ذلك : الآراء والمذاهب الفاسدة اليوم ، فهي ثابتة عن أصحابها ، ومن آرائهم ولا شك ، ولكنها في نفسها فكرة باطلة ، أو مذهب فاسد .

رواية الكذب ليس معناه أنه هو الذي اختلقه :

ونحب أن ننبه هنا إلى حقيقة ، وهي : أنه ليس معنى أن هذه الإسرائيليات المكذوبات والباطلات مروية عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبدالله بن سلام ، وأمثالهم أنها من وضعهم ، ومن اختلاقهم ، كما زعم ذلك بعض الناس اليوم ، وإنما معنى ذلك ، أنهم هم الذين رووها ، ونقلوها لبعض الصحابة والتابعين من كتب أهل الكتاب ومعارفهم ، وليسوا هم الذين اختلقوها ، وإنما اختلقها ، وافتجرها أسلافهم القدماء

ولم يقل أحد من أئمة الجرح والتعديل على حصافتهم ، وبعد نظرهم أن كعباً ،

ووهباً، وعبد الله بن سلام، وتميم الداري، وأمثالهم كانوا وضاعين، يتعمدون الكذب، والاختلاق من عند أنفسهم، وكل ما الذي قالوه عنهم: أنهم كانوا هم الواسطة في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين، وأن البعض رواها عنهم، فليس الذنب ذنبهم، وإنما الذنب ذنب من نقلها، ورواها عنهم، من غير بيان لكذبها وبطلانها.

ولما كانت رواية الإسرائيليات تدور غالباً على كعب، ووهب ابن منبه، وعبد الله بن سلام، وأنهم هم الذين كان الاتهام منصباً عليهم أكثر من غيرهم، سأذكر لكل منهم ترجمة، كي يتبين للمنصف آراء أئمة الجرح والتعديل فيه.

١ ـ عبد الله بن سلام

هو: أبو يوسف عبد الله بن سلام[١] بن الحارث من بني قينقاع، وهو من ذرية يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ، وكان اسم عبد الله بن سلام في الجاهلية الحصين، فسماه النبي ـ ﷺ ـ عبد الله، رواه ابن ماجه. وكان من حلفاء الخزرج من الأنصار، أسلم أول ما دخل النبي ـ ﷺ ـ المدينة[٢]. ولإسلامه قصة ذكرها البخاري في صحيحه، وذلك: أن النبي مدة مقامه في دار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري قدم عليه أحد أحبار اليهود وعلمائهم، وهو عبد الله بن سلام، وكان يعلم من كتبهم أوصاف النبي المبعوث في آخر الزمان فلما جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ سأله بعض أسئلة، تأكد منه أنه نبي لأنه ما يعلمها إلا نبي مرسل، فأسلم، وقال للرسول: لا تعلن إسلامي حتى تسأل اليهود عني، لأنهم إن علموا بإسلامي سيبهتونني، فأرسل إليهم النبي وسألهم عنه، فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، فلما أخبرهم بإسلامه، قالوا: شرنا وابن شرنا. وإليك هذه القصة، كما رواها البخاري في صحيحه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ، قال في حديث هجرة النبي، وصحبة الصديق إلى المدينة: «فلما جاء نبي الله ـ ﷺ ـ جاء

---

(١) بفتح السين، وتخفيف اللام.
(٢) فتح الباري ج ٧ ص ١٠١ ط البهية.

عبد الله بن سلام ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم ، وابن سيدهم ، وأعلمهم ، وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني ، قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ . فأرسل نبي الله ـ ﷺ ـ فأقبلوا ، فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ : يا معشر اليهود ، ويلكم ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، فأسلموا ، قالوا : ما نعلمه ، قالوا للنبي ـ ﷺ ـ ، قالها ثلاث مرار[1] ، قال : فأي رجل فيكم عبد الله ابن سلام ؟ . قالوا ذاك سيدنا ، وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : « أفرأيتم إن أسلم » ؟ . قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم .. (وكررها ثلاثاً وأجابوه كذلك ثلاثاً) ، قال : « يا ابن سلام ، اخرج عليهم » ، فخرج عليهم ، فقال : يا معشر اليهود : اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت . وفي رواية أخرى . أنهم قالوا : شرنا ، وابن شرنا ، وتنقصوه قال : هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[2] . وقد أسلم بإسلامه أهل بيته . وعمة له تسمى : خالدة[3]

وقد بشره النبي ـ ﷺ ـ بأنه من أهل الجنة ، وقالوا . إنه فيه نزلت الآية الكريمة : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾[4] الآية ، روى البخاري في صحيحه بسنده ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : وما سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول لأحد يمشي على الأرض : إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام[5] . قال . وفيه : نزلت هذه

---

(1) يعني أن النبي ـ ﷺ ـ كرر عليهم مقالته ثلاثاً ، وهم كرروا ردهم هذه ثلاثاً

(2) صحيح البخاري ـ باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ، وباب من غير ترجمة ، وذكره قبل ـ باب إتيان يهود النبي ـ ﷺ ـ حين قدم المدينة ـ

(3) فتح الباري ج ٧ ص ٢٠٢

(4) الأحقاف الآية ١٠

(5) الظاهر أن سعداً إنما قال ذلك بعد موت معظم المبشرين بالجنة ؛ لأن عبد الله بن سلام عاش بعدهم ، ولم يتأخر معه من العشرة إلا سعد ، وسعيد ، على أن سماعه ذلك في حق عبد الله بن سلام لا ينفي سماعه مثل ذلك في حق غيره

الآية ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ الآية، وقال: لا أدري قال مالك: الآية، أو في الحديث(١).

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن قيس بن عباد، قال: كنت جالساً في مسجد المدينة، فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة. فصلى ركعتين تجوّز(٣) فيهما، ثم خرج وتبعته، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة. قال: والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم(٤). وسأحدثك لم ذاك؟ رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ، فقصصتها عليه. ورأيت كأني في روضة، ذكر من سعتها وخضرتها، وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض، وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: ارق. قلت: لا أستطيع. فأتاني منصف(٥) فرفع ثيابي من خلفي، فرقيت حتى كنت في أعلاها. فأخذت بالعروة فقيل لي: استمسك. فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي ﷺ، قال: **تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الإسلام، فأنت على الإسلام حتى تموت**. وذاك الرجل عبد الله بن سلام(٦).

وقد روى الحديث عن النبي ﷺ، وروى عنه ابناه يوسف ومحمد، وأبو هريرة، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وعطاء بن يسار وغيرهم. وشهد مع سيدنا عمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس، والجابية، وقد عده بعضهم في

---

(١) [illegible] سورة مكية [illegible] السورة مكية [illegible] لأحد [illegible] ولا مانع أن تكون السورة كلها مكية، وتكون الآية [illegible] شهادة عبد الله بن سلام.

(٢) [illegible] الحديث [illegible]

(٣) أي خففهما.

(٤) هذا من سلوكه وتواضعه [illegible] لأحد [illegible] أن يقول ما لا يعلم [illegible]

(٥) بكسر الميم وسكون النون وفتح الصاد أي خادم.

(٦) صحيح البخاري، كتاب مناقب الصحابة، باب مناقب عبد الله بن سلام.

البدريين ، وأما ابن سعد . فذكره في الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق ، ومابعدها ، وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعين من الهجرة .

فها نحن نرى : أنه كان من أعلم اليهود بشهادتهم ، وأنه كان من علماء الصحابة بعد إسلامه ، ويحسبه فضلاً : شهادة النبي ـ ﷺ ـ بأنه من أهل الجنة ، وشهادة أصحاب رسول الله له كما سمعت ، فهل يجوز في العقل أن يشهد النبي بالجنة لرجل يصدر منه الكذب ، وفي أي شيء ؟ في الحديث !! ثم هو صحابي ، والصحابة كلهم عدول ، فمن المستبعد جداً أن يكذب في الرواية ، ولم نر أحداً من علماء الجرح والتعديل ، وأئمة العلم والدين تناوله ، أو ذكر فيه ما يخدش عدالته إلا ماكان من الكتاب المتأخرين الذين تأثروا بكلام المستشرقين ، وأتباعهم ، ونوايا المستشرقين ولا سيما اليهود منهم ، نحو الإسلام ، والنبي ، والصحابة ـ موسومة بالخبث ، والعداوة ، وسوء النية ولا أدري كيف نعدل عن كلام الأئمة الأثبات ، ونأخذ بكلام المستشرقين ؟!!

ويجب أن أقرر هنا : أن حفاظ الحديث ، ونقاده البصيرين به قد تعرضوا لكل المرويات عن عبدالله بن سلام وغيره ، وبينوا الصحيح من الضعيف ، والمقبول من المردود .

ونحن لا ننفي أن عبدالله بن سلام ، روى بعض ما علمه من معارف أهل الكتاب وثقافتهم ، ورويت عنه ، ولكن الذي ننفيه : أن يكون ألصق هذه المرويات بالنبي ـ ﷺ ـ ، ونسبها إليه زوراً ، وأنه كان وضاعاً كذاباً ، ومن يرى خلاف هذا فنحن نطالبه بالحجة ، والبرهان ، وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعين للهجرة .

* * *

ـ ٢ ـ

٢ ـ كعب الأحبار :

هو : كعب بن ماتع (١) ، بن عمرو بن قيس من آل ذي رعين ، وقيل : ذي الكلاع الحميري ، وقيل : غير ذلك في اسم جده ونسبه ، يكنى أبا إسحق ، كان في حياة

---

(١) بكسر التاء المثناة بعدها عين مهملة

النبي – ﷺ – رحلاً . وكان يهودياً عالماً بكتبهم ، حتى كان يقال له : كعب الحبر ، وكعب الأحبار (١)

وكان إسلامه في خلافة سيدنا عمر ، وقيل : في خلافة الصديق ، وقيل : إنه أسلم في عهد النبي – ﷺ – ، ولكن تأخرت هجرته ، فلم يره ، والأول هو الأصح والأشهر . وقد سكن المدينة وغزا الروم في خلافة عمر ، ثم تحول في عهد سيدنا عثمان إلى الشام ، فسكنها إلى أن مات بحمص ، في خلافة عثمان سنة اثنتين ، أو ثلاث ، أو أربع وثلاثين ، والأول هو الأكثر . وقد كان عنده علم بكتب أهل الكتاب ، والثقافة اليهودية ، كما كان له حظ من الثقافة الإسلامية ورواية الأحاديث .

روى عن النبي – ﷺ – ، ولكنه مرسل ، لأنه لم يلق النبي ، ولم يسمع منه ، وعن عمر ، وصهيب ، والسيدة عائشة ، وروى عنه من الصحابة معاوية ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وبقية العبادلة ، وعطاء بن أبي رباح ، وغيره من التابعين .

وقد أثنى عليه العلماء ، قال ابن سعد : ذكروه لأبي الدرداء فقال : « إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً » والظاهر أنه أراد به يعلم بكتب أهل الكتاب . وأخرج ابن سعد من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، قال : قال معاوية : « ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء ، إن كان عنده لعلم كالبحار ، وإن كنا فيه لمفرطين » . وقال فيه الحافظ ابن حجر في « الفتح » : كان من أحبار الأحبار (٢)

رأي علماء الجرح والتعديل فيه :

وعلماء الجرح والتعديل ، وهم الذين لا تخفى عليهم حقيقة أي راو مهما استتر ، لم يتهموه بالوضع والاختلاق ، والجمهور على توثيقه ، ولم نجد له ذكراً في كتب الضعفاء والمتروكين . وقد ترجم له الإمام الذهبي ترجمة قصيرة في « تذكرة الحفاظ » ، وتوسع ابن عساكر في ترجمته ، في « تاريخ دمشق » ، وأطال أبو نعيم في « حلية الأولياء »

---

(١) الحبر – بكسر الحاء ، وتفتح – المداد الذي يكتب به ، ويجمع على حبر ، ولقب به العالم لكثرة كتابته وملازمته له .
(٢) فتح الباري ج ١٣ ص ٢٨٥

في أخباره، وعطائه وتخويفه لعمر، وترجم له الحافظ ابن حجر في «الإصابة» و«تهذيب التهذيب». ولم تكد تتفق كلمة النقاد على توثيقه[1]

مقالة سيدنا معاوية في كعب:

ولكن قد يعكر على ما ذكرنا ما ورد في حقه في الصحيح: روى البخاري في صحيحه بسنده، عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية وهو يحدث رهطاً من قريش بالمدينة - يعني لما حج في خلافته - وذكر كعب الأحبار، فقال: «إن كان من أصدق - وفي رواية لمن أصدق - هؤلاء الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب»[2]

وظاهر كلام معاوية يخدش كعباً في بعض مروياته، كما يدل أيضاً على أن الذين كانوا يحدثون بمعارف أهل الكتاب كان فيهم صادقون، وأن كعباً كان من أصدق هؤلاء. ولكنها لا تدل على أنه وضاعٌ أو كذاب.

وقد حسّن العلماء الظن بكعب فحملوا هذه الكلمة على محمل حسن، قال ابن التين: وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور «بدّل من قبله فوقع في الكذب». قال: والمراد بالمحدثين أنداد كعب ممن كانوا من أهل الكتاب، وأسلموا، فكان يحدث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم، فحدث عما فيها. قال: ولعلهم كانوا مثل كعب إلا أن كعباً كان أشد منهم بصيرة، وأعرف بما يتوقاه. وقال ابن حبان في «الثقات»: أراد معاوية أنه يخطئ أحياناً فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذاباً. وقال ابن الجوزي: المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً، لا أنه يتعمد الكذب[3]

والظاهر: أن سيدنا معاوية - رضي الله عنه - ما قال مقالته هذه في كعب الأحبار إلا بعد أن اختبره في مروياته، وتتبعه، فوجد بعضها لا يوافق الحق والصدق، وأنه كان

---

(1) مقالات الكوثري ص 31

(2) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي ﷺ - «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء».

(3) فتح الباري ج ١٣ ص ٢٨٤، ٢٨٥

بذكر آراء، وأقوالاً ليست صحيحة، وتحتاج إلى المراجعة والتثبت

وليس أدل على هذا من هذه الحادثة التي كانت بين معاوية، وكعب، فقد روى ابن لهيعة قال: حدثني سالم بن غيلان، عن سعيد بن أبي هلال، أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟! فقال له كعب: إن كنتُ قلتُ ذلك فإن الله قال: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ﴾، وهذا إن صح: يدل على أنه كان يذكر آراء من عند نفسه، ويجتهد في بعض الآيات، وهي غير صحيحة، وإلا فلو كان موجوداً في التوراة أو في غيرها لكان الأقرب في الرد أن يقول في الرد: وجدت ذلك في كتب الأولين.

وقد علق على هذه الحادثة الحافظ ابن كثير، فقال: وهذا الذي أنكره معاوية ـ رضي الله عنه ـ على كعب الأحبار هو الصواب. والحق مع معاوية في هذا الإنكار، فإن معاوية كان يقول عن كعب: إن كنا لنبلو عليه الكذب، يعني فيما ينقله، لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه، ولكن الشأن في صحفه: أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل، مصحف، محرف، مختلق، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ـ، ورسول الله ـ ﷺ ـ إلى شيء منها بالكلية، فإنه دخل منها على الناس شر كثير، وفساد عريض

وتفسير كعب قول الله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ﴾ بأنه يربط خيله بالثريا غير صحيح، ولا مطابق للواقع، فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك، ولا إلى الترقي في أسباب السماوات، وإنما التفسير الصحيح: أن الله يسر له الأسباب أي الطرق، والوسائل إلى فتح الأقاليم والبلاد، وكسر الأعداء، وكبت الملوك، وإذلال أهل الشرك، فقد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سبباً[1]

وكذلك: نجد أبا هريرة أيضاً يرجع كعباً في بعض أقواله، فقد سأله: «عن الساعة التي في يوم الجمعة، لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي، يسأل الله ـ تعالى ـ شيئاً: إلا أعطاه إياه»، فيجيبه كعب: بأنها في جمعة واحدة من السنة، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا، ويبين له: أنها في كل جمعة، فيرجع كعب إلى التوراة، فيرى الصواب مع أبي

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٥ ص ٢٢٣، ٢٢٤

هريرة ، فيرجع إليه ، وكذلك ، نجد أبا هريرة يسأل عبد الله بن سلام ، عن تحديد هذه الساعة ، ويقول له : أخبرني ولا تضن علي ، فيجيبه ابن سلام : بأنها آخر ساعة في يوم الجمعة ، فيرد عليه أبوهريرة بقوله : كيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة : وقد قال الرسول « لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي »[1] ، وتلك الساعة لا يصلي فيها ، فيجيبه بقوله : ألم يقل رسول الله ـ ﷺ ـ : « من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي »[1]

ولو أن الصحابة رفضوا أهل الكتاب في كل مروياتهم التي أخذوها عنهم ، لكان من وراء ذلك خير كثير ، ولخلت كتب التفسير من هذا الركام من الإسرائيليات ، التي تصادم العقل السليم ، والنقل الصحيح ، ولكن هذا ما كان .

ومع هذا لم نعلم أحداً طعن فيه ، ورماه بالكذب والاختلاق إلا ما كان من بعض المتأخرين[2] .

ومهما يكن من شيء ، فقد تبين لنا أنه ما كان وضاعاً يتعمد الكذب ، وأن الإسرائيليات التي رواها ، إن كان وقع فيها كذب ، وأباطيل ، فذلك يرجع إلى من نقل عنهم من أسلافه الذين حرفوا ، وبدلوا ، وإلى بعض كتب اليهود التي حشيت بالأكاذيب ، والخرافات وإما إلى خطئه في التأويل كما في قصة ذي القرنين ، وزعم كعب أنه كان يربط خيله في الثريا ، ويفسر بعض الآيات الواردة في القصة بذلك

وإما إلى إسناده إلى الظن والتخمين من غير دليل ، كما في قصته مع الصحابي الجليل أبي هريرة في الساعة التي في يوم الجمعة ، وزعمه أنها في جمعة واحدة في السنة ، لا في كل جمعة ، ثم رجوعه إلى ما رآه أبو هريرة من أنها في كل جمعة من العام

ومع هذا نرى أنه كان أولى به وأحرى وهو عالم مسلم ، لو أنه تحرى الحق ، والصدق ، وميز في مروياته بين الغث والسمين ، وما يجوز نقله ، وما لا يجوز ، فإن ناشر مثل هذا لا يخلو من مؤاخذة وإثم ، وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ حيث يقول : « من

---

(1) التفسير والمفسرون ج 1 ص 170 ـ 171 عن القسطلاني ج 2 ص 190

(2) هو السيد محمد رشيد رضا في مقدمة تفسير المنار ، ج 1 ص 9 والأستاذ احمد أمين في فجر الإسلام ص 198 ، وفي صحاه ، وكذلك غالا في وهب بن منبه

حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». رواه مسلم، ولكنا نحب لو أنه أراحنا من كل هذا الركام المتهافت الذي يصدم العقول، والأفكار وجر على المسلمين البلاء.

٣ ـ وهب بن منبّه

وهب بن منبه الصنعاني اليمني، وهو من خيار التابعين، ولد في آخر خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ، روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهما وروى عنه عمرو بن دينار المكي، وعوف بن أبي جميلة العبدي، وابناه: عبد الله، وعبد الرحمن، وغيرهم، وأخرج له البخاري[1]، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وكانت وفاته بصنعاء سنة عشر ومائة.

وثقه الجمهور، وخالف الفلاس، فقال: كان ضعيفاً، وكانت شبهته في هذا أنه كان يتهم بالقول بالقدر[2]، وصنف فيه كتاباً، ثم صح عنه أنه رجع عنه. قال حماد بن سلمة: عن أبي سنان، سمعت وهب بن منبه يقول: كنت أقول بالقدر، حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء، «من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر» فتركت قولي[3]، ولم أر أحداً طعن فيه بالوضع، أو الاختلاق، والكذب، إلا ما قاله بعض المتأخرين كما أسلفت. وكان كثير النقل عن كتب أهل الكتاب، ويظهر أنه كانت له ثقافة واسعة بكتب الأولين، وحكمهم، وأخبارهم، وقد ذكر عنه ابن كثير في بدايته حكماً صائبة، ومواعظ كثيرة، وقصصاً استغرقت بضعاً وعشرين صحيفة، وليس فيها ما يستنكر إلا القليل وكذلك نقل عنه في التفسير روايات كثيرة جداً، ومنها من الإسرائيليات.

ونحن لا ننكر أن بسببه دخل في كتب التفسير إسرائيليات، وقصص باطل، ولكن الذي ننكره أن يكون هو الذي وضع ذلك، واختلقه من عند نفسه، ولكن مع هذا لا نعفيه من التبعة، والمؤاخذة أن كان واسطة من الوسائط التي نفذت منها إلى المسلمين، والمصنفين بالتفسير خاصة، ولعله منها بريء، وراويته ما نقل.

---

(١) روى له البخاري حديثاً واحداً، صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم.

(٢) أي أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية. (٣) مقدمة فتح الباري ج ٢ ص ١٧٦ طبعة منير.

أقسام الإسرائيليات

أخبار بني إسرائيل، وأقاويلهم على ثلاثة أقسام

«القسم الأول» ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، والقرآن هو الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو حق وصدق، وما خالفه فهو باطل وكذب، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[1].

وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم، وذلك مثل ما ذكر في صاحب موسى – عليه السلام –، وأنه الخضر، فقد ورد في الحديث الصحيح، ومثل ما يتعلق بالبشارة بالنبي – ﷺ – وبرسالته[2] وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء، مما عموا عن تحريفه، أو حرفوه، ولكن بقي شعاع منه يدل على الحق.

وفي هذا القسم: ورد قوله – ﷺ –: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[3]. قال الحافظ في الفتح أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم، لأنه كان تقدم منه – ﷺ – الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية، خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار[4].

---

(١) المائدة ٤٨، ٤٩

(٢) قد أفضت القول في هذا في كتابي «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة» ص ٢٥٣ – ٢٥٩

(٣) كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٤) [illegible] ٤١

«القسم الثاني» : ما علم كذبه مما عندنا مما يخالفه ، وذلك مثل : ماذكروه في قصص الأنبياء ، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ، كقصة يوسف ، وداود ، وسليمان ومثل : ماذكروه في توراتهم : من أن الذبيح إسحاق لا إسماعيل ، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه ، وأنه مما حرفوه ، وبدلوه . قال تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾

وفي هذا القسم : ورد النهي عن النبي – ﷺ – للصحابة عن روايته ، والزجر عن أخذه عنهم ، وسؤالهم عنه . قال الإمام مالك – رحمه الله – في حديث : «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» : المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن ، أما ما علم كذبه فلا[1]

ولعل هذا هو المراد من قوله – ﷺ – : «**يامعشر المسلمين : كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه – ﷺ – أحدث[2] ، تقرءونه لم يشب[3] ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله ، وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا والله مارأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم**»[4]

«القسم الثالث» : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا ، ولا من ذاك ، فلا نؤمن به ، ولا نكذبه ، لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه ، أو باطلا فنصدقه ، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم ، ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبوهريرة ، قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : «**لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إليكم**»[5] الآية ، ومع هذا : فالأولى عدم ذكره ، وألا نضيع الوقت في

---

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٣٨٨

(٢) أحدث : آخر الكتب السماوية نزولاً من عند الله

(٣) لم يخلط بغيره قط ، لأنه محفوظ من التبديل ، والزيادة .

(٤) صحيح البخاري كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة) ، باب قول النبي – ﷺ – «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» .

(٥) مرجع السابق ، وكتاب التفسير سورة البقرة ، باب «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا» والآية والآية التي أشار إليها في سورة العنكبوت ٤٦

لاشتغال به، وفي هذا المعنى ورد حديث أخرجه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة والبزار، من حديث جابر أن عمر أتى النبي ـ ﷺ ـ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب، وقال: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل، فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**» ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ـ أحد رواته ـ ضعفاً، وأخرج البزار أيضاً، من طريق عبد الله بن ثابت الأنصاري: أن عمر نسخ صحيفة من التوراة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء**». وفي سنده جابر الجعفي، وهو ضعيف. قال الحافظ في الفتح: واستعمله ـ يعني البخاري ـ في ترجمته، يعني عنوان الباب، لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح.

قال ابن بطال عن المهلب: «هذا النهي في سؤالهم عما لا نص فيه، لأن شرعنا مكتف بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نص، ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا، والأخبار عن الأمم السالفة»(1)

يعني

تشديد سيدنا عمر على من كان يكتب شيئاً من كتب اليهود

وقد كانت مقالة النبي ـ ﷺ ـ لعمر، وغضبه لكتابته شيئاً من التوراة درساً تعلم منه سيدنا عمر، ومنهجاً أخذ الناس به.

روى الحافظ أبو يعلى بسنده، عن خالد بن عرفطة قال: «كنت جالساً عند عمر، إذ أتي برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم. قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟!

فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**الر تلك آيات الكتاب المبين، إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**﴾(2) فقرأها عليه

---

(1) فتح الباري ج ١٣ ص ٢٨٤، ٢٨٥
(2) يوسف ١ ـ ٣

ثلاثاً، وضربه ثلاثاً. فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال(1)؟ قال: مرني بأمرك أتبعه. قال: انطلق فامحه بالحميم(2) والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه، ولا تقرئه أحداً من الناس. فلئن بلغني عنك أنك قرأته، أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنك عقوبة. ثم قال: اجلس. فجلس بين يديه. فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم(3). فقال لي رسول الله ﷺ: **«ما هذا في يدك يا عمر؟»** قلت: يا رسول الله، كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا. فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟ السلاح السلاح. فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ. فقال: **«يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم، وخواتيمه، واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية. فلا تتهوكوا، ولا يغرنكم المتهوكون»**(4).

قال عمر: فقمت، فقلت: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبك رسولاً. ثم نزل رسول الله ﷺ». وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي بسنده عن جبير بن نفير أن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر رضي الله عنه، فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص، وكانا قد اكتتبا من اليهود شيئاً في صحيفة، فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين عمر. فلما قدما عليه قالا: إنا بأرض أهل الكتاب، وإنا نسمع منهم كلاماً تقشعر منه جلودنا، أفنأخذ منه ونترك؟ فقال: سأحدثكما. ثم ذكر قصته فاكتتب شيئاً أعجبه من كلام اليهود، وقرأه عليه، فغضب الرسول، وصار يمحوه بريقه ويقول: **«لا تتبعوا هؤلاء، فإنهم قد هوكوا وتهوكوا»**(5). حتى محى آخره حرفاً حرفاً. ثم قال عمر: لو علمت أنكما كتبتما منه شيئاً لجعلتكما نكالاً لهذه الأمة. قالا: والله لا نكتب منه شيئاً. ثم خرجا بصحيفتهما، فحفرا لها، وعمقا في الحفر، ودفناها. فكان آخر

---

(1) أحد أنبياء بني إسرائيل.

(2) الماء الحار.

(3) جلد.

(4) في القاموس: التهوك التحير، [illegible]

(5) أي تحيروا، وتشككوا [illegible]

لعهد منها(١) . وليس من جاء بعد عمر مثل هذا

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - في حديث : « حدثوا عن بني إسرائيل ، ولا حرج » : من المعلوم أن النبي - ﷺ - لا يجيز التحدث بالكذب - فالمعنى : حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم ، وهو نظير قوله : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ، ولا تكذبوهم » ، ولا يرد الإذن(٢) ، ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه »(٣) .

وقال الحافظ في الفتح في حديث « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » : أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً ، لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه ، أو كذباً فتصدقوه ، فتقعوا في الحرج ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه . نبه على ذلك الشافعي رحمه الله ويؤخذ من هذا الحديث : التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع في الظن ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك »(٤) .

وبهذا البيان والتوفيق بين المرويات في هذا الباب يظهر أن لا تعارض بينها ، ولا يخالف بعضها بعضاً ، وأن لكل حالة حكمها .

مقالة لابن تيمية في هذا

وللإمام تقي الدين أحمد بن تيمية في هذا ، مقالة جيدة ، قال - رحمه الله - : الاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك ، إذ العلم : إما نقل مصدق ، وإما استدلال محقق . والمنقول : إما عن المعصوم ، وإما عن غير المعصوم . وهذا هو النوع الأول ، فمنه ما يمكن معرفة الصحيح منه ، والضعيف ، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه ، وهذا القسم الثاني من المنقول ، وهو ما لا طريق إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤١٢ - ٤١٣

(٢) هكذا في النسخة التي تحت يدي ، ولعل فيه نقصاً أي ولا يرد الإذن مع علم كذبه حتى يكون الكلام متسقاً صحيحاً

(٣) فتح الباري ج ٦ ص ٣٨٨

(٤) فتح الباري ج ٨ ص ١٣٨

الجزم بالصدق منه ، فالبحث عنه مما لا فائدة فيه ، والكلام فيه من فضول الكلام ، وأما ما يحتاج المسلمون إلى معرفته ، فإن الله نصب على الحق فيه دليلاً .

فمثال ما لا يفيد ، ولا دليل على الصحيح منه : اختلافهم في ألوان «أصحاب الكهف» ، وفي البعض الذي ضرب به موسى البقرة ، وفي مقدار سفينة نوح ، وما كان خشبها ، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونحو ذلك ، فهذه الأمور طريق العلم بها النقل ، وما لم يكن كذلك ، بل كان يؤخذ من أهل الكتاب ، كالمنقول عن كعب ، ووهب ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم ممن أخذ عن أهل الكتاب ، فهذا لا يجوز تصديقه ، ولا تكذيبه إلا بحجة ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ، ولا تكذبوهم ، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ، وإما أن يحدثوا بباطل فتصدقوه**» .

وكذلك : ما نقل عن التابعين ، وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب ، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض ، وما نقل في ذلك عن بعض الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين ، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي – ﷺ – ، أو من بعض من سمعه منه أقوى من نقل التابعي ، ومع جزم الصاحب فيما يقوله ، كيف يقال إنه أخذه من أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم ؟!(١) والمقصود بيان أن الاختلاف الذي لا يعلم صحيحه ، ولا يفيد حكاية الأقوال فيه : هو كالمعرفة لما يروى من الحديث الذي لا دليل على صحته ، وأمثال ذلك . وأما القسم الأول الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود فيما يحتاج إليه ، ولله الحمد»(٢) .

وقال في موضع آخر : «وغالب ذلك – يعني المسكوت عنه – مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ، ولهذا تختلف أقوال علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً ، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون

---

(١) قد أخذنا من ذلك : أنهم أخذوا عنهم لما فهموا من الإذن والإباحة من قوله – ﷺ – «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» ، مادام لم يدل دليل على كذبه .

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ١٨ – ٢٠ .

١

كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك(1) مما أبهمه الله في القرآن الكريم، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾(2)

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ﴿قل ربي أعلم بعدتهم﴾، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس، ممن أطلعه الله عليه، فلهذا قال: ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب. فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته، لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم. فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً، فإن صحح غير الصحيح عامداً، فقد تعمد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى، فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح، فهو

---

(1) قد ذكره [illegible] في مقالته السابقة ولم نذكره هنا

(2) الكهف ٢٢

كلابس ثوبى زور ، والله الموفق للصواب[1]

أسباب الخطأ فى التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأى والاجتهاد

يمكن إجمال أهم أسباب الخطأ والغلط فى التفسير بالمأثور فى الأمور الآتية :

١ - تنزيل اللفظ القرآنى على غير ما يراد منه ، وإلصاق ذلك بالقرآن لصقاً ، من غير أن يكون فى اللفظ دلالة عليه ، بحيث لا يشهد له سياق ، ولا سباق ، ويصير كالسفلة الشاذة بين الزهور ، والورود .

٢ - عدم التمييز بين الصحيح والضعيف ، والموضوع ، وبين المقبول ، والمردود ، وعدم التفرقة بين الجيد والردىء ، والاكتفاء بذكر الأسانيد من غير نقد للرواة

٣ - عدم التمييز بين الدخيل ، وغير الدخيل ، والإكثار من النقل عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، وفيه الكثير من الإسرائيليات والخرافات ، والأباطيل التى لا يشهد لها نقل صحيح ، ولا عقل سليم

٤ - حذف الأسانيد ، ونقل الأقوال من غير عزوها إلى قائليها ، ولا بيان من صنعيت ؟ ، ومن أين جئت ؟ ، وبذلك : التبس الحق بالباطل ، واختلط الخطأ بالصواب ، فصار من يسمع به رأى يذكره ، ولو كان خطأ ، ومن يقع على قول ينقله ، ولو كان باطلا ، فجاء من بعدهم فنقله ، ظناً أن له أصلا ، وهو قول مخترع ، مبتدع ، باطل

وقال الإمام ابن تيميه ما خلاصته :

وأما التفسير بالرأى والاجتهاد : فقد وقع فيه الغلط من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين ، وتابعيهم بإحسان ، فإن التفاسير التى يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا ، لا يكاد يوجد فيها شىء من هاتين الجهتين ، مثل : تفسير عبد الرزاق ، والفريابى ، ووكيع ابن الجراح ، وعبد بن حميد ، ومثل : تفسير الإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، وبقى ابن مخلد ، وأمثالهم ، والذين أخطأوا فى التفسير فريقان : « أحدهما » قوم اعتقدوا معانى ، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص ٤٦ ، ٤٧

ثانيهما: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به.

فالأولون، راعوا المعنى الذي رأوه، من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان. والآخرون، راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به، ولسياق الكلام. ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان: تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه، وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه، ولم يرد به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه، أو إثباته من المعنى باطلاً، فيكون خطؤهم في الدليل، والمدلول. وقد يكون حقاً، فيكون خطؤهم في الدليل، لا في المدلول، وهذا كما أنه وقع في تفسير القرآن، فإنه وقع في تفسير الحديث.

فالذين أخطأوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط، الذين لا يجتمعون على ضلالة، كسلف الأمة، وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن، فتأولوه على آرائهم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في آرائهم، ولا في تفسيرهم، وعمدوا إلى القرآن، فتأولوه على آرائهم، تارة يستدلون بآيات على مذهبهم، ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه.

ومن هؤلاء: فرق الخوارج، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة وغيرهم.

* * *

تفاسير المعتزلة

والمعتزلة من أعظم الناس كلاماً وجدالاً، وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم، مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم شيخ إبراهيم بن إسماعيل بن علية، الذي كان

مناظر الشافعي، ومثل: كتاب أبي علي الجبائي، والتفسير الكبير للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، والتفسير لعلي بن عيسى الرماني، والكشاف لأبي القاسم الزمخشري.

والمقصود: أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم، ولا في تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن، إما دليلاً على قولهم، أو جواباً على المعارض لهم، ومن هؤلاء: من يكون حسن العبارة فصيحاً، ويدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى أنه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة.

* * *

تفسير ابن جرير وابن عطية وأمثاله

وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة، وأسلم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف، لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام، الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه، ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب.

فإن الصحابة، والتابعين، والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر، لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين، صار مشاركاً للمعتزلة، وغيرهم من أهل البدع، في مثل هذا.

وفي الجملة: من عدل عن مذاهب الصحابة، والتابعين، وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه، فالمقصود بيان طرق العلم، وأدلته، وطرق الصواب.

ونحن نعلم: أن القرآن قرأه الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم

تفسيره ، ومعانيه ، كما هو أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ . في خلاف ذلك وتفسير القرآن خلاف ما هم عليه ، فهؤلاء أخطأوا في الدليل والمدلول جميعاً . والمقصود هنا التنبيه على مثار الاختلاف في التفسير ، وأن من أعظم أسبابه البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه ، وفسروا كلام الله ورسوله ﷺ بغير ما أريد به ، وتأولوه على غير تأويله .

وأما الذين يخطئون في الدليل لا في المدلول ، فمثل كثير من الصوفية والوعاظ ، والفقهاء وغيرهم ، يفسرون القرآن بمعان صحيحة ، لكن القرآن لا يدل عليها ، مثل كثير مما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي (١) في حقائق التفسير ، وإن كان فيما ذكروه ما هو معان باطلة ، فإن ذلك يدخل في القسم الأول ، وهو الخطأ في الدليل والمدلول جميعاً ، حيث يكون المعنى الذي قصدوه فاسداً (٢) . أقول : وهو نص فهم جيد ، يدل على علم واسع بالتفسير والمفسرين ومن هنا يمكن أن يقع في التفسير بالمأثور ، فقد يذكرون قصة صحيحة ، ولكن القصة القرآن لا يدل عليها ، فيكون الخطأ في الدليل ، يعني في دلالة القرآن على هذا . وقد يكون القصة باطلة في نفسها ولا يدل عليها القرآن أيضاً ، فيكون في دلالة القصة خطأ ، فيكون الخطأ في الدليل والمدلول . ومن ذلك مثلاً ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى : **﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾** (٣) الآيات ، فقد ذكروا في هذا قصة باطلة وهي قصة داود مع أوريا قائد جيشه ، وزوجته الجميلة ، التي أراد داود ضمها إلى نسائه ، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة ، فالقصة باطلة وهي ... ذلك فلم يكن ، إن شاء الله ... في ... هذا ... وفسروا النعجة بالمرأة ، وذلك الخطأ في المدلول والدليل .

* * *

---

(١) هو شيخ الصوفية ... أبو عبد الرحمن السلمي ... الذي ذكره ... بكتابه .

(٢) انظر في ... المقدمة ص ٣٣ ـ ٤٢ ، والإتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٧٨

(٣) سورة ص ٢١ ـ ٢٤

الاختلاف بين السلف في التفسير اختلاف تنوُّع

قلنا: إن الصحابة تلقوا معظم تفسير القرآن عن النبي ـ ﷺ ـ ولذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً. وهو وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم. ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في ذلك بالاستنباط والاستدلال. بل ربما تكلموا في ذلك عما سمعوه من أهل الكتاب الذين أسلموا.

والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وأما خلافهم في الأحكام فهو أكثر من خلافهم في التفسير. وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع وبعض في العبارة، لا اختلاف تضاد، وذلك نوعان.

«أحدهما»: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى، كتفسيرهم

«الصراط المستقيم»، فقال بعضهم: هو القرآن ـ أي اتباعه ـ لقول النبي ـ ﷺ ـ في حديث علي الذي رواه الترمذي، ورواه أبو نعيم من طرق متعددة: «هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم» وقال بعضهم: هو الإسلام لقوله ـ ﷺ ـ في حديث النواس بن سمعان، الذي رواه أحمد، والترمذي والنسائي مرفوعاً: «ضرب الله مثلاً، صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران، وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع يدعو من فوق الصراط، وداع يدعو على رأس الصراط، قال: والصراط المستقيم: هو الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب: محارم الله، والستور المرخاة هي: حدود الله، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مؤمن» فهذان القولان متفقان، لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر، كما أن لفظ «صراط» يشعر بوصف ثالث.

وكذا قول من قال: هو السنة والجماعة، وقول من قال: هو طريق العبودية، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله ـ ﷺ ـ، فكلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها.

« الصنف الثاني » : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل ، وتنبيه المستمع على النوع ، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه ، مثل ذلك : ما نقل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1] فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات . والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات ، والسابق : يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات – أي النوافل – مع الواجبات ، فالظالمون هم : أصحاب الشمال ، والمقتصدون هم : أصحاب اليمين ، والسابقون هم المقربون .

ثم إن كلا منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات ، كقول القائل : السابق : الذي يصلي في أول الوقت ، والمقتصد : الذي يصلي في أثنائه ، والظالم لنفسه : الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار ، أو يقول السابق : المحسن بالصدقة مع الزكاة ، والمقتصد : الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط ، والظالم مانع الزكاة .

وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير – تارة لتنوع الأسماء والصفات ، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى ، هو الغالب في تفسير سلف الأمة ، الذي يظن أنه مختلف .

ومن التنازع الموجود منهم ، ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين : إما لكونه مشتركاً في اللغة ، كلفظ القسورة[2] ، الذي يراد به الرامي ، ويراد به الأسد ، ولفظ عسعس[3] ، الذي يراد به إقبال الليل وإدباره ، وإما لكونه متواطئاً في الأصل ، لكن المراد به أحد النوعين ، أو أحد الشيئين ، كالضمائر ، في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[4] وكلفظ : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ وما أشبه ذلك .

فمثل هذا : يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف ، وقد لا يجوز ذلك .

---

(١) فاطر : ٣٢ .
(٢) المدثر : ٥١ .
(٣) التكوير : ١٧ .
(٤) النجم : ٨ ، ٩ .

فالأول: إما لكون الآية نزلت مرتين، فأريد بها هذا تارة، وهذا تارة أخرى. وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه، إذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء المالكية والشافعية والحنبلية، وكثير من أهل الكلام. وإما لكون اللفظ متواطئاً، فيكون عاماً إذا لم يكن لتخصيصه موجب. فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني.

ومن الأقوال الموجودة عنهم، ويجعلها بعض الناس اختلافاً: أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة، لا مترادفة، فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر، وإما معدوم. وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن. فإذا قال القائل: ﴿يوم تمور السماء مورا﴾(1) إن المور هو الحركة، كان تقريباً، إذ المور حركة خفيفة سريعة. وكذلك إذا قال: الوحي الإعلام، أو قيل: أوحينا إليك أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾(2) أي أعلمنا، وأمثال ذلك. فهذا كله تقريب لا تحقيق، فإن الوحي هو إعلام سريع خفي، والقضاء إليهم أخص من الإعلام، فإن فيه إنزالاً إليهم وإيحاء إليهم، والعرب تضمن الفعل معنى الفعل، وتعديه تعديته. ومثال ذلك: ما قاله أحدهم في قوله تعالى ﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت﴾(3) أي تحبس، وقال الآخر: ترتهن، ونحو ذلك. لم يكن من اختلاف التضاد، وإن كان المحبوس قد يكون مرتهناً، وقد لا يكون، إذ هذا تقريب للمعنى، كما تقدم.

وجميع عبارات السلف في مثل هذا نافع جداً، لأن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين. وهذا الفصل الذي نقلته من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، من نفاسة بمكان(4).

* * *

(1) الطور 9

(2) الإسراء 4

(3) الأنعام 70

(4) مقدمة في أصول التفسير ص 16، والإتقان ج 2 ص 176 – 177

التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالاجتهاد
وما نتبع في الترجيح بينهما

١ – التعارض معناه التقابل والتنافي ، بأن يدل أحدهما على إثبات والآخر على نفي مثلا ، بحيث لا يمكن اجتماع مقتضيهما ، كأن كلا منهما وقف في عرض الطريق ، فمنع الآخر من السير فيه ؛ وأما إذا كانا غير متنافيين ، بأن جاز اجتماعهما ، فلا يسمى تعارضاً ، ولو كانا متغايرين وذلك مثل ما يذكره العلماء في تفسيرهم للصراط المستقيم من أقوال كثيرة ، ولكنها غير متنافية ، ومثل ما ذكروه في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ ، فإنها وإن كانت متغايرة فهي غير متنافية ، ويمكن اجتماعها ، لأن كل واحد ذكر فرداً من أفراد العام .

٢ – التفسير بالمأثور الثابت بالنص القطعي لا يمكن أن يعارض بالتفسير بالرأي والاجتهاد ، لأن الرأي إما أن يكون قطعياً بأن كان موافقاً للدليل العقلي ، أو مستنداً إلى النقل القطعي ، وإما أن يكون ظنياً . أما الأول ، فلأنه تعارض بين قطعيين ، وأما الثاني فلأن الرأي الخارج من الدليل العقلي والنقل القطعي ، يستند إلى القرائن والأمارات والدلالات الظاهرة فحسب ، وذلك لا يوصل إلا إلى ظن فحسب ، ولا يوصل إلى علم قطعي ، ولا يمكن أن يعارض الظني القطعي وإلا لزم مساواة المرجوح بالراجح وذلك باطل في قضية العقل .

٣ – أما إذا كان المأثور ليس نصاً قطعياً بل ظاهراً ، أو خبر آحاد أو نحو ذلك ، مما لا يوجب العلم القطعي ، وقد عارضه التفسير بالرأي والاجتهاد

وفي هذه الحالة لا يخلو إما أن يكون ما حصل فيه التعارض مما لا مجال للرأي فيه كأسباب النزول ، أو أحوال القيامة ، واليوم الآخر ، أو للرأي فيه مجال

فإن كان الأول لم يقبل الرأي ، وكان المعول عليه هو المأثور فقط ، إن كان عن النبي – ﷺ – ، أو عن الصحابي بشرط أن لا يكون معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب ، كما أسلفنا . وإن كان الثاني ، فلا يخلو إما أن يمكن الجمع بين المأثور والرأي ، أم لا

فإن أمكن الجمع حمل اللفظ الكريم عليهما ، وذلك مثل تفسير القوة ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ بالرمي ، وإن هذا

لا ينافي تفسيره بكل مستحدث من أنواع الأسلحة التي تستعمل في القذف ، والرمي كالمدافع ، والصواريخ والقنابل ونحوها ، لأنها كلها داخلة تحت مسمى الرمي

وإذا لم يمكن الجمع وحمل النظم الكريم على ما ورد من المأثور ، فإن كان ثابتاً بطريق صحيح - عن النبي - ﷺ - أو بطريق صحيح عن الصحابة ، بشرط أن لا يكون الصحابي معروفاً برواية الإسرائيليات ، لأن الصحابة أعلم بالقرآن والمراد منه لما شاهدوه من الوحي وتنزلاته ، والملابسات المحيطة به ، ولأنهم عرب فصحاء أصلاء

وأما المنقول عن التابعين ، والمسلمين من أهل الكتاب الذين أسلموا ، فإن التفسير بالرأي حينئذ يكون مقدماً على التفسير بالمأثور

أما إذا لم ينقل عن أهل الكتاب ، أو عمن عرف بالأخذ عنهم ، وكان معارضاً للرأي فينظر في الأمر فإن ثبت منها بدليل سمعي ، أو شهد له دليل سمعي حمل النظم الكريم عليه وأما إذا لم يثبت أحدهما بسمع ، ولم يؤيده سمع ، فإن كان الاستدلال قريباً في غيره أحدهما ، ورجحه رجح ما يؤيده الدليل ، فإذا تعارضت الأدلة في المراد علم أنه من قبيل المتشابهات ، فيؤمن به على مراد الله تعالى ، ولا يتهجم على تعيين المراد من النظم الكريم ، وينزل حينئذ منزلة المجمل قبل تفصيله ، والمتشابه قبل تبيينه

٤ - يقدم المأثور الثابت بطريق صحيح عن النبي - ﷺ - أو عن الصحابة رضوان الله عليهم - كما تقدم - إذا لم يمكن الجمع بين ما دل عليه بالرأي والاجتهاد موافقاً لما قام عليه الدليل العقلي ، أو موافقاً لقطعي آخر نقلي ، أو مستنداً إلى قطعي علمي كالنظريات العلمية التي أصبحت حقائق ثابتة مقررة ككروية الأرض مثلاً ودورانها حول نفسها ، وحدوث الخسوف والكسوف ، وإلا ففي هذه الحالة يؤول المأثور ويرجع إلى الرأي الموافق للدليل العقلي ، أو النقلي القطعي ، أو العلم القطعي ، إن أمكن تأويله جمعاً بين الأدلة ، وذلك لأن إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما . وإن لم يمكن حمل النظم الكريم في هذه الحالة على ما يقتضيه الرأي والاجتهاد ، ترجيحاً للراجح حينئذ على المرجوح(١)

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٥٠ - ٥٢

أهم كتب التفسير بالمأثور

وسأقتصر في هذا الفصل على الكتب المطبوعة التي هي في أيدي الناس، ولم أذكر من المخطوطات، إلا ما كان أصلاً لبعض المطبوعات كتفسير الثعلبي، فإنه أصل لتفسير البغوي، في التفسير بالمأثور، كما ذكر ذلك البغوي في مقدمة تفسيره (١)

ومن هذه الكتب ما كله أو معظمه في التفسير بالمأثور، كتفسير ابن جرير، والسيوطي، ومنها ما اشتمل على المأثور والرأي، ولا تخلو كتفسير الثعلبي، والبغوي، وابن كثير، وهاك كلمة موجزة عن كل منها

جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري

مؤلفه: هو الإمام الحافظ، المفسر، الفقيه، المؤرخ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (٢) ولد بآمل من بلاد طبرستان، سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة، وتلقى عن الكثيرين من شيوخ وأخذ عنهم، وروى عنه الكثيرون، وكان من ورعه وزهده بمكان، وهو من المفسرين الذين وصلت إلينا كتبهم، جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عالماً بالقراءات بصيراً بالمعاني، عالماً بالسنن، وطرقها، وصحيحها وسقيمها وناسخها، ومنسوخها، عالماً باللغة، والأدب، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، وكان مثلاً مشرقاً للعالم في الهمة والبحث، والتأليف، ويقال: إنه مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم، والتأليف، توفي ببغداد، يوم ... من شوال سنة عشر وثلاثمائة، وقد صلى على قبره عدة شهور، ورثاه خلق كثير (٣)

منهج ابن جرير في تفسيره

وتفسيره من أجل التفاسير بالمأثور، وأعظمها قدراً، ذكر فيه ما روي في التفسير عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين، وأتباعهم

---

(١) تفسير البغوي مع تفسير ابن كثير ص ٤

(٢) نسبة إلى طبرستان إقليم من بلاد العجم لا إلى طبرية في الشام

(٣) أعلام المحدثين للمؤلف ص ٢٤٣ وما بعدها

وقد كانت التفاسير قبل ابن جرير لا يذكر فيه إلا الروايات الصرفة ، من غير أن يذكروا من عندهم شيئاً ، حتى جاء ابن جرير ، فزاد توجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض . وذكر الأعاريب والاستنباطات ، والاستشهاد بأشعار العرب على معاني الألفاظ .

ثناء الأئمة عليه

وقد حظى تفسير ابن جرير بثناء الأئمة عليه ، قال الإمام النووى في تهذيبه : « وكتاب ابن جرير لم يصنف أحد مثله » ، وقال الشيخ الإمام أبو حامد الإسفرايينى شيخ الشافعية « لو رحل رجل إلى الصين ، حتى يحصل على تفسير ابن جرير ، لم يكن ذلك كثيراً عليه » وقال الإمام ابن تيمية : « هو من أجل التفاسير ، وأعظمها قدراً »[1] ولم أجد من فضل غيره عليه ، إلا ما كان من ابن حزم ، فقد فضل عليه تفسير الإمام بقى بن مخلد ، حيث قال : أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره ، لا تفسير ابن جرير ولا غيره »[2] وهو غير مطبوع .

ما أخذ على تفسير ابن جرير

وقد أخذ على تفسير ابن جرير : أنه يذكر الروايات من غير بيان وتمييز لصحيحها من سقيمها . والظاهر أنه من المحدثين الذين يرون أن ذكر السند ، ولو لم ينص على درجة الرواية ، يخلى المؤلف عن المؤاخذة والتبعة .

ولم يسلم تفسير ابن جرير على جلالة مؤلفه من الروايات الواهية والمنكرة ، والموضوعة والإسرائيليات ، وذلك مثل : ماذكره من حديث الفتون ، وفي قصص الأنبياء ، وماذكره في قصة زواج النبي ـ ﷺ ـ بالسيدة زينب بنت جحش ، على مايرويها القصاص والمبطلون ، وإن كان ذكر الرواية الصحيحة ، وبالتالي اقتصر عليها ، وسأنبه على ذلك فيما يأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ .

* * *

---

(1) الإتقان ج ٢ ص ١٧٨ ، ١٩٠

(2) أعلام المحدثين ص ١٠٦

الدر المنثور فى التفسير بالمأثور

ومؤلفه هو: الإمام الحافظ جلال الدين، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وتوفى والده، وهو صغير، فأوصى به إلى جماعة منهم، الإمام الكمال بن الهمام، وقد تلقى الكثيرين من الشيوخ، وأخذ عنهم، وقد تبحر فى كثير من العلوم حتى قال: إنه وصل فيها إلى رتبة الاجتهاد، وترك من المؤلفات كثيرة كثيرة، حتى قيل: إنها تزيد عن الخمسمائة، وكان من حفاظ الحديث وعلمائه المتبحرين فيه، العالمين به رواية ودراية، متنا، ورجالا، ومصطلحا، وقد اعتزل الناس فى آخر حياته، وترك التدريس والإفتاء، وتفرغ للعبادة، وكانت وفاته بمقياس الروضة، بالقاهرة المعزية، سنة إحدى عشرة وتسعمائة، فرضى الله عنه، وأرضاه.

منهجه فى تفسيره:

وكتابه «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور»: جمع فيه الروايات عن النبى، والصحابة، والتابعين، ولم يذكر فيه إلا المرويات الصرفة، وقد ذكر فى مقدمته أنه لخصه من كتابه «ترجمان القرآن»، وهو التفسير المسند إلى رسول الله ﷺ وإلى الصحابة والتابعين، وقد التزم فيه إخراج الأسانيد التى روى بها الأئمة هذه المرويات، وعزى كل رواية إلى من خرجها.

ما أخذ عليه:

وقد أخذ على هذا التفسير أنه وإن عزى الروايات إلى مخرجيها لكنه لم يبين مرتبتها من الصحة، أو الحسن، أو الضعف أو الوضع وقلما ينبه إلى ذلك، وبابته بين ذلك. وليس كل قارىء للكتاب يمكنه أن يعرف ذلك بمجرد ذكر السند، ولاسيما فى عصورنا المتأخرة، والذى يظهر لى: أنه من المحدثين الذين يرون أن إبراز السند، يخلى من العهدة والتبعة، وفى الكتاب إسرائيليات، وبلايا كثيرة، ولاسيما فى قصص الأنبياء، وذلك مثل ما ذكره فى قصة هاروت وماروت وفى قصة الذبيح، وأنه إسحق، وفى قصة يوسف، وفى قصة داود، وسليمان، وفى قصة إلياس، وأسرف فى ذكر المرويات فى بلاء أيوب عليه السلام، ومعظمه مما لا يصح، ولا يثبت، وإنما هو من إسرائيليات بنى

إسرائيل ، وأكاذيبهم على الأنبياء. وسأعرض لكل ذلك بالتفصيل – إن شاء الله تعالى – .

كتب جمعت بين المأثور وغيره

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن

ومؤلفه : هو الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري صاحب التفسير والعرائس في قصص الأنبياء ، وقد نقل ابن خلكان عن السمعاني[1] أنه يقال له الثعلبي والثعالبي[2] ، وهو لقب له ، وليس بنسب ، وكان مفرقاً ، مفسراً ، واعظاً ، أديباً ، حافظاً كما قال ياقوت في معجمه[3] ، وقد ذكره الإمام عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في كتابه « تاريخ نيسابور » ، وقال : هو صحيح النقل موثوق به ، روى عن أبي طاهر بن خزيمة ، والإمام أبي بكر بن مهران المقرئ ، وعنه أخذ الإمام أبو الحسن الواحدي التفسير ، وأثنى عليه ، وكانت وفاته سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقيل سبع وثلاثين[4] .

منهجه في تفسيره

ولم يقصر تفسيره على المأثور فحسب ، بل جمع فيه إلى المأثور ذكر الوجوه ، والقراءات ، والعربية واللغات ، والإعراب والموازنات ، والتفسير والتأويلات ، والأحكام والفقهيات ، والحكم والإشارات ، والفضائل والكرامات .. ثم ذكر في أول الكتاب ، أسانيده إلى من يروى عنهم التفسير من علماء السلف ، واكتفى بذلك عن ذكرها أثناء الكتاب ، كما ذكر أسانيده إلى مصنفات أهل عصره ، وكتب الغريب ، والمشكل ، والقراءات[5]

---

(١) ضبط الأعلام لتيمور ص ٢٤

(٢) هو غير الثعالبي مؤلف « الجواهر الحسان في تفسير القرآن » وهو الشيخ العالم الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجزائري المغربي المالكي المتوفى سنة ٨٧٦ هـ ست وسبعين وثمانمائة عن نحو تسعين سنة ، ودفن بمدينة الجزائر – رحمه الله وأثابه

(٣) معجم الأدباء ج ٥ ص ٣٧

(٤) ضبط الأعلام للعلامة تيمور باشا ص ٢٤ .

(٥) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٢٩

قيمة تفسيره من جهة الرواية :

لئن كان أثنى عليه بعض العلماء : كعبد الغفار الفارسي ، فقد آخذه ، وانتقده البعض الآخر من علماء الرواية ، والدراية ، وأئمة النقد ، فقد ملأ كتابه هذا بالموضوعات والقصص الإسرائيلي ، الذي فسر به بعض القرآن الكريم ، وهذا هو الحق والصواب ، وذلك مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ : فقد ذكر عن السدي ، ووهب ، وغيرهم كلاماً طويلاً في أسماء أصحاب الكهف وعددهم ، بل يروي أن النبي ﷺ طلب من ربه رؤية أصحاب الكهف ، فأجابه الله : بأنه لن يراهم في دار الدنيا ، وأمره بأن يبعث لهم أربعة من خيار أصحابه ، ليبلغوهم رسالته ، إلى آخر القصة التي لا يكاد العقل يصدقها .

وكذا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، وما ذكره في تفسير سورة مريم ، عند قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ ، فقد روى عن السدي ووهب وغيرهم قصصاً كثيرة ، وأخباراً في هيئة امرأته وليه[1] ، إلى غير ذلك مما ذكره في فضائل السور ، وفضائل بعض الصحابة كسيدنا علي .

ومن العجيب حقاً أنه ذكر في مقدمة تفسيره[2] أن الله رزقه ما عرف به الحق من الباطل ، وميز به الصحيح من السقيم ، وعاب من جمع بين الغث والسمين ، والواهي والمتين !!

ولا أدري كيف يكون حال كتابه لو لم يرزق ذلك ؟!

وقد نقد الإمام ابن تيمية كتابه هذا ، فقال : « والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل[3] ، ينقل ما وجد في كتب التفسير : من صحيح ، وضعيف ، وموضوع »[4] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٢

(٢) هو مخطوط بمكتبة الأزهر الشريف ولكنه غير تام

(٣) يعني لا يميز بين الصحيح والضعيف ، والغث والسمين ، والنافع ، والضار

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٢

وهذا الذى ذكره ابن تيمية هو الحق . فليكن القارئ لهذا التفسير على بينة من أمره ، ولا يغتر بكل ما يذكر فيه ، فقد أساء صاحبه إلى نفسه ، وإلى كتابه ، بهذا الصنيع المذموم . ومن وجد فيه شيئاً مما سأذكره عند نقد المرويات تفصيلاً فلينبذه ، ولا يذكره إلا مقروناً ببيان وضعه ، أو ضعفه .

* * *

(٢) معالم التنزيل

ومؤلفه هو : العلامة الشيخ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوى[1] ، الفقيه الشافعى ، المحدث ، المفسر ، يعرف بابن الفراء ، ويلقب : بمحيي السنة وركن الدولة ، وكان تقياً ، ورعاً ، زاهداً متقشفاً ، قانعاً ، لا يلقى الدرس إلا على طهارة . وإذا أكل لا يأكل إلا الخبز وحده ، ثم صار يأتدم بالزيت ، وله المؤلفات المفيدة ، منها «شرح السنة» ، وكتاب : «المصابيح» فى الحديث ، وتفسيره هذا ، وغيرها ، وكانت وفاته سنة عشر وخمسمائة ، وقيل سنة ست عشرة وخمسمائة[2]

منهجه فى التفسير :

قال صاحب كشف الظنون . «معالم التنزيل فى التفسير» .. وهو كتاب متوسط ، نقل فيه عن مفسرى الصحابة ، والتابعين ومن بعدهم .

وليس خالصاً للتفسير بالمأثور ، بل جمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى والاجتهاد المقبول ، كما لم يذكر فيه الأسانيد ، اكتفاء بذكرها فى أول كتابه ، كما صنع الثعلبى فى تفسيره الذى هو أصل تفسيره ومرجعه

قيمة تفسيره العلمية :

وهذا التفسير من خيرة التفاسير ، وأسهلها وأبعدها عن التعقيد ، وعدم الاستطراد ، وعدم الإكثار من المباحث اللغوية ، والنحوية ، والفقهية .

---

(١) قال ابن خلكان : بفتح الباء ، والغين المعجمة ، وبعدها واو هذه النسبة إلى بلدة بخراسان ، بين مرو ، وهراة يقال لها بغ وبغشور . وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل قاله السمعانى فى كتاب الأنساب
(٢) ضبط الأعلام ص ١٧

وقد جمع فيه بين الصحيح، والضعيف، وذكر فيه كثيراً من الإسرائيليات، كأصله، وذلك كما صنع في قصة «هاروت وماروت» وقصة «داود»، و«سليمان»، وكما صنع في تفسير قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فقد ذكر أن «ن» هو الحوت الذي على ظهره الأرض، وهو - ولا شك - من خرافات بني إسرائيل، وأباطيلهم، قال فيه ابن تيمية «والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكن صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة»[1].

مناقشة ابن تيمية:

أما صيانته عن الآراء المبتدعة فمسلم، أما أنه صانه عن الأحاديث الموضوعة، فإن أراد الحديث الطويل الموضوع في فضائل السور سورة سورة، فمسلم، وإن أراد غير ذلك فلست موافقاً لشيخ الإسلام، لأنه ذكر في كتابه بعض الموضوعات، والإسرائيليات الكثيرة، نعم إلا أن يقال: إنه أقل من تفسير الثعلبي في الموضوعات والإسرائيليات، وسأعرض لكثير منها عند التفصيل - إن شاء الله تعالى.

* * *

(٣) تفسير القرآن العظيم

ومؤلفه هو: الإمام الجليل: الحافظ: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، الدمشقي، الفقيه، الشافعي، ولد حوالي سنة سبعمائة سمع من ابن الشحنة، والآمدي، وابن عساكر، كما لازم الحافظ المزي وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية، وفتن بحبه، وامتحن بسببه، وهو من أخلص تلاميذ ابن تيمية، وأشدهم اتباعاً له في آرائه الفقهية، والتفسيرية، حتى كان يفتي برأيه في مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد، وأوذي بسبب ذلك قال فيه الحافظ الذهبي في المعجم المختص: الإمام، المفتي، المحدث البارع، فقيه متفنن، محدث متقن، ومفسر، وله تصانيف مفيدة، وقال فيه الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» إنه كان من محدثي الفقهاء، وقال: سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها بعد وفاته، ومن تآليفه

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٢

نفيسة كتاب البداية والنهاية في التاريخ، وهو أجل كتب التاريخ من جهة الرواية، وتحقيق معنى المرويات وطبقات الشافعية، وشرع في شرح البخاري ولكنه لم يتمه. وبعد حياة حافلة بالعلم والتأليف، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة هـ، رضي الله عنه وأرضاه.

منهجه في تفسيره وخصائصه

وتفسيره من أجل التفاسير، إن لم يكن أجلها وأعظمها، جمع فيه بين التفسير والتأويل والرواية والدراية، مع عناية تامة بذكر الأسانيد، ويبين صحيحها من ضعيفها، من موضوعها، ونقد الرجال، والجرح والتعديل، واستيفاء الآيات في الموضع الواحد وتفسير القرآن بالقرآن، مع حسن البيان، وعدم التعقيد، وعدم التشعب في المسائل، والاستطراد الكثير. ومن خصائص هذا التفسير العظيم أنه يعتبر منبع وحده في تنبيهه على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير تارة يذكرها، ويعقب عليها بأنها دخيلة على الرواية الإسلامية، ويبين أنها من الإسرائيليات الباطلة المكذوبة، وتارة لا يذكرها بل يشير إليها، ويبين رأيه فيها وقد تأثر في هذا بشيخه الإمام ابن تيمية(١)، وقد نبه على ما ذكره كثيراً، وكل من جاء بعده من كثير من المفسرين، ممن نبه إلى الإسرائيليات والموضوعات، وحذر منها، هم عالة عليه في هذا، ومدينون له فيها بهذا الفضل كالإمام الآلوسي، والأستاذ الإمام محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا رحمهم الله تعالى. ولهذا الكتاب فضل كبير عليّ في تنبيهي إلى الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير وهو معتمدي، ومرجعي الأول في هذا البحث. وللإمام ابن كثير حاسة دقيقة، وملكة راسخة في نقد المرويات وتنبيه إلى منشئها ومصادرها، وكيف تدسست إلى الرواية الإسلامية وقد تعقب ابن جرير على جلالته وتقدمه في بعض الإسرائيليات والموضوعات التي ذكرها في تفسيره. ولا عجب في هذا، فهو من مدرسة عرفت بحفظ الحديث، والعلم به رواية ودراية، وأصالة النقد والجمع بين المعقول والمنقول، وهي مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه ابن القيم

---

(١) ومما يدل على هذا من أن ما ذكره في مقدمة تفسيره يكاد يكون نص ما ذكره شيخه في مقدمة في أصول التفسير، وتظهر روحه هذه في المسائل التي يكون فيها لشيخه ابن تيمية رأي معروف تخالف فيه غيره

والذهبي ، وابن كثير ، وأمثالهم ، فجزاه الله على صنيعه هذا خير الجزاء .

وسيظهر ذلك بوضوح مما سأذكره ـ إن شاء الله ـ في هذا الكتاب

* * *

نظرات مجملة

في أشهر كتب التفسير بالرأي والاجتهاد

وفي هذا الفصل . سأذكر أشهر كتب التفسير ، سواء منها ، ما كان على منهج أهل السنة والجماعة ، أم على مذهب أهل الاعتزال ، أم على منهج أهل الكلام ، مع تعريف موجز بها ، وبمؤلفيها ، وسأتناولها من الجانب الذي يتصل بهذا البحث فحسب : لا من جوانبها الأخرى .

ومما ينبغي أن نعلم : أن كتب التفسير بالرأي والاجتهاد أيا كان لونها واتجاهها لا تخلو من الروايات المأثورة ، إذ من شرط التفسير بالاجتهاد : أن يعتمد على ما ثبت بالنقل ، ومن ثم اشتملت على الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات الباطلة ، وإن اختلفت في ذلك قلة وكثرة ، وسأقتصر على المطبوع منها ، وسأنبه على ما إذا كانت بها إسرائيليات أم لا ، وسأدع التفصيل لحينه ـ إن شاء الله تعالى ـ

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

ومؤلفه هو : الإمام محمود بن عمر ، بن محمد ، بن عمر الخوارزمي اللغوي ، الأديب ، المعتزلي الزمخشري[1] الملقب بجار الله ، لأنه ارتحل إلى مكة ، وأقام بها مجاوراً للبيت ، وفيها ألف كتابه هذا ، ولد سنة سبع وستين وأربعمائة ، وقد برع في اللغة ، والأدب والنحو ، ومعرفة أنساب العرب ، وأيامهم حتى فاق أقرانه ، كما كان عالماً بكثير من العلوم الإسلامية ، كالفقه ، ولاسيما الفقه الحنفي ، والأصول والتفسير وغيرها ، ثم

---

(١) زمخشر كسفرجل : قرية بنواحي خوارزم نسب إليها إماماً هذا

عشق مذهب الاعتزال ، ودعا إليه ، وصار من أئمة المعتزلة ، والمنافحين عنهم ؛ وله مؤلفات كثيرة ، منها ربيع الأبرار ، والأساس ، والفائق ، وكانت وفاته سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

قيمة تفسير الزمخشري العلمية

إن تفسير الكشاف من خير كتب التفسير وأجلها ، ولولا نزعته الاعتزالية في بعض الآيات القرآنية ، لما تناوله المعترضون بالنقد ، ولما شأنه بعض الناس ، ويحسب هذا الكتاب فضلاً ومنزلة : أن كل من جاء بعد الزمخشري عالة عليه فيما يذكره فيه من أسرار الإعجاز ، والغوص على المعاني البلاغية المدققة .

ولبراعته في الكلام ، وتمكنه من فنون القول ، وبعد غوره يدس بعض آرائه في أثناء تفسيره ، وتروج على خلق كثير من أهل السنة ولهذا فإن البلقيني ، استخرج من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش من قوله تعالى ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[1] قال أي فوز أعظم من دخول الجنة[2] ، أشار به إلى عدم الرؤية[3] وقال ابن تيمية أثناء الكلام عن تفاسير المعتزلة . ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة ، يدس البدع في كلامه ، وأكثر الناس لا يعلمون ، كصاحب الكشاف ونحوه ، حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل السنة ، كثير من تفسيرهم الباطلة[4]

ومن مميزات هذا التفسير :

١ ـ خلوه من الحشو والتطويل

٢ ـ سلامته من القصص الإسرائيلي غالباً ، وإذا ذكر بعضه فإنه قد يفنده ، كما فعل في قصة داود وسليمان . ولكن وجدت به بعض الموضوعات التي لا تدرك بالعقل ، والتي يعلمها أئمة الحديث ونقاده ، وذلك مثل الحديث الطويل المروى في فضائل السور ، سورة سورة ، وكذلك ما روى في قصة السيدة زينب بنت جحش ،

---

(١) آل عمران ١٨٥

(٢) تفسير الكشاف عند هذه الآية

(٣) الإتقان ج ٢ ص ١٩٠

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٨

وحاول تبريره ، وقد يذكر بعض الإسرائيليات ، ولا يفندها ، مثل ما ذكره : في قصة يأجوج ومأجوج ، بل ذكر هنا حديثاً موضوعاً على النبي - ﷺ -[1] وسأتناول ذلك بالتفصيل فيما يأتي - إن شاء الله تعالى -

٣ - اعتماده في بيان المعنى على لغة العرب وأساليبهم في الخطاب .

٤ - عنايته الفائقة بالإبانة عن أسرار الإعجاز القرآني بطريقة فنية قائمة على الذوق الأدبي .

٥ - اتباعه طريقة السؤال : (إن قلتَ - بفتح التاء) ، ويقول في الجواب : (قلتُ بضم التاء) وهي طريقة من طرق التشويق ، في التعليم وترسيخ المعنى في النفس

الانتصاف :

وقد قيض الله لهذا الكتاب من نبه إلى ما فيه من اعتزاليات ، وبين ما فيه من انحراف ، وميل باللفظ القرآني إلى مذهب أهل الاعتزال ، وهو . الإمام أحمد بن محمد ، المعروف بابن المنير ، عالم الإسكندرية وقاضيها ، وخطيبها ، فألف كتابه « الانتصاف »[2] ، وهو يدل على علو كعب هذا الإمام في علوم الشرعية ، والبلاغية ، وأصول الدين ، وأصول الفقه وبهذا الكتاب النفيس يمكن للقارئ لتفسير الكشاف أن يقرأه مع الأمن عليه أن يزيغ ، أو يضل في متاهات الاعتزال .

تخريج أحاديث الكشاف :

وقد تنبه إلى ما في تفسير الكشاف من الروايات الضعيفة ، والموضوعة ، بعض المحدثين ، فقام بإكمال هذا النقص خير قيام ، وسد هذه الثغرة التي دخل منها على القراء ضرر كثير . فقد ألف الإمام الحافظ الفقيه عبد الله بن يوسف الزيلعي المتوفى سنة ٧٦٢ هـ رسالة في تخريج أحاديث الكشاف ، وما فيه من قصص وآثار ، بين فيها الصحيح ، من الحسن ، من الضعيف ، من الموضوع ، وقد لخصها الإمام الحافظ -

---

(١) تفسير الكشاف في سورة الكهف عند تفسير قوله تعالى . ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾ .

(٢) طبع مع الكشاف في معظم طبعاته

الفقيه ـ أحمد بن علي ، بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، في رسالة سماها : «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» ، وقد طبعت مع الكشاف في بعض الطبعات ، فجزاهما الله خير الجزاء .

* * *

(٢) تفسير مفاتيح الغيب

ومؤلفه هو الإمام ، النظار ، المتكلم فخر الدين : محمد ابن العلامة ضياء الدين عمر الرازي[1] ، المشهور بخطيب الري ، وهو عربي ، قرشي من سلالة سيدنا أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ، وكان مولده سنة ٥٤٣ هـ ثلاث وأربعين وخمسمائة في مدينة الري ، وكانت حينئذ العاصمة الكبرى لبلاد العراق العجمي ، وقد بادت الآن ، وتوجد خرائبها ، وآثارها على مقربة من مدينة «طهران» عاصمة المملكة الإيرانية .

وقد تنقل الإمام فخر الدين في البلاد الأعجمية ، من الري إلى خراسان ، وغزنى إلى العراق ، والشام ، وكان أكثر استقراره وتدريسه «بخوارزم»[2] ، ثم استوطن مدينة «هراة» من البلاد الأعجمية ، وكانت وفاته بها سنة ٦٠٦ هـ ست وستمائة[3] .

وقد كان الإمام من كبار أهل العلم بالأصليين : أصول الدين ، وأصول الفقه ، وكبار علماء الكلام على مذهب أهل السنة ، ومن ثم ناقش ـ وأكثر ـ أهل الاعتزال وغيرهم ، وكذلك كان عالماً بالفلسفة ، ومذاهب الفلاسفة ، ومن ثم سلك مسلك الحكماء الإلهيين ، فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات ، على نمط استدلالاتهم العقلية ، ولكن مع تهذيبها ، بما يوافق أصول أهل السنة ، وتعرض لآراء الفلاسفة ، في قدم العالم وغيره وشبههم ، وتفنيدها ، ونقضها في مواضع من كتابه .

وكذلك سلك مسلك الحكماء الطبيعيين في الكونيات ، فتكلم في خلق السماوات ، والأرض ، وما فيها من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، مبيناً حكمة الله في مخلوقاته ، مستدلاً

---

(١) الرازي نسبة إلى الري على غير قياس .

(٢) مدينة شرقي بحيرة قزوين .

(٣) التفسير ورجاله ص ٦٨ ، ٦٩ .

بها على وجود الله ، وعلمه ، وقدرته وإرادته وسائر صفاته

وقد قصد الإمام الرازي من دراسته التفسيرية أن يبين تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرق الفلسفية ، وانفراد القرآن بهداية العقول البشرية ، إلى غايات الحكمة ، من طريق العصمة ، فقد كتب في وصيته التي أملاها عند احتضاره

« لقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن ، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله ، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك الحقائق العميقة والمناهج الخفية »

قيمة تفسيره العلمية

إن تفسير « مفاتيح الغيب » من أجل التفاسير ، وإن كان أطال في الاستدلال ، وإيراد الشبه ، إطالة كادت تغطي على كونه كتاب تفسير ولست مع ابن عطية الذي قال فيه : « فيه كل شيء إلا التفسير » فإنه – رحمه الله – مع الاستطراد إلى ذكر الأدلة والبراهين ، قد وفّى التفسير حقه ، ولولا أن هذا ليس من غرضي في هذا الكتاب ، لأقمت على هذا ألف دليل ، ومن مميزات هذا التفسير الجليل أنه يكاد يخلو من الإسرائيليات ، وإذا ذكر شيئاً فذلك لأجل أن يبطله ، وذلك كما صنع في قصة هاروت وماروت ، وقصص داود ، وسليمان ، وغيرهما ، كما تعرض بالتزييف لبعض المرويات التي تخل بعصمة النبي – ﷺ – وأبطلها ، كما صنع في قصة الغرانيق ، وسنعرض لإبطالها – إن شاء الله –

نعم قد ذكر بعض المرويات التي تعتبر من الإسرائيليات ، وذلك مثل ما روي في « ن » ، وأنه الحوت الذي على ظهره الأرض ، وإن كان ضعفه فيما ضعف من أقوال في هذه الآية ، ولكن لم يعول في التضعيف على مخالفتها للعقل ، أو ضعفها من جهة النقل ، أو كونها من الإسرائيليات ، وإنما اعتمد على وجه آخر يرجع إلى النحو[1]

* * *

(1) انظر تفسير الفخر في قوله تعالى ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل

ومؤلفه هو: الشيخ الإمام، قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي، الشافعي، أصله من «شيراز» في جنوب إيران، وبها كانت نشأته العلمية الأولى، وبها تخرج في الفقه والأصول، والمنطق، والحكمة، والكلام والأدب، وبرع في الأصولين، وضم علوم العربية والأدب إلى علوم الشريعة والحكمة، وولي قضاء شيراز مدة، وكانت وفاته بتبريز سنة خمس وثمانين وستمائة[1] وقيل: سنة إحدى وتسعين وستمائة[2]. ومن مؤلفاته القيمة: كتاب المنهاج وشرحه في أصول الفقه، وكتاب «الطوالع» في أصول الدين، و«أنوار التنزيل وأسرار التأويل». وهو ما نحن بصدده وغيرها.

تفسيره وقيمته العلمية:

وتفسيره جامع بين التفسير والتأويل على مقتضى القواعد اللغوية والشرعية. وهو متأثر في طريقته في بيان الألفاظ، والتراكيب، ونكت البلاغة، بتفسير الكشاف للزمخشري، ولكنه عزز فيه الأدلة على أصول أهل السنة، وهو في هذا متأثر بالإمام فخر الدين الرازي.

وقد صاغ الإمام البيضاوي تفسيره صياغة محكمة دقيقة، فهو لا يضع الكلمة إلا بميزان، ونحا فيه منحى الإيجاز والتركيز، فمن ثم وضعت عليه التعاليق، والحواشي، لشرح دقائقه، وحل رموزه وأجل حواشيه: حاشية الشهاب الخفاجي[3]، وهي ديوان علم، وأدب وفيها غاية التحقيقات، والتدقيقات فيما عرضت له من مسائل وقضايا علمية.

وقد كان تفسير البيضاوي وحواشيه – ولا يزال – مشغلة للدارسين في الجامعات الإسلامية أحقاباً من الزمن، وحبب للناس فيه: خلوه من النزعات الاعتزالية، التي ملأت الكثير من تفسير الكشاف، الذي هو كأصله

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٧
(٢) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٩٧
(٣) وهناك غيرها: حاشية زاده، وحاشية القونوي

والإسرائيليات فى هذا التفسير قليلة جدا ، ولكن مما أخذ عليه : شحنه ببعض الروايات الموضوعة ، التى لا تدرك بالعقل والنظر ، وإنما يعرف حقيقتها حفاظ الحديث ونقاده ، ولا سيما فى باب الفضائل[1] فقد ذكر فى آخر كل سورة الحديث الطويل الموضوع فى فضائل السور سورة سورة ، ومن ثم نرى أن البيضاوى على جلالته وعلمه لم يسلم مما وقع فيه صاحب الكشاف قبله ، من ذكره هذا الحديث ، وغيره من الأحاديث ، من غير بيان لمرتبتها من الصحة ، أو الحسن ، أو الضعف أو الوضع ، وهو أمر وقع فيه معظم المفسرين ، ممن ليسوا من أهل العلم بالحديث رواية ، ودراية .

وقد كفاه ، وكفى الدارسين لهذا الكتاب الإمام المحدث الشيخ عبد الرؤف المناوى ، فألف كتاباً سماه « الفتح السماوى فى تخريج أحاديث البيضاوى » . وكذلك قام الإمام الشهاب الخفاجى ببيان بعض هذه الروايات الموضوعة ، والضعيفة ، فلهما من الله جزيل الجزاء .

* * *

(٤) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآى الفرقان

ومؤلفه هو : الإمام ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، بن أبى بكر بن فرح[2] الأنصارى الخزرجى الأندلسى ، القرطبى ، المفسر ، كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين الورعين ، الزاهدين فى الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة كانت أوقاته كلها معمورة مشغولة ما بين عبادة ، وتأليف ، وكانت وفاته سنة إحدى وسبعين وستمائة ومن مؤلفاته كتاب « الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » ، وكتاب : « التذكار فى أفضل الأذكار » ، وكتاب : « شرح التقصى وغيرها »[3] .

تفسيره وقيمته العلمية :

تفسير القرطبى من أجل التفاسير ، وأعظمها نفعاً ، أسقط منه القصص والتواريخ ،

---

(١) البداية والنهاية جـ ٣ ص ٣٠٧

(٢) بسكون الراء ، ثم حاء مهملة بعدها

(٣) مقدمة فى تفسير القرطبى

وذكر عوضاً عن أحكام القرآن بتوسع ، حتى خاف بها على التفسير ، وسقاط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ .

ومن محاسن هذا التفسير . أنه يخرج الأحاديث ، ويعزوها إلى من رووها من الأئمة غالباً ، كما أنه صان كتابه عن الإكثار من ذكر الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة ، كما أنه إذا ذكر بعض الإسرائيليات والموضوعات مما يخل بعصمة الملائكة ، أو الأنبياء ، أو يخل بالاعتقاد فإنه ينكر عليه بالإبطال ، ويبين أنه ضعيفة ، وذلك كما صنع في قصة هاروت وماروت ، وقصة داود ، وسليمان ، وقصة الغرانيق ، وقصة زواج النبي بالسيدة زينب بنت جحش ، ونبه أيضاً على بعض موضوعات في أسباب النزول ، وذلك مثل ما رواه القصاص ، ومثالهم ، في سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً .. ﴾ الآيات[1]

غير أنه قد وجد فيه بعض الإسرائيليات والموضوعات على قلة مثل ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ .. ﴾[2] وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ، فقد ذكر في البرهان أموراً إسرائيلية ، ولا تصح . وعند تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾[3] إلى غير ذلك مما سأعرض لبيانه ، وتزييفه فيما يأتي ــ إن شاء الله تعالى ــ

* * *

(٥) مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل

ومؤلفه هو الإمام أبو البركات : عبد الله بن أحمد ، بن محمود النسفي الحنفي[4] ، المتوفى سنة إحدى وسبعمائة للهجرة .

---

(١) الإنسان : ٨ ــ ١٢

(٢) الكهف : ٩٤

(٣) الفجر : ٦ ــ ٨

(٤) نسبة إلى نسف بلد من بلاد ما وراء النهر

كان إماماً بارعاً فى الفقه ، والأصول ، عالماً بالتفسير ، والحديث وإن لم يكن من حفظته ونُقّاده . وله من المؤلفات كنز الدقائق فى الفقه ، والمنار فى أصول الفقه والعمدة فى أصول الدين ، ومدارك التنزيل ، وحقائق التأويل ، وهو ما نحن بصدده وغيرها .

قيمة تفسيره العلمية :

هو من كتب التفاسير الوسيطة ، لا هو بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، وهو يعتبر ـ بحق ـ مختصرا لتفسير الكشاف ، غير أنه صانه من الآراء الاعتزالية التي بثها الزمخشري فى تفسيره ، وحذف منه طريقة السؤال والجواب ، فى الإفصاح عن وجوه البلاغة ، وأسرار الإعجاز ، وبيان المعانى ، وهى الطريقة التى عرف بها الزمخشري وهو من التفاسير التى تعنى بالتنبيه بين القراءات السبع المتواترة ، ونسبة كل قراءة إلى قارئها

وقد جاء الكتاب ـ كأصله ـ ، مقلا من ذكر الإسرائيليات ، وقد يذكر بعضها وينبه على عدم صحته ، وذلك كما صنع فى قصة داود ، وسليمان والغرانيق ، وقد يذكر بعض الخرافات والموضوعات ، من قصص وأحاديث ولا يفطن إليها ، وذلك كما ذكر فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ، فقد ذكر الرأى الباطل ، وهو : إخفاؤه حبها فى قلبه ، وتفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ ، فقد ذكر أنها نزلت فى على ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، مع أن السورة كلها مكية ، وتفسير ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ ، فقد ذكر هنا أن المراد بها مدينة وذكر فى وصفها عجائب وغرائب ، وهى من خرافات بنى إسرائيل وكذلك ذكر فى كتابه ، الحديث الموضوع فى فضائل القرآن سورة سورة ، فلتكن على حذر من كل هذا .

* * *

(٦) لباب التأويل فى معانى التنزيل

ومؤلفه هو ، علاء الدين ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن إبراهيم ، الشيحي[1] البغدادي ، الشافعي الصوفي ، المشهور بالخازن وذلك لأنه كان خازن كتب خانقاه[2]

---

(١) نسبة إلى بلدة اسمها شيحة من أعمال حلب .

(٢) أصل الخانقاه ، مكان سكنه أهل الصلاح ، والخير ، والصوفية ، معربة ، حدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمائة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله

السميساطية ، بدمشق ، ولد ببغداد سنة ثمان وسبعين وستمائة ، قال ابن قاضي شهبة : وكان من أهل العلم ، جمع ، وألف وحدث ببعض مصنفاته . وكان صوفياً ، حسن السمت ، بشوش الوجه ، متودداً للناس ، ومن مؤلفاته : شرح عمدة الأحكام ، ومقبول المنقول في عشر مجلدات ، جمع فيه بين مسندي الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والكتب الستة ، والموطأ وسنن الدارقطني ، ورتبه على الأبواب ، وهذا يدل على أنه كانت له مشاركة في العناية بالحديث وإن لم يكن من حفاظه ، ونقاده ، و « لباب التأويل ، في معانى التنزيل » وهو ما نحن بصدده .

منهجه في تفسيره وقيمته العلمية :

وقد صدر كتابه هذا بمقدمة مفيدة في فضل القرآن وتلاوته ، ووعيد من تكلم في تفسير بغير علم ، وجمع القرآن وترتيبه ونزوله على سبعة أحرف ، ومعنى التفسير والتأويل ، وقد جمع كتابه هذا من تفسير البغوي ، وغيره من التفاسير التي تقدمته ، وليس له فيه - كما يقول في ديباجته - سوى النقل ، والانتخاب ، مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل .

ومن حسنات هذا الكتاب : عناية صاحبه بتخريج الأحاديث ، أي ببيان من رواها من الأئمة في كتابه ، مشيراً إلى صاحب الكتاب بالحرف تارة ، وذاكراً الاسم تارة ، وما لم يكن في الكتب المشهورة ورواه البغوي عزاه إليه ، وما أخذه البغوي عن الثعلبي نبه .

وقد امتلأ هذا التفسير كأصليه ، تفسير البغوي ، وتفسير الثعلبي بالقصص ، والأخبار ، والإسرائيليات الباطلة ، ولا سيما في قصص الأنبياء ، وأخبار الأمم الماضية ، والفتن ، والملاحم ، ومن الحق أن نقول هنا : إن الخازن قد ينكر على بعض الإسرائيليات والموضوعات ولا سيما ما يتعلق منها بالطعن في عصمة ، وما يخل بالعقيدة الصحيحة بالإبطال والإطناب في ذلك ، كما فعل في قصة الغرانيق ، وقصة هاروت ، وماروت ، وداود ، وسليمان ونحوها .

كما أنه قد يذكر الكثير من الإسرائيليات المشتملة على العجائب والغرائب ، والتي لا يشهد لها نقل صحيح ، ولا عقل سليم ، ولا يعقب بتضعيف أو إبطال ، وسأنبه عليها - إن شاء الله تعالى -

* * *

(٧) البحر المحيط لأبي حيان

ومؤلفه هو : الإمام : أثير الدين : أبو عبد الله : محمد بن يوسف ، ابن على ، بن يوسف ، بن حيان الأندلسي ، الغرناطي ، الجياني ، الشهير بأبي حيان ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة من الهجرة ، وتوفى سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

كان رحمه الله ملماً بالقراءات متواترها ، وصحيحها ، وشاذها ، كما كان على جانب كبير من العلم باللغة وآدابها ، والعلم بالنحو ، والصرف حتى صار إماماً فيهما ، وذا رأى معتبر في مسائلها ، ولذلك غلب عليه في تفسيره الإكثار من النحو ، والصرف ، وله عدة - كما أسلفت - وبه مؤلفات منها : غريب القرآن في مجلد ، وشرح التسهيل وهو كتاب جليل ، وكتاب « البحر المحيط » في التفسير ، وهو ما نحن بصدده الآن ، وقد عكف على تأليفه لما نصب مدرس للتفسير في قبة السلطان الملك المنصور ، وفي دولة ولده : الملك الناصر وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة ، وقد حظا منه نحو السابعة والخمسين من عمره المبارك [١]

منهجه في تفسيره وقيمته العلمية :

وقد اعتمد أبو حيان في تفسيره على تفاسير من تقدمه ولاسيما تفسير الإمامين الجليلين : أبي القاسم . محمود بن عمر الزمخشري ، وأبي محمد : عبد الحق : المعروف بابن عطية ، وعلى ثقافته اللغوية ، والنحوية والصرفية ، والأدبية ، التي يظهر أثرها واضحاً في كتابه وهو من كتب التفسير بالرأي والاجتهاد الممدوح

وكتاب التفسير لأبي حيان لم يخل كغيره من كتب التفسير من ذكر الروايات المأثورة عن النبي - ﷺ - ، وعن الصحابة والتابعين

وهو : من التفاسير التي يقل فيها ذكر الإسرائيليات ، والموضوعات وقد عنى بالتنبيه إلى الكثير منها ، وبيان عدم صحتها ، وتحذير القارىء من الاغترار بها ، وكثيرا ما يضرب عن ذكرها ، مشيرا إلى بطلانها ، وقد يوجزها ، ثم يكر عليها بالإبطال والتزييف ،

---

(١) مقدمة في تفسير أبي حيان

ولا سيما فيما يدرك بطلانه وكذبه بالعقل ، والنظر ، لا بنقد الأسانيد ، والتعديل ، والتجريح ، لأنه لم يكن من أئمة الحديث ، ونقّاده ، المميزين بين صحيحه ، وضعيفه

وذلك مثل ما فعل في ترييف قصة هاروت وماروت[1] ، وما روى في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وهمه ، والبرهان الذي رآه[2] ، وقصة داود عليه السلام ، وزوجة أوريا[3] ، وقصة سليمان عليه السلام[4] ، وما روى في سبب فتنة أيوب ، على ما ذكره الزمخشري[5] ، وأنكار وقوعه على ما روى ، وذكر في ذلك حديثاً عن النبي ، وأنه تساقط لحمه .

ولم يسلم تفسير أبي حيان من الإسرائيليات ، والروايات الموضوعة المكذوبة على النبي ـ ﷺ ـ ، أو على الصحابة ، وذلك مثل ما ذكره في حجر موسى ، وعلى أي هيئة كان ، وما ذكره من الحديث المكذوب على النبي ـ ﷺ ـ في أسماء الكواكب الاثنى عشر التي رآها يوسف ـ عليه السلام ـ ، وكذا وقع فيما وقع فيه الزمخشري وغيره ، في ذكر الروايات الباطلة في قصة إرم ذات العماد[6] ومهما يكن من شيء فتفسير أبي حيان من التفاسير المحتفظة ، والمقلة في ذكر الإسرائيليات والموضوعات ، فرحمه الله ، وأثابه .

* * *

(٨) السراج المنير
في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير

ومؤلفه هو : الشيخ العلامة : شمس الدين محمد بن محمد الشربيني ، الشافعي الخطيب ، نشأ بالقاهرة ، وعلى شيوخ عصره أخذ ، ولما رأوه أهلا للفتوى ، والتدريس أجازوه بهما ، فدرس ، وأفتى ، وانتفع به خلق كثير .

---

(١) تفسير أبي حيان ج ١
(٢) البحر المحيط ج ٥ ص ٢٩٥ .
(٣) ج ٦ ص ٣٩١
(٤) ج ٦ ص ٣٩٧
(٥) ج ٦ ص ٤٠٠
(٦) ج ٨ ص ٤٩٦

وقد كان رحمه الله على جانب من الصلاح ، والورع ، والزهد ، وكثرة العبادة . وكان يعتكف من أول شهر رمضان من كل عام . توفى عصر يوم الخميس الثانى من شعبان سنة ٩٧٧ ، سبع وسبعين وتسعمائة هجرية

ومن مؤلفاته : شرح كتاب المنهاج ، وشرح كتاب التنبيه ، والسراج المنير فى التفسير ، وهو ما نحن بصدده الآن .

منهجه فى تفسيره وقيمته العلمية :

وهو تفسير وسط بين الإطناب والإيجاز ، يقتصر فيه على أصح الأقوال غالباً ، ولم يذكر من الأعاريب إلا ما كانت الحاجة ماسة إليه . اعتمد فيه صاحبه على تفاسير من سبقه كالزمخشرى والبيضاوى ، والبغوى ، والرازى وغيرهم ، وقد ينقل فيه بعض تفسيرات مأثورة عن السلف . كما التزم فيه أن لا يذكر من الأحاديث إلا صحيحها ، وحسنها ، دون ذكر للضعيف والموضوع ، ولذلك يتعقب الزمخشرى ، والبيضاوى فى ذكرهما للحديث الموضوع الطويل فى فضائل السور سورة ، سورة . كما نبه على الأحاديث الضعيفة إن روى شيئاً منها فى تفسيره(١) .

ولم يخل تفسير الخطيب من ذكر بعض القصص الإسرائيلى ، منها ما يمر عليها مروراً مع غرابتها ، من غير تعقيب لها بتصحيح ، أو تضعيف ، أو بيان منشئها ، ومن أين جاءت ، وغاية ذلك فيما يحتمل الصدق والكذب من أخبار بنى إسرائيل ، وليس فيه طعن فى عصمة الأنبياء ومنها ما يذكره ، ثم يتعقبه بما يدل على ضعفه ، أو بطلانه . وهو يصنع ذلك فى القصص الإسرائيلى الذى فيه ما يخل بعصمة الأنبياء ، وذلك مثل ما نقل فى قصة سيدنا داود ، على ما يرويها القصاص

* * *

(٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

ومؤلفه هو : الإمام ، القاضى ، المفتى : أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادى الحنفى ولد سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، بقرية قريبة من القسطنطينية ، ونشأ فى

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٣٨ وما بعدها .

بيت عُرف بالعلم والفضل والدين، تتلمذ على والده، وغيره من علماء عصره، وظلَّ من معينه يعبّ منه، حتى صار علماً من أعلام العلم، تولى التدريس مدة، ثم ولي القضاء، وصار ينتقل فيه من بلد إلى بلد، حتى انتهى به الأمر إلى الإفتاء، وكان أبو السعود عالماً، أديباً، متمكناً من اللغات الثلاث العربية، والفارسية، والتركية، وقد مكنت له معرفته بهذه اللغات الاطلاع على الكثير من الكتب التي أُلفت بها، فاكتسب علماً غزيراً، ولم يدع له التدريس، وولاية القضاء، والتنقل في البلاد مجالاً للتأليف، فلم يترك لنا إلا تفسيره هذا، وبعض حواشٍ أخرى، على تفسير الكشاف، وعلى شرح العناية على الهداية، وهي ناقصة وبعد هذه الحياة العلمية الحافلة توفي بالقسطنطينية، في أوائل جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين، وتسعمائة من الهجرة، ودفن بجوار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، رضي الله عنه، وأرضاه.

منهجه في تفسيره وقيمته العلمية:

اشتغل العلامة أبو السعود في حياته بتدريس الكتابين المشهورين: الكشاف، وتفسير البيضاوي، حتى في الأوقات التي كان يخرج فيها مع السلطان سليمان القانوني غازياً، كان مشتغلاً بتدريسهما لطلبته الذين كانوا لا يفارقونه، وقد كانت نفسه تتوق إلى تفسير جامع بين تفسير الكشاف، وتفسير البيضاوي، وأن يضمنه بينهما ما اكتسبه من غيرهما من الكتب، ومن الفهوم التي فتح الله بها عليه في تفسير القرآن حتى حقق الله هذه الأمنية في آخر حياته، فكان ثمرة ذلك هذا التفسير العظيم الذي شهر شهرة صاحبه، وعكف أهل العلم من يومها على دراسته، وسماه «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»(1) ولكنه خلصه من اعتزاليات الزمخشري، ونهج فيه منهج أهل السنة.

ومن أهم مميزات هذا التفسير أنه خال من الاستطرادات والتوسع في ذكر الأحكام الفقهية والنحوية، ويكاد يكون خالصاً للتفسير، وقد عني فيه عناية بالغة بإبراز وجوه البلاغة وأسرار الإعجاز في القرآن الكريم، ولا سيما في باب الفصل والوصل، ووجوه المناسبات بين الآيات، ولما كان أبو السعود ليس عربي المُرَبَّى، وتغلب عليه الثقافة العقلية؛ فقد جاءت عباراته وأساليبه في تفسيره فيها شيء كثير من العمق والدقة التي

(1) تفسير أبي السعود على هامش تفسير الفخر الرازي ص ١٩ وما بعدها

يبدوان في نظر القارئين له لونا من ألوان التعقيد والغموض والإغراب ، وقد يذكر المبتدأ ، أو الشرط ولا يذكر الخبر ، أو جواب الشرط إلا بعد بضعة أسطر ، ومن مميزاته : خلوه غالباً من القصص الإسرائيلي ، وإذا ذكر شيئاً منه فإنه يذكره مصححا له ، أو منكراً أو مبطلا ، ومبينا منشأه ، وذلك : مثل ما صنع في قصة هاروت ، وماروت ، قال : « وأما ما يحكى من أن الملائكة ـ عليهم السلام ـ لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم فما[1] لا تعويل عليه ؛ لما أن مداره رواية اليهود ، مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل[2] » ، وقصة يوسف عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ . فقد ذكر ما روي من الإسرائيليات في رؤيته برهان ربه ، ثم قال : « إن كل ذلك إلا خرافات ، وأباطيل تمجها الآذان ، وتردها العقول ؛ والأذهان ، ويل لمن لاكها ، ولفقها ، أو سمعها وصدقها »[3] .

نعم : قد ذكر بعض الإسرائيليات التي لا تخل بعصمة الأنبياء ، ولكن عنها غرابة وبعد ، ولم يعقب عليها ، وذلك : مثل ما ذكره في الحجر الذي ضربه سيدنا موسى بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وما ذكره في صفة يأجوج ومأجوج ، وأن طول الواحد منهم ستمائة ذراع ، وصفة إرم ذات العماد ، مما هو من خرافات بني إسرائيل ومما يؤخذ عليه : ذكره متابعا للزمخشري والبيضاوي الأحاديث المروية في فضائل القرآن سورة سورة ، وهي موضوعة باتفاق أهل العلم بالحديث ، ومثل الحديث الذي ذكره في فضل سورة الفاتحة ، حيث قال : وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا ، فيقرأ صبي من صبيانهم في (الكتاب)[4] : الحمد لله رب العالمين ، فيسمعه الله ، فيرفع عنهم العذاب أربعين سنة » ، وما ذكره متابعا للزمخشري وغيره في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، وسأعرض لهذا ولغيره عند التفصيل ـ إن شاء الله تعالى ـ .

---

(1) هذا يشهد لما قلته من حيرة ودراسة ، فقد ذكر جواب الشرط بعد نحو صفحة

(2) تفسير أبي السعود على هامش تفسير الفخر من ص ٦٥٠ ـ ٦٥٢

(3) المرجع السابق ج ٥ ص ١٧٩ .

(4) مما يدل على وضعه ـ فضلا عن الطعن في سنده ـ متنه بلفظه لأن كلمة «الكتّاب» مستحدثة

(١٠) روح المعاني

في تفسير القرآن، والسبع المثاني

ومؤلفه هو: خاتمة المحققين، وعمدة المدققين، وإمام المفسرين، أبو الثناء، شهاب الدين، السيد الإمام: محمود بن عبد الله الآلوسي[١] البغدادي، حنفي[٢] مفتي بغداد، وعالمها في القرن الثالث عشر الهجري.

ولد سنة سبع عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة، في جانب الكرخ من بغداد.

نبغ في العلوم من صغره، وأخذ عن كثير من فحول علماء عصره منهم والده، والشيخ خالد النقشبندي، واشتغل بالتدريس، والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة، وقد تلمذ عليه كثيرون، وتخرج على يديه بعض العلماء الفضلاء من بلاد مختلفة، ولما ولي الإفتاء شرع يدرس كل العلوم في داره، بجوار جامع الشيخ عبد الله العاقولي بالرصافة، وقد ساعده على ذلك: تنوعه في علوم شتى، وجمعه إلى العلم النقلي، والعقلي الأدب وفنونه، فمن ثم عرف بجزالة التعبير، وسلاسة الأسلوب، وحسن التصرف في القول، وبروحه اللطيفة الفكهة، ومن تعبيراته اللطيفة التي لا تخلوا من الفكاهة تسميته للحروف الزائدة بأنها: «سيف خطيب»، وعن النكت البلاغية بأنها «كالوردة، إن دعكتها أزلت ما فيها من رائحة وجمال».

ولم يترك لنا من المؤلفات كثيراً، على ما كان يمتاز به من التبحر في كل علم، ومن سعة الاطلاع، وإجادة الاختيار والاختصار ومن مؤلفاته: شرح السلم في المنطق، وقد فقد، «والأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية»، و«الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية» و«درة الغواص في أوهام الخواص»، و«النفحات القدسية، في المباحث الإمامية»، و«الفوائد السنية في علم آداب البحث»، ونجيبه «روح المعاني»، الذي اشتمل على مباحث: بعضها يصل إلى رسالة صغيرة، وكانت وفاته بعد هذه الحياة

---

(١) نسبة إلى «آلوس» جزيرة في نهر الفرات بين بغداد والشام، كانت موطن أهله وأجداده.

(٢) لأن بعض الناس يقولون: إنه كان شافعيا ويقلد أبا حنيفة في كثير من المسائل فكتاب التفسير طافح بقوله: وعندنا.. ثم تحول لمذهب الحنفية.

السمية المباركة، عام سبعين ومائتين وألف (1) بعد الهجرة، فرضي الله عنه وأرضاه.

منهجه في تفسيره وقيمته العلمية

وتفسير «روح المعاني» خير تفسير، وأجمعه، وأوفاه، وقد جمع فيه خلاصة كل كتب التفاسير قبله وحواشيها، ولا سيما حاشية تفسير الكشاف، وحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، وقد حل بعض رموزها، وعباراتها الخفية التي استعصى فهم المراد منها على العلماء، وله استدراكات قيمة، وتعقبات دقيقة لمن سبقه من العلماء.

وكثيراً ما يدلي برأيه بين الآراء، فهو ليس مجرد ناقل، بل له شخصيته العلمية البارزة، وأفكاره النيرة، وليس في تفسيره ما يؤاخذ عليه، إلا كثرة الاستطرادات، والتوسع فيما يستطرد إليه، حتى يكاد يغرق القارىء لكتابه في بحر هذه الاستطرادات، ولو أن أحداً نزع ما استطرد إليه من كتابه، لجاءت في رسائل كثيرة، وكذلك ذكره للتفسير الإشاري، فليس ثمة ما يدعو إليه، ولعله فعل ذلك لنزعة تصوفية، وليجيء كتابه جامعاً لكل الألوان التفسيرية، ومرضياً لجميع الأذواق.

ولما كان الإمام الآلوسي من المتأخرين، وكانت له مشاركة علمية في كثير من العلوم، وسعة اطلاع على كلام من سبقوه، ولا سيما علماء الحديث، وأئمته الحفاظ في متونه وأسانيده — فمن ثم لم يقع فيما وقع فيه بعض المفسرين السابقين له من ذكر الأحاديث الموضوعة في الفضائل، وغيرها، وكذلك خلا تفسيره من الاغترار بالإسرائيليات وهو إنما ذكرها لينبه إلى اختلاقها، وبطلانها وتحذير المسلمين ولا سيما طلبة العلم وأهله من التصديق بها، أو أن لها أصلاً في الإسلام، ولم أعلم أحداً من المفسرين، بعد العلامة الحافظ ابن كثير في تفسيره، حارب الإسرائيليات، والموضوعات، مثل ما فعل الإمام الآلوسي، في تفسيره، فقد أفاض في رد هذه الإسرائيليات والمختلقات، كما صنع في قصة إسماعيل، وإسحاق، وأيهما الذبيح؟، وبين أن كونه إسحاق رأي باطل، تسلل إلى الرواية الإسلامية، وفي قصة يوسف، وداود، وسليمان، وأيوب ونحوها وقصة الغرانيق. وقد

---

(1) انظر ترجمته في أول الجزء الأول من النسخة الأميرية المطبوعة في بولاق

مكث هذا الإمام في تأليف كتابه خمس عشرة سنة[1] ، يبحث ، ويُنقب ، ويقرأ ، ويختصر ، ويسهر فيه الليالي الطوال ، وكان كثيراً ما ينشد ، وحق له ذلك :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طرباً لحل عويصة ... أشهى وأحلى من مدامة ساق
وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقي الرمل عن أوراقي[2]

* * *

والخلاصة

أن كتب التفسير ـ ما عدا القليل منها ـ سواء منها ما كان بالمأثور صرفاً ، أو غلب عليه المأثور ، أو كان بالرأي والاجتهاد ـ لم تخل غالباً من الإسرائيليات الباطلة ؛ والأحاديث الموضوعة ، والواهية .

وحسب ما قدمته من ذكر أشهر كتب التفسير أياً كان لونه ، والتعريف بكل تفسير ، ولا سيما من الجهة التي ألفت لأجلها كتابي هذا ، لأن هذا الكتاب ليس دراسة موضوعية لكتب التفسير ، ولا تناولت كل تفسير من جوانبه المتعددة .

ولا يضير القارئ أني لم أذكر كل كتب التفسير مخطوطها ، ومطبوعها ، لأن منهجي كما سلف : التنبيه إلى الإسرائيليات ، والموضوعات ، وبيان من ذكرها في تفسيره في حدود ما استطعت ، واطلعت عليه ، فإذا وجدها القارئ في أي كتاب في التفسير ، بل وفي غيره ككتب الوعظ والأخلاق ، والتاريخ ، والقصص ، والأدب .. فلا يغتر بها ، ويحذر من اعتقاد ما فيها ، أو إذاعته ونشره ، وبذلك ، تكون الفائدة بهذا الكتاب أعم ، وأشمل ـ إن شاء الله تعالى .

نقد التفسير بالمأثور إجمالاً :

ذكرت فيما سبق ، نقد بعض العلماء الأئمة المحدثين للتفسير بالمأثور إجمالاً في ذلك ، قول الإمام أحمد : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ، والمغازي » .

---

(١) بدأ تأليفه في شعبان سنة ١٢٥٢ هـ وفرغ منه في ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ أي قبل وفاته بنحو ثلاث سنين
(٢) كان من عادة المصنفين ، وقد أدركتهم أنهم يختمون كتاباتهم بوضع الرمل عليها

وقد حملها المحققون من أصحاب الإمام، على أن مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحيحة متصلة، وقيل: لأنها يغلب عليها المراسيل وقال الخطيب البغدادي هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة، فأشهرها كتابان للكلبي، ومقاتل ابن سليمان، وقد قال الإمام أحمد في تفسير الكلبي: إنه من أوله إلى آخره كذب، لا يحل النظر فيه.

وكذلك، روى عن الإمام الشافعي أنه قال: «لم يثبت[1] عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث»، ومهما كان فيه من مبالغة، فهي تدل على كثرة ما وضع على ابن عباس.

نقد الطرق والرواة تفصيلا:

وكذلك، نقد العلماء المحدثون النقاد الرواة الذين رووا التفسير بالمأثور، والطرق التي رويت بها هذه التفاسير تفصيلا، وتنصيصاً.

وسأذكر جميع ما ذكروه في هذا، ليتبين لك أنهم ـ رضي الله عنهم ـ قاموا بما يجب عليهم من البيان خير قيام، وإنما الذنب هو الذين فرطوا في الوقوف على كلامهم والسير على منهجهم، حتى يتبين الصحيح من الضعيف، والحق من الباطل، والجيد من الردىء.

١ ـ الطرق عن ابن عباس

طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس:

من جيد الطرق والأسانيد عن ابن عباس: طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه، قال الإمام الجليل، أحمد بن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها علي بن أبي

---

(١) لم يثبت: أعم من لم يصح لأن ثمة ثلاث أعم من أن يكون صحيحا، أو حسنا

طلحة . لو رحل رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً . أسنده أبو جعفر النحاس في «ناسخه» .

وقال الخليلي في الإرشاد .

تفسير معاوية بن صالح قاضي الأندلس ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، رواه الكبار عن أبي صالح ، عن معاوية

وأجمع الحفاظ على أن علي بن أبي طلحة لم يسمعه من ابن عباس

طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس :

وقال أيضاً : وهذه التفاسير الطوال . التي يسندونها إلى ابن عباس غير مرضية ، ورواتها مجاهيل . كتفسير جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس .

الطرق عن ابن جريج[1] :

قال الخليلي أيضاً : وعن ابن جريج[2] في التفسير : جماعة رووا عنه ، وأطولها ما يرويه بكر بن سهل الدمياطي ، عن عبد الغني بن سعيد ، عن موسى بن محمد ، عن ابن جريج وفيه نظر

وروى محمد بن ثور عن ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار ، وتلك صحيحة

وروى حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، نحو جزء ، وذلك صحيح متفق عليه

طريق شبل بن عباد المكي .

وتفسير شبل بن عباد المكي ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قريب إلى الصحة

---

(1) هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم ، أصله رومي عراقي ، كان من علماء مكة ومحدثيهم وهو من أوائل من دون الحديث ، وصنف الكتب ، وقد اختلفت فيه أقوال العلماء ، فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه ، وقالوا : إنه كان يدلس والموثقون به أكثر من مجرحيه ، وقد ذكر الخزرجي في «خلاصته» أنه مجمع عليه من أصحاب الكتب ، وقد رويت عنه في التفسير أجزاء كثيرة عن ابن عباس فيها الصحيح والضعيف ، والمقبول والمردود ، وقد ولد سنة ثمانين ٨٠ هـ وتوفي سنة خمسين ومائة ١٥٠ هـ وقيل سنة تسع وخمسين ١٥٩ هـ

(2) يعني عن ابن عباس

تفسير عطاء بن دينار ، وأبى روق .

وتفسير عطاء بن دينار يكتب ، ويحتج به ، وتفسير أبى روق نحو جزء صححوه

تفسير إسماعيل السدى

قال : وتفسير إسماعيل السدى يورده بأسانيد إلى ابن مسعود ، وابن عباس ، وروى عن السدى : الأئمة ، مثل : الثورى ، وشعبة ، لكن التفسير الذى جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقوا عليه ، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى

فأما ابن جريج ، فإنه لم يقصد الصحة ، وإنما روى فى كل آية من الصحيح والسقيم .

تفسير مقاتل بن سليمان .

قال : وأما تفسير مقاتل بن سليمان : فمقاتل فى نفسه ضعفوه ، وقد أدرك الكبار من التابعين ، والشافعى أشار إلى أن تفسيره صالح[1] - يعنى للاحتجاج به -

مقالة الإمام الحافظ بن حجر

وللإمام الحافظ بن حجر كلام طويل فى هذه المرويات عن الصحابة والتابعين ، وعن الطرق التى رويت بها ، ذكره فى أول كتابه « أسباب النزول الذى سماه « العجاب فى بيان الأسباب » ، قال - رحمه الله وأجزل ثوابه - .

« والتابعون من أصحاب ابن عباس - رضى الله عنهما - والطرق عنهم و بالذين اشتهر عنهم القول فى ذلك من التابعين : أصحاب ابن عباس - رضى الله عنهما - وفيهم ثقات ، وضعفاء » .

روايات الثقات عن ابن عباس .

فمن الثقات : مجاهد ، وابن جبير ، ويروى التفسير عنه من طريق ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، والطريق إلى ابن أبى نجيح قوية

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨

ومنهم عكرمة ، ويروى التفسير عنه من طريق الحسين بن واقد النحوى عنه ، ومن طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد : مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ـ هكذا بالشك ، ولا يضر لكونه عن ثقة .

ومن طريق معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وعلي صدوق ، ولم يلق ابن عباس ، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه ، فلذلك : كان البخاري ، وأبو حاتم وغيرهما ، يعتمدون على هذه النسخة .

ومن طريق ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، لكن فيما يتعلق بالبقرة ، وآل عمران ، وما عدا ذلك هو الخراساني ، وهو لم يسمع من ابن عباس ، فيكون منقطعا ، إلا إذا صرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح[1] .

روايات الضعفاء عن ابن عباس ، وطرقها

محمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب :

ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ التفسير المنسوب لأبي النضر . محمد بن السائب الكلبي ، فإنه يرويه عن أبي صالح وهو مولى أم هانئ ، عن ابن عباس ، والكلبي متهم بالكذب ، وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه : كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب .

السدي الصغير كذاب :

قال - ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله ، أو أشد ضعفاً : محمد بن مروان السدي الصغير وروى عن محمد بن مروان مثله ، أو أشد ضعفاً ، وهو صالح بن محمد الترمذي .

---

(١) هذا مثل من أمثلة دقة المحدثين ، وتمييزهم بين الأشخاص ، وبين ما يرويه هذا مما رواه ذاك ولعل في هذا زاجر للذين يتقولون على أئمة الحديث ، وزيادة علم ويقين لمن يعرفون لهم فضلهم .

من روى التفسير عن الكلبي من الثقات والضعفاء حفظا

وممن روى التفسير عن الكلبي من الثقات ، سفيان الثوري ، ومحمد بن فضيل بن غزوان ، ومن الضعفاء من قبل الحفظ حبلة ــ بكسر الحاء المهملة ، وتثقيل الموحدة ــ ، وهو على بن مترى ــ بفتح المهملة ، والنون بعدها زاى منقوطة ــ

ومنهم[1] جويبر بن سعيد ، وهو واه ، روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم ــ وهو صدوق ــ عن ابن عباس ، وهو لم يسمع منه شيئاً

من روى التفسير عن الضحاك

وممن روى التفسير عن الضحاك ، على بن الحكم ــ وهو ثقة ــ وعلى بن سليمان ــ وهو صدوق ــ ، وأبو روق عطيه بن الحارث ، وهو لا بأس به .

عثمان بن عطاء الخراساني

ومنهم عثمان بن عطاء الخراساني ، يروى التفسير عن أبيه ، عن ابن عباس ، ولم يسمع أبوه من ابن عباس .

إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير

ومنهم ، إسماعيل بن عبد الرحمن السدى[2] ــ بضم السين المهملة ، وتشديد الدال ــ وهو كوفى صدوق ، لكن جمع التفسير من طرق منها

عن أبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة بن شراحيل ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ، ــ رضى الله عنهم ــ وغيرهم وخلط روايات الجميع ، فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف ، ولم يلق السدى من الصحابة إلا أنس بن مالك ، وربما التبس بالسدى الصغير الذى تقدم ذكره

---

(١) ومنهم أى من الضعفاء . كذا كل ما عطف عليه بعد ما من ضعفه

(٢) نسبة إلى سدة مسجد الكوفة كان يبيع فيها المقانع والسدة رحبة المسجد التى يكون أمامه ، قال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال ابن عدى مستقيم الحديث صدوق ، وعن يحيى بن معين أنه ضعيف توفى سنة ١٢٧ هـ فهو يحتج به ، عند من يقول به صدوق ، أما السدى الصغير محمد بن مروان فمتهم بالكذب بل قيل إنه كذاب

طريق إبراهيم بن الحكم :

ومنهم : إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني ـ ، وهو ضعيف ، يروي التفسير عن أبيه ، عن عكرمة ، وإنما ضعفوه ، لأنه وصل كثير من الأحاديث بذكر ابن عباس ، وقد روى عنه تفسيره عبد بن حميد .

طريق إسماعيل بن أبي زياد :

ومنهم : إسماعيل بن أبي زياد الشامي ـ وهو ضعيف ـ ، جمع كثيرا فيه الصحيح ، والسقيم وهو في عصر أتباع التابعين .

طريق عطاء بن دينار :

ومنهم : عطاء بن دينار ـ وفيه لين ـ . يروي التفسير عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، ويرويه عنه ابن لهيعة ، وهو ضعيف .

قتادة والطرق عنه :

ومن تفسير التابعين : ما يروى عن قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ وهو من طرق منها :

رواية عبد الرزاق عن معمر عنه .

ورواية آدم بن أبي إياس ، وغيره ، عن شيبان عنه .

ورواية يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة .

تفسير الربيع بن أنس عن أبي العالية :

ومن تفاسيرهم : تفسير الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، واسمه : رفيع ـ بضم الراء ، وفتح الفاء ، وسكون الياء ـ الرياحي ـ بالمثناة التحتية ، والحاء المهملة ـ وبعضهم لا يسمي الربيع فوقه أحدا ، وهو يروى من طرق ، منها ، رواية أبي عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه عنه .

تفسير مقاتل بن حيان :

ومنها : تفسير مقاتل بن حيان ، من طريق محمد بن مزاحم ، عن بكير بن معروف

عنه ، ومقاتل هذا صدوق[1] ، وهو غير مقاتل بن سليمان الآتي ذكره .

تفسير زيد بن أسلم :

ومن تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم . تفسير زيد بن أسلم من رواية ابنه عبد الرحمن عنه ، وهي نسخة كبيرة يرويها ابن وهب وغيره . عن عبد الرحمن عن أبيه ، وفيه أشياء كثيرة لا يسندها لأحد . وعبد الرحمن من الضعفاء ، وأبوه من الثقات[2] .

تفسير مقاتل بن سليمان :

ومنها : تفسير مقاتل بن سليمان ، وقد نسبوه إلى الكذب ، وقال الشافعي : مقاتل قاتله الله ، وإنما قال الشافعي – رضي الله عنه – فيه ذلك . لأنه اشتهر عنه القول بالتجسيم ، وروى تفسير مقاتل هذا أبو عصمة : نوح بن أبي مريم الجامع ، وقد نسبوه إلى الكذب[3] .

ورواه أيضاً عن مقاتل الحكم بن هذيل ، وهو ضعيف ، لكنه أصلح حالا من أبي عصمة .

تفسير يحيى بن سلام المغربي :

ومنها : تفسير يحيى بن سلام المغربي ، وهو كبير ، في نحو ستة أسفار ، فيه النقل عن التابعين وغيرهم ، وهو لين الحديث[4] ، فيما يرويه مناكير[5] كثيرة ، وشيوخه مثل سعيد بن أبي عروبة ، ومالك والثوري .

---

(١) هو من المرتبة الرابعة من مراتب التعديل عند بعض العلماء ، والمراد به أصل الصدق إن كان في الأصل يدل على العدالة وبعضهم يرى أن المراد به الأمانة فيكون في مرتبة أعلى من ذلك ومنهم من قال في صدوق مرتبة خاصة

(٢) جمع ثقة وهو العدل الضابط .

(٣) هو واضع الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة سورة

(٤) من المرتبة السادسة من مراتب التجريح ، وهي أدنى الدرجات جرحا .

(٥) فلان له مناكير مرتبة فوق الساقطة تجريحا

تفسير سنيد :

ويقرب منه تفسير سنيد[1] ، واسمه : الحسين بن داود ، وهو من طبقة شيوخ الأئمة الستة ، يروى عن حجاج بن محمد المصيصي كثيرا ، وعن أنظاره ، وفيه لين ، وتفسيره نحو تفسير يحيى بن سلام ، وقد أكثر ابن جريج التخريج منه .

تفسير موسى بن عبد الرحمن الصنعاني :

ومن التفاسير الواهية ، لوهاء رواتها ، التفسير الذى جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفى الصنعانى ، وهو قدر مجلدين ، يسنده إلى ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ، وقد نسب ابن حبان موسى هذا إلى وضع الحديث ، ورواه عن موسى عبد الغنى بن سعيد الثقفى ، وهو ضعيف .

طرق المرويات فى سبب النزول

وقد يوجد كثير من أسباب النزول فى كتب المغازى ، فما كان منها من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه ، أو من رواية إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن عمه ، موسى بن عقبة ، فهو أصح مما فيه من كتب محمد بن إسحاق ، وما كان من رواية محمد بن إسحاق أمثل مما فيه من رواية الواقدى[2]

وقال الإمام السيوطى فى « الإتقان » بعد ما ذكر كلام الخليلى فى « الإرشاد » الذى ذكرته آنفاً : وتفسير السدى ـ يعنى السدى الكبير ـ يورد منه ابن جرير كثيراً من طريق السدى عن أبى مالك ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وناس من الصحابة ـ هكذا ، ولم يورد منه ابن أبى حاتم شيئاً ، لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد ، والحاكم يخرج منه فى مستدركه أشياء ويصححه ، لكن من طريق مرة ، عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وناس فقط دون الطريق الأول ، وقد قال ابن كثير إن هذا الإسناد يروى به السدى أشياء فيها غرابة

(1) بضم السين ، وفتح النون ، وياء ساكنة ، ابن داود المصيصى المحتسب أخذ عن حماد بن زيد وشريك ، وابن عليه ، وعنه أبو زرعة ، وأبو بكر الأثرم توفى سنة ٢٢٠ هـ

(2) تفسير المنار ج ٦ ص ٤٤٢

الطرق الجياد عن ابن عباس :

ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عنه ، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في مستدركه ، ومن ذلك طريق ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى : آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير عنه ـ أي : ابن عباس ـ هكذا بالتردد وهي طريق جيدة ، وإسناده حسن ، وقد أخرج عنها ابن جرير ، وابن أبي حاتم كثيرا وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء .

أوهى الطرق عن ابن عباس .

وأوهى طرقه ، طريق الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإذا انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير ، فهي سلسلة الكذب ، وكثيرا ما يخرج منها الثعلبي والواحدي ، لكن قال ابن عدي في الكامل للكلبي أحاديث صالحة ، وخاصة عن أبي صالح ، وهو معروف بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول منه ، ولا أشبع

وبعده ـ في أن روايته أوهى ـ مقاتل بن سليمان ، إلا أن الكلبي يفضل عليه ، لما في مقاتل من المذاهب الرديئة

الطرق الضعيفة عن ابن عباس

وطريق الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس منقطعة ، فإن الضحاك لم يلقه ، فإذا انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عنه فضعيفة ، لضعف بشر ، وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك ، فأشد ضعفاً ، لأن جويبرا شديد الضعف ، متروك ، ولم يخرج ابن جرير ، ولا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئاً ، إنما خرجها ابن مردويه ، وأبو الشيخ ابن حبان

وطريق العوفي عن ابن عباس ، أخرج منها ابن جرير ، وابن أبي حاتم كثيراً ، والعوفي ضعيف ، ليس بواه ، وربما حسن له الترمذي (١)

---

(١) ... ابن ... حسن

قال السيوطي : ورأيت في فضائل الإمام الشافعي ، لأبي عبد الله بن أحمد بن شاكر القطان ، أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : « لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث » .

* * *

٢ ـ تفسير أُبيّ بن كعب والطرق عنه

وأما أُبي بن كعب ، فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عنه ، وهذا إسناد صحيح .

وقد أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم منها كثيرا ، وكذا الحاكم في مستدركه ، والإمام أحمد في مسنده[1] .

ومن الطرق الحسنة عنه : طريق وكيع ، عن سفيان ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه وهذه الطريق يخرج منها الإمام أحمد في مسنده ، وهي على شرط الحسن ، لأن عبد الله بن محمد بن عقيل ، وإن كان صدوقاً تكلم فيه من جهة حفظه ، قال الترمذي في سننه : « عبد الله بن محمد بن عقيل ، هو صدوق ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : كان أحمد بن حنبل ، وإسحق ابن راهويه ، والحميدي ، يحتجون بحديث عبد الله بن محمد ، بن عقيل . قال محمد ـ يعني البخاري ـ وهو مقارب الحديث » ، ونص الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ، على أن حديثه حسن[2] .

* * *

٣ ـ أشهر الطرق عن ابن مسعود

١ ـ طريق الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، وقد قيل : إنه أصح الأسانيد .

---

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩

(٢) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٩٣

٢ ـ طريق الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود . وقد قيل : إنها أصح الأسانيد أيضاً[1] .

٣ ـ طريق الأعمش ، عن أبي الضحي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، وهي من أصح الطرق وأسلمها ، وقد اعتمد عليه البخاري في صحيحه

٤ ـ طريق مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود ، وهي صحيحة أيضاً ، وقد اعتمد عليه البخاري في صحيحه

٥ ـ طريق الأعمش ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، وهذه طريق صحيحة ، يخرج منها البخاري في صحيحه ، وكفى بتخريج البخاري شاهداً على صحة هذه الطرق الثلاث

٦ ـ طريق السدي الكبير ، عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود وقد ذكرناها فيما سبق

* * *

٤ ـ أصح الطرق عن علي ـ رضي الله عنه ـ

١ ـ طريق محمد بن سيرين ، عن عبيدة[2] ـ بفتح العين وكسر الباء ـ السلماني ـ بفتح السين ، وسكون اللام ـ عن علي . وقد قال علي بن المديني ، وعمرو بن علي الفلاس : إنها أصح الطرق .

٢ ـ طريق الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي ، وقد قال أبو بكر بن أبي شيبة : إنها أصح الأسانيد

٣ ـ طريق جعفر بن محمد ، بن علي ، بن الحسين ، عن أبيه عن جده ، عن علي ، وهي : من أصح الطرق أيضاً كما قيل

٤ ـ طريق يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان الثوري ، عن سليمان التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن علي ، وهي من أصح الطرق أيضاً[3] .

---

(١) باعث الحثيث ص ٧ ، و ص ٩ هامش

(٢) هو ابن عمرو ، وقيل ابن قيس

(٣) باعث الحثيث إلى علوم الحديث ص ٧ ، ٨ هامش

طريق أبي يحيى، عن إسماعيل بن مسعدى، عن عيسى بن عبثر، عن مسلم الملائي، عن حبة بن جوين، عن علي، عن أنس بن مالك وهو حبة لا يساوي حبة(١)

طريق يحيى بن عبد الحميد، عن علي بن مسهر، عن الأعمش، عن موسى بن طريف، عن عباية، عن علي. وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله، وعباية أقل منه ليس بشيء حديثه(٢) طريق شريك عن كهيل عن سويد بن غفلة، عن الصنابحي، عن علي(٣) إلى غير ذلك من الطرق التي عدها أئمة الحديث، وبينوا الصحيح من الضعيف.

* * *

٥ ـ المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في التفسير

وقد روي عن عبد الله بن عمرو تفسير كثير، فيما يتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة، وما أشبهها، بأن يكون مما تحمله عن أهل الكتاب الذين أسلموا، ومما وجده في كتبهم التي أصاب منها في اليرموك زاملتين، وقد نقد العلماء كل ذلك، وبينوا الصحيح من المعلل والمقبول من المردود.

وقد ذكرنا فيما سبق آنفا أن علماء الحديث نقدوا طرق المرويات في التفسير وغيره وبينوا الصحيح والضعيف، والموضوع ونبهوا إلى الإسرائيليات، وحذروا منها، ولو أن المفسرين كانوا من أهل الحديث، ونقدته، لبرءوا كتبهم مما وقع فيها من المرويات من غير تمحيص وتمييز، ولما وقع فيها كل هذا الركام من الإسرائيليات، والخرافات، والأوهام، ولنأخذ في بيان المقصود فنقول وبالله التوفيق

* * *

(١) الإسرائيليات في قصة هاروت وماروت

روى السيوطي في الدر المنثور، في تفسير قوله تعالى: ﴿**وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت**﴾ روايات كثيرة وقصصاً عجيبة رويت عن ابن عمر، وابن مسعود،

---

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٢٢ (٢) المرجع السابق ص ٣٥٥

(٣) المرجع نفسه ص ٣٥٨

وعلي، وابن عباس، ومجاهد، وكعب، والربيع، والسدي، رواها ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن مردويه، والحاكم، وابن المنذر، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، والخطيب في تفاسيرهم وكتبهم[1].

وخلاصتها: أنه لما وقع الناس من بني آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: أي رب، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك، وطاعتك، وقد ركبوا الكفر، وقتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم، ولا يعذرونهم فقيل لهم: إنهم في غيب. فلم يعذروهم، وفي بعض الروايات: أن الله قال لهم: لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم، قالوا: سبحانك، ما كان ينبغي لنا، وفي رواية أخرى: قالوا: لا، فقيل لهم: اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمري، وأنهاهما عن معصيتي، فاختاروا هاروت، وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وركبت فيهما الشهوة، وأمرا أن يعبدا الله، ولا يشركا به شيئاً، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا وشرب الخمر، فلبثا على ذلك في الأرض زماناً، يحكمان بين الناس بالحق، وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس كحسن الزهرة في سائر الكواكب، وأنهما أراداها[2] على نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأنهما سألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنماً، فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا، فذهبا فصبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليها، فخضعا لها بالقول، وأراداها عن نفسها، فأبت إلا أن يكونا على دينها، وأن يعبدا الصنم الذي تعبده، فأبيا، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذا الخمر، فقالا: هذا لا ينبغي، وأهون الثلاثة شرب الخمر، وسقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها[3] فمر بهما إنسان، وهما في ذلك، فخشيا أن يفشي عليهما، فقتلاه، فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة، وأرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، وكشف الغطاء فيما

---

(١) الدر المنثور ج ١ ص ص ٩٧ – ١٠٣، تفسير ابن جرير ج ١ ص ٣٦٢ – ٣٦٧ ط بولاق.
(٢) راوداها عن نفسها.
(٣) أي فعلا بها الفاحشة.

بينهما وبين أهل السماء ، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه من الذنوب ، فقالوا من كان في غيب فهو أقل خشية ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض ، فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة ، قيل لهما : اختارا عذاب الدنيا ، أو عذاب الآخرة ، فقالا : أما عذاب الدنيا فينقطع ، ويذهب ، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له ، فاختاروا عذاب الدنيا ، فجعلا ببابل فهما يعذبان معلقين بأرجلهما ، وفي بعض الروايات ، أنهم علموها الكلمة التي يصعدان بها إلى السماء ، فصعدت ، فمسخها الله ، فهي هذا الكوكب المعروف بالزهرة(١) .

ويذكر السيوطي أيضاً في كتابه الدر المنثور : أن ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه(٢) ، والبيهقي في سننه عن عائشة ، أنها قالت : قدمت علي امرأة من دومة الجندل ، وأنها أخبرتها أنها جيء لها بكلبين أسودين فركبت كلباً ، وركبت امرأة أخرى الكلب الآخر ، ولم يمض غير قليل ، حتى وقفت ببابل ، فإذا هما برجلين معلقين بأرجلهما ، وهما هاروت وماروت ، واسترسلت المرأة التي قدمت على عائشة في ذكر قصة عجيبة غريبة .

ويذكر أيضاً ، أن ابن المنذر أخرج من طريق الأوزاعي ، عن هارون بن رباب ، قال : دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده رجل قد ثنيت له وسادة ، وهو متكئ عليها ، فقالوا : هذا قد لقي هاروت ، وماروت فقلنا له : حدثنا رحمك الله ، فأنشأ الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة(٣) .

وكل هذا من خرافات بني إسرائيل ، وأكاذيبهم التي لا يشهد لها عقل ، ولا نقل ، ولا شرع ، ولم يقف بعض رواة هذا القصص الخرافي الباطل عند روايته عن بعض الصحابة والتابعين ، ولكنهم أوغلوا باب الإثم ، والتجني الفاضح ، فألصقوا هذا الزور إلى النبي ﷺ ورفعوه إليه ، فقد قال السيوطي : أخرج سعيد ، وابن جرير ، والخطيب في تاريخه ، عن نافع ، قال : سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل

---

(١) الزهرة كرطبة – بضم الزاي وفتح الهاء – نجم في السماء كما في القاموس وغيره
(٢) تصحيح الحاكم غير معتد به لأنه معروف أنه متساهل في الحكم بالتصحيح كما قال ابن الصلاح وغيره وقد صحح أحاديث تعقبها الإمام الذهبي وحكم عليها بالوضع
(٣) الدر المنثور ص ١٠١ تفسير الطبري ج ١ ص ٣٦٦

قال : يا نافع انظر هل طلعت الحمراء ؟ قلت : لا ، مرتين أو ثلاثا ، ثم قلت : قد طلعت ، قال : لا مرحبا بها ، ولا أهلا ، قلت : سبحان الله !! نجم مسخر ، سامع ، مطيع !! قال : ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله ـ ﷺ ـ ، قال : إن الملائكة قالت : يا رب ، كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب ؟ قال : إني ابتليتهم وعافيتكم ، قالوا : لو كنا مكانهم ما عصيناك ، قال : فاختاروا ملكين منكم ، فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت ، فنزلا ، فألقى الله عليهم الشبق ، قلت : وما الشبق ؟ قال : الشهوة ، فجاءت امرأة يقال لها الزهرة فوقعت في قلبيهما ، فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه ، ثم قال أحدهما للآخر : هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي ؟ قال : نعم فطلباها لأنفسهما ، فقالت : لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء ، وتهبطان ، فأبيا ، ثم سألاها أيضا ، فأبت ، ففعلا ، فلما

* * *

استطيرت طمسها الله كوكبا ، وقطع أجنحتهما ، ثم سألا التوبة من ربهما ، فخيرهما بين عذاب الدنيا ، وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ، فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل [1] فانطلقا إلى بابل ، فخسف بهما ، فهما منكوسان بين السماء والأرض ، معذبان إلى يوم القيامة ، ثم ذكر بعض رواية أخرى ، مرفوعة إلى النبي ﷺ ـ لا تخرج في معناها عما ذكر [2] ، ولا ينبغي أن يشك مسلم عاقل ـ فضلا عن طالب حديث ، في أن هذا موضوع على النبي ـ ﷺ ـ مهما بلغت أسانيده من الثبوت ما بلغت إذ كانت ـ أسانيدها واهية ، ساقطة ، ولا تخلو من وضاع ، أو ضعيف ، أو مجهول ؟!! ونص على وضعه أئمة الحديث !!

وممن حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج بن الجوزي [3] ، ونص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت ، وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما ، فهو كافر بالله

---

(1) بابل : بلد من بلاد العراق .
(2) الدر المنثور ج ١ ص ٩٧ تفسير الطبري ج ١ ص ٣٦٤
(3) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج ١ ص ٨٢

لعظيم[1] . وقال الإمام القاضي عياض في « الشفاء » وما ذكره أهل الأخبار ، ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت لم يرد فيه شيء لا سقيم[2] ، ولا صحيح عن رسول الله - ﷺ - ، وليس هو شيئاً يؤخذ بالقياس .

وكذلك : حكم بوضع المرفوع من هذه القصة : الحافظ . عماد الدين ابن كثير ، وأما ما ليس مرفوعاً : فبين أن منشأه روايات إسرائيلية - أخذت عن كعب وغيره ، دسها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام . قال رحمه الله - في تفسيره ، بعد أن تكلم على الأحاديث الواردة في هاروت وماروت ، وأن روايات الرفع غريبة جداً ، « وأقرب ما يكون في ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر ، عن كعب الأحبار ، كما قال عبد الرزاق في تفسيره ، عن الثوري ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر ، عن كعب ، ورفع مثل هذه الإسرائيليات إلى النبي كذب واختلاق ألصقه زنادقة أهل الكتاب . زوراً وبهتاناً » ؛ وذكر مثل ذلك في البداية والنهاية[3]

أقول : وهذا الذي قاله العلامة ابن كثير هو . الحق الذي لا ينبغي أن يقال غيره .

وليس أدل على هذا : من أن ابن جرير رواها بالسند الذي ذكره ابن كثير ، وجعله عن ابن عمر ، عن كعب الأحبار[4] . ولكن بعض الرواة غلطاً ، أو سوء نية رفعها ونسبها إلى النبي - ﷺ وكذا ردها المحققون من المفسرين الذين مهروا في معرفة أصول الدين ، وأبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات . كالإمام الرازي ، وأبي حيان ، وأبي السعود ، والآلوسي .

ثم هذه من ناحية العقل غير مسلمة ، فالملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر ، التي لا تصدر من عربيد وقد أخبر الله عنهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، كما ورد في بعض الروايات التي أشرت إليها مما رد لكلام الله ، وفي رواية أخرى : أن الله قال لهم : لو ابتليتكم بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني ، قالا : لو فعلت بنا

---

(1) روح المعاني ج 1 ص 341 .
(2) لعله أراد به الضعيف ، واعتبر ما روى مرفوعا ساقطا عن الاعتبار
(3) البداية والنهاية ج 1 ص 37 .
(4) تفسير الطبري ج 1 ص 363 .

يارب ما عصيناك !! » ، ورد كلام الله كفر ، تنزه عنه من له علم بالله وصفاته ، فضلا عن الملائكة .

ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء ، وتصير كوكبا مضيئاً ، وما النجم الذي يزعمون أنه : « الزهرة » ، وزعموا أنه كان امرأة ، فمسخت ــ إلا في مكانه ، من يوم أن خلق الله السموات والأرض .

وهذه الخرافات التي لا يشهد لها نقل صحيح ، ولا عقل سليم هي كذلك مخالفة لما صار عند العلماء المُحْدَثين أمراً يقينياً ، ولا أدري ماذا يكون موقفنا أمام علماء الفلك ، والكونيات ، إذا نحن لم نزيف هذه الخرافات ، وسكتنا عنها ، أو انتصرنا لها ؟ !! .

وإذا كان بعض العلماء المحدثين[1] مال إلى ثبوت مثل هذه الروايات التي لا تشك في كذبها ، فهذا منه تشدد في التمسك بالقواعد ، من غير نظر إلى ما يلزم من الحكم بثبوت ذلك من المحظورات ، وأنا لا أنكر أن بعض أسانيدها صحيحة أو حسنة ، إلى بعض الصحابة أو التابعين ، ولكن مرجعها ومخرجها من إسرائيليات بني إسرائيل ، وخرافاتهم ، والراوي قد يغلط ، وبخاصة في رفع الموقوف ، وقد حققت هذا في مقدمات البحث ، وأن كونها صحيحة في نسبتها لا ينافي كونها باطلة في ذاتها ، ولو أن الانتصار لمثل هذه الأباطيل يترتب عليه فائدة ما لغضضنا الطرف عن مثل ذلك ، ولما بذلنا غاية الجهد في التنبيه إلى بطلانها ، ولكنها فتحت على المسلمين باب شر كبير ، يجب أن يغلق

ويرحم الله الإمام الحافظ الناقد البصير : ابن كثير فقد نبه على أصل الداء ، ووصف له الدواء ، وبين الحق والصواب في موقف المسلم من هذه الخرافات .

ما التفسير الصحيح للآية ؟

وليس من شأني في هذا الكتاب مجرد الهدم والإبطال لهذه الإسرائيليات والخرافات فحسب ، ولكني إلى ذلك سأعنى بتفسير الآيات التي حرفت عن مواضعها ، تفسيراً علمياً صحيحاً ، يشهد له النقل الصحيح ، والعقل السليم ، والسابق واللاحق من الآيات .

---

(1) هو الحافظ ابن حجر ، وتابعه السيوطي .

حتى يردده القارئ متيقناً أنها دخيلة على القرآن الكريم، وإليك التفسير الصحيح

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ. ﴾(1)

وليس في الآية ما يدل – ولو من بعد – على هذه القصة المنكرة. وليس السبب في نزول الآية ذلك، وإنما السبب: أن الشياطين في ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء، ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها، ويلقونها إلى الكهنة اليهود وأحبارهم، وقد دونها هؤلاء في كتب يقرؤونها، ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا هذا علم سليمان، وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه يسخر الإنس، والجن، والريح التي تجري بأمره. وهذا من افتراءات اليهود على الأنبياء. فأكذبهم الله بقوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾(2)

ثم عطف عليه ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ والمراد بما أنزل هو: علم السحر الذي نزلا ليعلماه الناس، حتى يحذروا منه. والسبب في نزولها هو تعليم الناس أبوابا من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر والنبوة. وأن سليمان لم يكن ساحراً، وإنما كان نبياً مرسلاً من ربه، وقد احتاط الملكان – عليهما السلام – غاية الاحتياط. فما كانا يعلمان أحداً شيئاً من السحر حتى يحذراه، ويقولا له: إنما نحن فتنة أي بلاء واختبار. فلا تكفر بتعلمه والعمل به، وأما من تعلمه ليحذر منه، وليعلم الفرق بينه وبين النبوة والمعجزة فهذا لا شيء فيه، بل هو أمر مطلوب، مرغوب فيه، إذا دعت الضرورة إليه. ولكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة، بل كانوا يفرقون به بين المرء وزوجه، وذلك بإذن الله ومشيئته، وقد دلت الآية على أن تعلم السحر لتحذير الناس من الوقوع فيه والعمل به

---

(1) البقرة ١٠٢

(2) لأن تعلم السحر للعمل به كفر

مباح، ولا إثم فيه. وأيضاً تعلمه لإزالة الاشتباه بينه، وبين المعجزة، والنبوة مباح، ولا إثم فيه، وإنما الحرام والإثم في تعلمه أو تعليمه للعمل به، فهو مثل ما قيل

عـرفت الشر لا للشر لـكن لتوقيـه
ومن لا يعرف الشر من النـاس يقع فيـه

واليهود ــ عليهم لعائن الله ــ لما جاءهم رسول الله ــ ﷺ ــ وكانوا يعلمون أنه النبي الذي بشرت به التوراة؛ حتى كانوا يستفتحون به على المشركين قبل ميلاده وبعثه، فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به، ونبذوا كتابهم التوراة، وكتاب الله القرآن وراء ظهورهم، وبدل أن يتبعوا الحق المبين ــ اتبعوا السحر الذي توارثوه عن آبائهم والذي علمتهم إياه الشياطين، وكان الواجب عليهم أن ينبذوا السحر، ويحذروا الناس من شره، وذلك كما فعل الملكان هاروت وماروت من تحذير الناس من شروره، والعمل به، وهذا هو التفسير الصحيح للآية، لا ما زعمه المبطلون الخرفون وبذلك يحصل التناسق بين الآيات وتكون الآية متآخية متعانقة، ولا أدري ما الصلة بين ما رووه من إسرائيليات، وبين قوله ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية.

والعجب: أن الإمام ابن جرير: حوم حول ما ذكرناه في تفسير الآية ثم لم يلبث أن ذكر ما ذكر[1]، والخلاصة: على القارىء أن يحذر من هذه الإسرائيليات، سواء وجدها في كتاب تفسير، أو حديث أو تاريخ أو موعظ، أو أدب أو أو..

* * *

(٢) إسرائيلية في الممسوخ من المخلوقات

ويولغ بعض زنادقة أهل الكتاب، فيضعون على النبي ــ ﷺ ــ خرافات في خلق بعض أنواع الحيوانات التي زعموا أنها مسخت ولو أن هذه الخرافات نسبت إلى كعب الأحبار وأمثاله، أو إلى بعض الصحابة، والتابعين لهان الأمر، ولكن عظم الإثم أن

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٣٥٩، ٣٦٠

ينسب ذلك إلى المعصوم ـ ﷺ ـ ، وهذا النوع من الوضع والدس من أخبث وأقذر أنواع الكيد للإسلام ونبي الإسلام .

فقد قال السيوطي ـ عفا الله عنه ـ بعد ما ذكر طامات وبلايا في قصة هاروت وماروت ، من غير أن يعلق عليه بكلمة : أخرج الزبير بن بكار في الموفقيات ، وابن مردويه ، والديلمي ، عن علي : أن النبي ـ ﷺ ـ سئل عن المسوخ[1] ، فقال : هم ثلاثة عشر : الفيل ، والدب ، والخنزير ، والقرد ، والجريث[2] ، والضب ، والوطواط ، والعقرب ، والدعموص ، والعنكبوت ، والأرنب ، وسهيل ، والزهرة . فقيل يا رسول الله : وما سبب مسخهن ؟ ـ ، وإليك التحريف والكذب الذي بريئة ساحة رسول الله منه ـ فقال : أما الفيل : فكان رجلا جباراً لوطياً ، لا يدع رطباً ، ولا يابساً ، وأما الدب : فكان مؤنثاً يدعو الناس إلى نفسه ، وأما الخنزير : فكان من النصارى الذين سألوا المائدة ، فلما نزلت كفروا وأما القردة ، فيهود اعتدوا في السبت وأما الجريث : فكان ديوثاً[3] ، يدعو الرجال إلى حليلته ، وأما الضب ، فكان أعرابياً يسرق الحاج بمحجنه ، وأما الوطواط فكان رجلا يسرق الثمار من رءوس النخل ، وأما العقرب : فكان رجلا لا يسلم أحد من لسانه ، وأما الدعموص[4] فكان نماماً يفرق بين الأحبة ، وأما العنكبوت : فامرأة سحرت زوجها ، وأما الأرنب : فامرأة كانت لا تطهر من حيضها ، وأما سهيل : فكان عشاراً باليمن ، وأما الزهرة : فكانت بنتاً لبعض ملوك بني إسرائيل افتتن بها هاروت وماروت ، ألا قبح الله من وضع هذا الزور والباطل ، ونسبه إلى من لا ينطق عن الهوى

ومما لا ينقضي منه العجب : أن السيوطي ذكر هذه الفرية من غير سند ، ولم يعقب عليه بكلمة استنكار ، ومثل هذا لا يشك طالب علم في بطلانه ، فضلا عن عالم كبير ، وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع ، وقد ذكره السيوطي في اللآلىء ، وتعقبه بما لا يجدي ، وكان من الأمانة العلمية : أن يشير إلى هذا ، وبعد هذا الكذب والتحريف ينقل السيوطي ما رواه الطبراني في الأوسط بسند ـ ضعيف ـ كذا قال : عن عمر بن الخطاب قال : جاء

---

(1) جمع مسخ أي الممسوخ من حالة إلى حالة أخرى

(2) في القاموس : الجريث كسكيت سمك .

(3) الديوث الذي لا يغار على زوجه

(4) الدعموص ـ بضم الدال ـ دويبة أو دودة سوداء تكون في الغدران إذا أخذ ماؤها في النضوب

جبريل إلى النبي – ﷺ – في غير حينه . ثم ذكر قصة طويلة في وصف النار ، وأن النبي بكى ، وجبريل بكى ، حتى نوديا : لا تخافا إن الله أمنكما أن تعصياه [١] . وأغلب الظن أنه من الإسرائيليات التي دست في الرواية الإسلامية

* * *

(٣) الإسرائيليات في بناء الكعبة البيت الحرام والحجر الأسود

وكذلك أكثر السيوطي في تفسيره « الدر المنثور » عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٢] من النقل عن الأزرقي وأمثاله من المؤرخين والمفسرين الذين هم كحاطب ليل ولا يميزون بين الغث والسمين ، والمقبول والمردود ، في بناء البيت ، ومن بناه قبل إبراهيم ، أهم الملائكة أم آدم ؟ وفي الحجر الأسود ومن أين جاء ؟ وما ورد في فضلهما ، وقد استغرق في هذا النقل الذي معظمه من الإسرائيليات التي أُخذت عن أهل الكتاب بضع عشرة صحيفة [٣] ، لا يكاد يصح منها أو يثبت إلا عشر هذا المقدار .

ولو أنه اقتصر على الرواية الصحيحة التي رواها البخاري في صحيحه [٤] ، وروى غيره من العلماء الأثبات الأثبات ، وأعرض عما عداه لأسدى معروفاً ، ولسلم المسلمون من كل هذه الإسرائيليات التي نحن في غنية عنها بما تواتر من القرآن ، وثبت من السنة الصحيحة وفي الحق أن ابن جرير كان مقتصداً في الإكثار من ذكر الإسرائيليات في هذا الموضع ، وإن كان لم يسلم منها ، وذكر بعضها ، وذلك مثل ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لما أهبط الله آدم من الجنة قال : إني مهبط معك بيتاً يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، ويصلى عنده ، كما يصلى عند عرشي . فلما كان زمن الطوفان رفع ، فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه [٥] حتى بوأه الله إبراهيم

---

(١) الدر المنثور ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣

(٢) البقرة ١٢٧

(٣) الدر المنثور ج ١ من ص ١٢٥ – ١٣٧

(٤) صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – باب « واتخذ الله إبراهيم خليلاً »

(٥) ولا أدري كيف يحجونه ولا يعلمون مكانه ؟

ـ عليه السلام ـ وأعلمه مكانه ، فبناه من خمسة أجبل : من حراء ، وثبير ، ولبنان ، وجبل الطور ، وجبل الخمر .

وأعجب من ذلك ، ما رواه بسنده عن عطاء بن أبي رباح ، قال : « لما أهبط الله آدم من الجنة ، كان رجلاه في الأرض ، ورأسه في السماء (؟) يسمع كلام أهل السماء ، ودعاءهم ، يأنس إليهم فهابته الملائكة ، حتى شكت إلى الله في دعائها ، وفي صلاتها ، فوجه إلى مكة ، فكان موضع قدمه قرية ، وخطوه مفازة حتى انتهى إلى مكة وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به ، حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة ، حتى بعث الله إبراهيم ، فبناه ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾[1] إلى غير ذلك مما مرجعه إلى أحبار بني إسرائيل وخرافاتهم ، ولم يصح في ذلك خبر عن المعصوم ﷺ ورحم الله الإمام الحافظ ابن كثير ، فقد بين لنا منشأ معظم هذه الروايات التي هي من صنع بني إسرائيل ، ودس زنادقتهم فقد قال فيما رواه البيهقي في الدلائل ، من طرق عن عبد الله بن عمرو ، ابن العاص عن النبي ـ ﷺ ـ : « بعث الله جبريل إلى آدم ، فأمره ، ببناء البيت ، فبناه آدم ، ثم أمره بالطواف به ، وقال له : أنت أول الناس ، وهذا أول بيت وضع للناس » .

قال ابن كثير : إنه من مفردات ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، والأشبه ـ والله أعلم ـ أن يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويكون من الزاملتين[2] اللتين أصابهما يوم اليرموك ، من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث بما فيهما[3]

وقال في « البداية » : ولم يجيء في خبر صحيح عن المعصوم : أن البيت كان مبنياً قبل الخليل ـ عليه السلام ـ ، ومن تمسك في هذا بقوله : ﴿ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر ، لأن المراد : مكانه المقدر في علم الله ـ تعالى ـ ، المقرر في قدرته ، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم[4]

* * *

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩

(٢) الزاملة : البعير الذي يحمل عليه المتاع

(٣) تفسير ابن كثير والبغوي ج ١ ص ٣١٩ ط المنار وفتح الباري ج ٦ ص ٣١٠

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ١٦٣ ، ج ٢ ص ٢٩٩

(٤) الإسرائيليات في قصة التابوت

ومن الإسرائيليات ، التي التبس فيها الحق بالباطل : ما ذكره غالب المفسرين في تفاسيرهم ، في قصة طالوت ، وتنصيبه ملكاً على بني إسرائيل ، واعتراض بني إسرائيل عليه ، وإخبار نبيهم لهم بالآية الدالة على ملكه ، وهي التابوت ، وذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1].

فقد ذكر ابن جرير ، والثعلبي ، والبغوي ، والقرطبي ، وابن كثير، والسيوطي في « الدر » ، وغيرهم في تفاسيرهم ، كثيراً من الأخبار عن الصحابة والتابعين ، وعن وهب بن منبه ، وغيره من مسلمة أهل الكتاب في وصف التابوت ، وكيف جاء ، وعلام يشتمل ؟ ، وعن السكينة وكيف صفتها ؟

فقد ذكروا في شأن التابوت : أنه كان من خشب الشمشاد[2] ، نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين ، كان عند آدم إلى أن مات ، ثم عند شيث ، ثم توارثه أولاده ، إلى إبراهيم ، ثم كان عند إسماعيل ، ثم يعقوب ، ثم كان في بني إسرائيل ، إلى أن وصل إلى موسى — عليه السلام — فكان يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه ، فكان عنده إلى أن مات ، ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت شمويل ، وكان عندهم حتى عصوا ، فغلبوا عليه : غلبهم عليه العمالقة .

وهذا الكلام وإن كان محتملا للصدق والكذب ، لكننا في غنية ولا يتوقف تفسير الآية عليه .

وقال بعضهم : إن التابوت إنما كان في بني إسرائيل ، ولم يكن من عهد آدم — عليه السلام — ، وأنه الصندوق الذي كان يحفظ فيه موسى — عليه السلام — التوراة ، ولعل هذا أقرب إلى الحق والصواب ، وكذلك أكثروا من النقل في « السكينة » ، فروى عن

---

(١) البقرة : ٢٤٨ .

(٢) في البغوي بالمعجمتين والدال المهملة ، وفي القرطبي بالمعجمة ثم ميم ثم سين مهملة آخره راء وفي بعض التفاسير والذال المعجمة

على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ هي : ريح خجوج[1] هفافة ، لها رأسان ووجه كوجه الإنسان .

وقال مجاهد : حيوان كالهر ، لها جناحان ، وذنب ، ولعينيه شعاع . إذا نظر إلى الجيش انهزم ، وقال محمد بن إسحق ، عن وهب بن منبه : السكينة رأس هرة ميتة ، إذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر ، وهذا من خرافات بني إسرائيل وأباطيلهم ، وعن وهب بن منبه أيضاً قال : السكينة : روح من الله تتكلم ، إذ اختلفوا في شيء تكلم ، فتخبرهم ببيان ما يريدون .

وعن ابن عباس : السكينة طست من ذهب ، كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء ، أعطاه الله موسى ـ عليه السلام ـ .

والحق أنه ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك ، ولا فيما صح عن النبي ـ ﷺ ـ وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إليه مسلمة أهل الكتاب ، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبه ، وكعب الأحبار وأمثالها .

التفسير الصحيح للسكينة

والذي ينبغي أن تفسر به السكينة : أن المراد بها : الطمأنينة ، والسكون الذي يحل بالقلب : عند تقدم التابوت أمام الجيش ، فهي من أسباب السكون ، والطمأنينة ، وبذلك تقوى نفوسهم ، وتشتد معنوياتهم فيكون ذلك من أسباب النصر ، فهو مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ... ﴾[2] أي طمأنينته ، وما ثبت به قلبه ، ومثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[3]

وقوله : ﴿ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ... ﴾[4] . فالمراد بالسكينة طمأنينة القلوب ، وثبات النفوس

---

(١) شديدة المرور في غير استواء ولا أدري كيف يكون للريح رأسان ، ووجه كوجه الإنسان ؟
(٢) التوبة : ٤٠
(٣) الفتح : ٤
(٤) الفتح : ٢٦ .

ويعجبني في هذا ما قاله الإمام أبو محمد : عبد الحق ، ابن عطية حيث قال : والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة ، من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك ، وتأنس به ، وتقوى[1]

وكذلك ذكروا في مجيء التابوت أقوالا متضاربة ، يرد بعضها بعضاً ، مما يدل على أن مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل ، وتداعيهم ، وأنه ليس فيه نقل يعتد به

فروى عن ابن عباس أنه قال : جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض ، حتى وضعته بين يدي طالوت ؛ والناس ينظرون ، وعن السدي : أصبح التابوت في دار طالوت ، فآمنوا بنبوة شمعون ، وأطاعوا طالوت ، وقال الحسن : كان التابوت مع الملائكة في السماء[2] فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ، ووضعته بينهم ، وقال قتادة : بل كان التابوت في التيه ، خلفه موسى عند يوشع بن نون ، فبقي هناك حتى حملته الملائكة ، ووضعته في دار طالوت ، فأقروا بملكه .

وذكر غيرهم : أن التابوت كان بأريحاء ؛ وكان الذين استولوا عليه وضعوه في بيت آلهتهم تحت صنمهم الأكبر ، فأصبح التابوت على رأس الصنم ، فأنزلوه ، فوضعوه تحته ، فأصبح كذلك ، فسمروه تحته ، فأصبح الصنم مكسور القوائم ، ملقى بعيداً ، فعلموا أن هذا أمر من الله لا قبل لهم به ، فأخرجوا التابوت من بلدهم فوضعوه في بعض القرى ، فأصاب أهله أمراض في رقابهم ، وقيل : جعلوه في مخرأة[3] قوم لهم ، فكان كل من تبرز هناك أصيب بالباسور وقيل بالناسور ، فتحيروا في الأمر ، فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل ، من أولاد الأنبياء : لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم ، فأخرجوه عنكم ، فأتوا بعجلة ، بإشارة تلك المرأة ، وحملوا عليها التابوت ، ثم علقوها على ثورين ، وضربوا جنوبهما ، فأقبل الثوران يسيران ، ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما ، فأقبلا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل ، فكسرا نيريهما[4] ، وقطعا حبالهما ، ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد بني إسرائيل ، ورجعا إلى

---

(1) تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٤٩

(2) هذا مع أنهم رووا كما سلف أنه لما عصوا وأفسدوا رفعه عليهم الله

(3) مكان تغوطهم

(4) النير ما يوضع على رقبة الثور عند الحرث ، والجمع

أرضها ، فلم يرع بني إسرائيل إلا التابوت ، فكبروا ، وحمدوا الله تعالى . فذلك قوله تعالى : ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ، أي تسوقه .

وكل هذا من أخبار بني إسرائيل الذين عبروا ، وبدلوا ، فالله أعلم بصحتها ، وأقرب هذه الأقوال من الصحة ، وما يدل عليه القرآن هو ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ .

وكذلك اختلفوا في تعيين البقية مما ترك آل موسى وآل هارون[1] ، وكانت محفوظة في التابوت .

فعن ابن عباس ، قال : عصاه ـ أي موسى ـ ورضاض[2] الألواح ، لأنها انكسرت لما ألقاها موسى ـ عليه السلام ـ حين عاد ، فوجدهم يعبدون العجل ، وكذا قال قتادة ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وعكرمة ، وزاد : والتوراة .

وقال أبو صالح : عصا موسى ، وعصا هارون ، ولوحان من التوراة ، وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل في التيه ، وقيل : عصا موسى ، ونعلاه ، وعصا هارون ، وعمامته ، وثياب موسى ، وثياب هارون ، ورضاض الألواح ، إلى غير ذلك .

وهي أقوال متقاربة ، ولا يرد بعضها بعضاً ، وهي محتملة ، والله أعلم بالصواب منها ؛ وهي من الأخبار التي تحتمل الصدق والكذب ، فلا نصدقها ، ولا نكذبها .

والذي نقطع به ، ويجب الإيمان به : أنه كان في بني إسرائيل تابوت ـ أي صندوق ـ من غير بحث في حقيقته ، وهيئته ، ومن أي جنس ؛ إذ ليس في ذلك خبر صحيح عن المعصوم ، وأن هذا التابوت كان فيه مخلفات من مخلفات موسى ، وهارون ـ عليهما السلام ـ ، مع احتمال أن يكون تعيين ذلك في بعض ما ذكرته آنفاً ، وأن هذا التابوت كان مصدر سكينة ، وطمأنينة لبني إسرائيل ، ولا سيما عند قتال عدوهم ، وأنه عاد إلى بني إسرائيل ، تحمله الملائكة ، من غير بحث في الطريق التي حملته بها الملائكة ، وبذلك

---

(1) المراد بآل موسى وآل هارون هنا ذاتيهما وهذا أمر معهود في لغة العرب ، وفي الحديث الشريف « لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود » أي صوتاً حسناً ، ولم يكن في آل داود حسن الصوت أحد إلا هو فالمراد بآل داود داود نفسه .

(2) فتات الألواح وما تهشم منها .

كان التابوت آية دالة على صدق طالوت في كونه ملكاً عليهم ، وما وراء ذلك من الأخبار التي سمعناها : لم يقم عليها دليل .

* * *

(٥) الإسرائيليات في قصة قتل داود جالوت

ومن الإسرائيليات : ما يذكره المفسرون في قصة قتل داود ، وهو : جندي صغير في جيش طالوت — جالوت ملك الجبار ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[١]

فقد ذكر الثعلبي ، والبغوي ، والخازن ، وصاحب « الدر المنثور » ، وغيرهم ، في تفاسيرهم ، ما خلاصته : أنه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت — ملك بني إسرائيل — إيشا : أبو داود ، في ثلاثة عشر ابناً له وكان داود أصغرهم ، وكان يرمي بالقذافة[٢] فلا يخطيء ، وأنه ذكر لأبيه أمر قذافته تلك ، وأنه دخل بين الجبال ، فوجد أسداً فأخذ بأذنيه ، فلم يهجه ، وأنه مشى بين الجبال ، فسبح ، فما بقي جبل حتى سبح معه ، فقال له أبوه : أبشر فإن هذا خير أعطاك الله تعالى إياه .

فأرسل جالوت إلى طالوت : أن ابرز إلي ، أو ابرز إلي من يقاتلني ، فإن قتلني فلكم ملكي ، وإن قتلته فلي ملككم ، فشق ذلك على طالوت ، فنادى في عسكره : من قتل جالوت زوجته ابنتي ، وناصفته ملكي ، فهاب الناس جالوت ، فلم يجبه أحد .

فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا الله في ذلك ، فأتى بقرن فيه دهن القدس ، وتنور من حديد ، فقيل : إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه ، فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ، ولا يسيل على وجهه ، بل يكون على رأسه كالإكليل[٣] ، ويدخل هذا التنور فيملؤه ، ولا يتقلقل فيه .

فدعا طالوت بني إسرائيل ، فجربهم ، فلم يوافقه منهم أحد ، فأوحى الله إلى نبيهم :

---

(١) البقرة : ٢٥١ .

(٢) شيء يقذف به كالمقلاع فلا يخطيء هدفه

(٣) ما يلبسه الملوك على رءوسهم

إن فى ولد « إيشا » من يقتل الله به جالوت ، فدعا طالوت إيشا ، فقال : اعرض هذا على بنيك ، فأخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السوارى[1] ، فجعل يعرضهم على القرن ، فلا يرى شيئاً ، فقال لإيشا : هل بقى لك ولد غيرهم ؟ فقال : لا ، فقال نبى هذا الزمن : يا رب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم ، فقال الله : كذب ، فقال هذا النبى لإيشا : إن الله كذبك ! !

فقال إيشا : صدق الله ، يا نبى الله ، إن لى ابن صغيرا ، يقال له داود ، استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاها ، وهو فى شعب كذا وكذا ، وكان داود رجلا قصيرا ، مسقاماً ، مصفرا ، أزرق ، أمعر[2] ، فدعاه طالوت ، ويقال : بل خرج إليه ، فوجد الوادى قد سال بينه وبين الزريبة التى كان يريح إليها ، فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل ، ولا يخوض بهما الماء ، فلما رآه قال : هذا هو لا شك فيه ، هذا يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم ، فدعاه ، ووضع القرن على رأسه ، ففاض ـ يعنى من غير أن يسيل على وجهه ـ فقال طالوت : هل لك أن تقتل جالوت ، وأزوجك ابنتى ، وأجرى خاتمك فى ملكى ؟ ، قال : نعم ، قال : وهل آنست من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله ؟ قال : نعم ، وذكر بعض ذلك .

فأخذ طالوت داود ، ورده إلى عسكره ، وفى الطريق مر داود بحجر ، فناداه يا داود احملنى ، فإنى حجر هارون الذى قتل بى ملك كذا ، فحمله فى مخلاته ، ثم مر بآخر ، فناداه قائلا : إنه حجر موسى الذى قتل به ملك كذا ، فأخذه فى مخلاته ، ثم مر بحجر ثالث ، فناداه قائلا له : احملنى ، فإنى حجرك الذى تقتل بى جالوت ، فوضعه فى مخلاته .

فلما تصافوا للقتال ، وبرز جالوت ، وسأل المبارزة ، انتدب له داود ، فأعطاه طالوت فرسا ، ودرعا ، وسلاحاً ، فلبس السلاح ، وركب الفرس ، وسار قريباً ، ثم لم يلبث أن

---

(١) جمع سارية ، وهى العمود ، أى : أنهم كالعمد الطويلة .

(٢) أمعر : قليل الشعر ، أو نحيف الجسم ، وهذا من أكاذيب بنى إسرائيل ، ودينهم الأنبياء بأبشع الصفات قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وما كان لأبيه وقد أخبره داود بما ذكره أول القصة ، أن ينتقصه ، ويصمه بهذه الأوصاف .

يوم دمث . وقد تعاظمت — إن لم تصدقني إنه لم يغن عني هذا السلاح شيئاً !! . فدعني أقاتل جالوت كما أريد . قال: فافعل ما شئت . قال: نعم

وأخذ داود مخلاته ، فتقلدها ، وأخذ المقلاع ، ومضى نحو جالوت . وكان جالوت من أشد الرجال ، وأقواهم . وكان يهزم الجيش وحده ، وكان له بيضة فيها ثلاثمئة رطل حديد[1] . فلما نظر إلى داود ألقى الله في قلبه الرعب ، وبعد مقاولة بينهما وتوعد كل منهما الآخر ، أخرج داود حجراً من مخلاته ، ووضعه في مقلاعه وقال: باسم إله إبراهيم ، ثم أخرج الآخر وقال: باسم إله إسحاق ، ووضعه في مقلاعه ، ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب ، ووضعه في مقلاعه . فصارت كلها حجراً واحداً ، ودوّر داود المقلاع ، ورمى به ، فسخر له الله الريح . حتى أصاب الحجر أنف البيضة ، فخلص إلى دماغه ، وخرج من قفاه ، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً . وهزم الله تعالى الجيش ، وخرّ جالوت قتيلاً . فأخذه داود يجره ، حتى ألقاه بين يدي طالوت ، ففرح جيش طالوت فرحاً شديداً ، وانصرفوا إلى مدينتهم سالمين ، والناس يذكرون بالخير داود

فجاء داود طالوت ، وقال له: أنجز لي ما وعدتني ، فقال: أتريد الصداق ؟ فقال له داود: ما شرطت علي صداقاً غير قتل جالوت . ثم اقترح عليه طالوت أن يقتل مائتي رجل من أعدائهم ، ويأتيه بغلفهم[2] ففعل ، فزوجه طالوت ابنته . وأجرى خاتمه في ملكه . فمال الناس إلى داود ، وأحبوه ، وأكثروا ذكره ، فحسده طالوت ، وعزم على قتله . فأخبر ابنة طالوت رجل من أتباعه . فحذرت داود ، وأخبرته بما عزم أبوها عليه . وبعد محاولات من طالوت لقتل داود ، ومكيدة وحيلة من داود ، أمكن الله داود منه ، فلم يصنع الصنيع . وتيقن طالوت أن داود لم يقتله ، خوفاً منه ، وتوجس خيفة . واحتاط لنفسه . ولكن الله أمكن داود منه ثلاث مرات ، ولكن لم يقتله . ثم كان أمر داود من

(١) البيضة: ما يلبسه المحارب على رأسه وهذا من المبالغات والهراء ، ولا أدري ولا أي عاقل يدري كيف يكون جالوت قد حمل ... وعلى أية حال فهذه من مخترعات أهل الكتاب بخصوص كميتها من الحديد . ولعل رطلهم كان أكثر من رطلنا اليوم . فيكون حملها على أنها ما يزيد عن ثلاثة قناطير من الحديد وما ذكروه في وصفه أن طوله كذا ميلاً ، وهذه ولا شك خرافة

(٢) الغلف ـ جمع غلفة: القطعة التي تقطع من القضيب عند الختان

طالوت في البرية. فرآه طالوت ذات يوم ميا فأراد قتله، ولكن داود دخل غاراً، وأمر الله العنكبوت، فنسجت عليه من خيوطها، وبذلك نجا من طالوت. ونجا إلى الجبل، وتعبد مع المتعبدين.

فطعن الناس في طالوت بسبب داود، واختفائه. فأسرف طالوت في قتل العلماء والعباد، ثم كان أن وقعت التوبة في قلبه. وندم على ما فعل، وحزن حزناً طويلاً، وصار يطلب من يفتيه أن له توبة فلم يجد، حتى دُلَّ على امرأة تعلم اسم الله الأعظم، فذهب إليها، وأمّن روعها، فانطلقت به إلى قبر «شمويل»، فخرج من قبره وأرشده إلى طريق التوبة، وهو أن يقدم نفسه وولده في سبيل الله حتى يقتلوا، ففعل، وجاء قاتل طالوت إلى داود ليخبره بقتله. فكانت مكافأته على ذلك أن قتله، وأتى بنو إسرائيل إلى داود، وأعطوه خزائن طالوت، وملكوه على أنفسهم، وقد استغرق ذلك من تفسير البغوي بضع صحائف (1).

وفي هذا الذي ذكروه الحق والباطل، والصدق، والكذب، ونحن في غنية عنه بما في أيدينا من القرآن والسنة، وليس في كتاب الله ما يدل على ما ذكروه. ولسنا في حاجة إلى شيء من هذا في فهم القرآن وتفسيره، فلا تلق إليه بالاً، وارم به دبر أذنيك، فيا عجبا عن من اصطفاه الله ملكاً عليهم، وكذبا على نبي الله داود، ويرحم الله الإمام العلامة ابن كثير، فقد أعرض عن ذكره، ونبه إلى أنه من الإسرائيليات، فقال في قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ ذكروا في الإسرائيليات (2) أنه قتله بمقلاع كان في يده رماه به، فأصابه، فقتله، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته، ويشاطره نعمته، ويشركه في أمره، فوفى له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام، مع ما منحه الله من النبوة العظيمة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ الذي كان بيد طالوت، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: النبوة بعد شمويل، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ من العلم الذي اختصه به عليه الصلاة والسلام.

---

(1) تفسير ابن كثير والبغوي ج 1 من ص ٦٠٤ – ٦٠٨

(2) ويؤكد أنه من الإسرائيليات أن هذا جميعه مأخوذ من التوراة، انظر توراة – سفر صموئيل الأول – الإصحاح ١٦، ١٧، ١٨، ١٩ تجد نص تلك القصة بها.

(٦) الإسرائيليات في قصص الأنبياء والأمم السابقة

وقد جاء في كتب التفسير على اختلاف مناهجها إسرائيليات كثيرة، ومرويات وأباطيل، لا نحصيها عدا، وذلك فيما يتعلق بقصص الأنبياء والمرسلين والأمم والأقوام السابقين. وقد رويت عن بعض الصحابة، والتابعين وتابعيهم، وورد بعضها مرفوعاً إلى النبي ﷺ كذباً وزوراً.

وهذه المرويات والحكايات لا تمت إلى الإسلام، وإنما هي من خرافات بني إسرائيل وأكاذيبهم، وافتراءاتهم على الله، وعلى رسله، ورواها عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وأخذها من كتبهم بعض الصحابة والتابعين، أو دست عليهم، بل منها ما عرف أنه مختلق. وذلك مثل ما زعموه في قصة إسحاق بن إبراهيم، وأنه هو الذبيح، كما سبق.

ولا يمكن استقصاء كل ما ورد من الإسرائيليات، وإلا لاقتضى هذا مجلدات كثيرة، ولكني سأكتفي بما هو ظاهر البطلان، ولا يتفق وسنن الله في الأكوان، وما علم بالعقيدة الصحيحة في أنبياء الله ورسله التي يدل عليها العقل السليم والنقل الصحيح.

(٧) ما ورد في قصة آدم - عليه السلام -

﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾

من تلك الإسرائيليات ما رواه ابن جرير[١] في تفسيره بسنده عن وهب بن منبه قال: لما أسكن الله آدم وذريته أو زوجته - الشك من أبي جعفر، وهو في أصل كتابه «وذريته» - ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم[٢]، وهي الثمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكانت للحية أربع قوائم، كأنها بختية[٣] من

(١) هو الإمام ابن جرير، والشك في لفظة «أو زوجته» ... وذكره الشك كالأمانة في الرواية، والظاهر لفظ «وزوجته» لأن آدم عليه السلام لم يكن له ذرية في الجنة.
(٢) وكيف والملائكة لا تأكل ولا تشرب؟
(٣) ناقة.

أحسن دابة خلقها الله ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال : انظري إلى هذه الشجرة ، ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأخذت حواء فأكلت منها ، ثم ذهبت بها إلى آدم ، فقالت له مثل ذلك ، حتى أكل منها ، فبدت لهما سوءاتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربه : يا آدم أين أنت ؟ قال : أنا هنا يا رب ، قال : ألا تخرج ؟ ، قال : أستحيي منك يا رب ، قال : ملعونة الأرض التي خلقت منها ، لعنة تتحول ثمرها شوكا . ثم قال : يا حواء ، أنت التي غررت عبدي ، فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها ، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا . وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنت عدوة بني آدم ، وهم أعداؤك . . . قال عمرو : قيل لوهب : وما كانت الملائكة تأكل ؟! قال : يفعل الله ما يشاء"(1) ، قال ابن جرير : وروي عن ابن عباس نحو هذه القصة .

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس ، وعن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة نحو هذا الكلام(2) ، وفي السند أسباط عن السدي ، وعليهما يدور الروايات ، وقد تقدم حالهما في الرواية .

وكذلك ذكر السيوطي في (الدر المنثور) ما رواه ابن جرير وغيره في هذا ، مما روي عن ابن عباس ، وابن مسعود ، ولكنه لم يذكر رواية عن وهب بن منبه(3) وأغلب كتب التفسير بالرأي ذكرت هذا أيضاً . وكل هذا من قصص بني إسرائيل التي تزيدوا فيه ، وخلطوا حقاً بباطل ، ثم حمله عنهم ابن عباس ، وغيره من الصحابة والتابعين ، وفسروا به القرآن الكريم .

ويرحم الله ابن جرير ، فقد أشار بذكره الرواية عن وهب . إلى أن ما يروى عن ابن عباس ، وابن مسعود ، إنما مرجعه إلى وهب وغيره من مسلمة أهل الكتاب . وبالله لم يقل شيئاً من هذا ، ويا ليت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا

(1) هذا مورد من الموقف ، وعجز عن تصحيح هذا بكتب الصغير
(2) تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٨٦ ، ١٨٧ (3) الدر المنثور ج ١ ص ٥٣

وفي رواية ابن جرير الأولى ما يدل على أن الذين رووا عن وهب وغيره كانوا يشكون فيما يروونه عنهم ، فقد جاء في حرفه . (قال عمرو[1] : قيل لوهب : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء) فهم قد استشكلوا عليه : كيف أن الملائكة تأكل ؟ ! وهو لم يأت بجواب يعتد به .

ووسوسة إبليس لآدم - عليه السلام - لا تتوقف على دخوله في بطن الحية . إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب ولا مشافهة ، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه . والحية خلقها الله يوم خلقها على هذه ، ولم تكن لها قوائم كالبختي ، ولا شيء من هذا[2] .

* * *

ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾

ومن الروايات التي لا تثبت ما ذكره السيوطي في (الدر) . قال : أخرج الطبراني في المعجم الصغير ، والحاكم ، وأبو نعيم ، والبيهقي كلاهما في الدلائل ، وابن عساكر ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه ، رفع رأسه إلى السماء ، فقال : أسألك بحق محمد إلا غفرت لي ، فأوحى الله إليه : ومن محمد ؟ فقال : تبارك اسمك ، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك ، فإذا فيه مكتوب (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) ، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك . فأوحى الله إليه : يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك ، ولولا هو ما خلقتك » ، ثم قال : وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند واه[3] عن علي ، قال : سألت النبي - ﷺ - عن قول الله : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ فقال : « إن الله أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس ببيسان ، والحية بأصبهان ، وكان للحية قوائم كقوائم البعير ، ومكث آدم بالهند مائة سنة باكيا على خطيئته ، حتى بعث الله إليه

---

(1) هو عمرو بن عبد الرحمن بن مهرب الراوي عن وهب .

(2) انظر كيف أفسد هؤلاء الإسرائيليون عقول المسلمين ، وصرفوا الآيات عن أهدافها إلى أمور لا تثبت عن المعصوم ﷺ .

(3) السند الواهي : هو الشديد الضعف الذي ربما يصل إلى حد الموضوع .

جبريل ، وقال : يا آدم ألم أخلقك بيدي ؟ ، ألم أنفخ فيك من روحي ؟ ، ألم أسجد لك ملائكتي ؟ ألم أزوجك حواء أمتي ؟ ، قال : بلى ، قال : فما هذا البكاء؟ قال : وما يمنعني من البكاء ، وقد أخرجت من جوار الرحمن ؛ قال : فعليك بهذه الكلمات ، فإن الله قابل توبتك ، وغافر ذنبك ، قل : اللهم إني أسألك بحق محمد ، وآل محمد ، سبحانك لا إله إلا أنت ، عملت سوءا وظلمت نفسي ، فاغفر لي ، إنك أنت الغفور الرحيم ، اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك ، لا إله إلا أنت ، عملت سوءا وظلمت نفسي ، فتب عليّ ، إنك أنت التواب الرحيم ، فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم . ولا أدري ما دام سنده واهياً لم ذكره ؟ ! ، ومثل هذا عليه أمارات الوضع والاختلاق

ويسترسل السيوطي في الدر ، فيذكر عن ابن عباس ، أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ، فتاب عليه ، قال : « سأل بحق محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين إلا تبت عليَّ ، فتاب عليه » ومثل هذا لا يشك طالب حديث في اختلاقه وأنه من وضع الشيعة ، واختلاقهم ، ثم يسترسل في الرواية ، فيذكر : أن آدم لما هبط كان مسودا جسمه ، ثم بيض الله جسده بصيامه ثلاثة أيام ، ولذلك سميت بالأيام البيض ، وأنه ــ عليه السلام ــ كان يشرب من السحاب ، بل يروى عن كعب : أنه أول من ضرب الدينار والدرهم ، إلى غير ذلك مما لا يخرج عن كونه من الإسرائيليات .

التفسير الصحيح للكلمات :

والصحيح في الكلمات هو : ما روي عن طرق عدة : أنها قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ، وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وقد رواه السيوطي في الدر[1] من طرق عدة ، ولكنه خلط عملا صالحاً ، وآخر سيئاً ، وقد أفاض ابن جرير في تفسيره في ترجيح هذا القول ، وإن ذكر غيره من الأقوال التي هي بعيدة عن الحق والصواب

ما نسب إلى ابنَيْ آدم لما قتل أحدهما الآخر

ومن ذلك : ما ذكره بعض المفسرين كابن جرير الطبري في تفسيره ، والسيوطي في

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ .

تفسيره (الدر المنثور) في قصة ابني آدم: قابيل، وهابيل، وقتل أولها لآخر، ما روى عن كعب: أن الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم، وعن وهب: أن الأرض نشفت دم ابن آدم المقتول، فلعن ابن آدم الأرض، فمن أجل ذلك لا تنشف الأرض دما بعد دم هابيل إلى يوم القيامة، وأن قابيل حمل هابيل سنة في جراب على عنقه، حتى أنتن وتغير، فبعث الله الغرابين قتل أحدهما لآخر، فحفر له، ودفنه، برجليه ومنقاره، فعلم كيف يصنع بأخيه، مع أن القرآن عبر بالفاء التي تدل على الترتيب والتعقيب من غير تراخ، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾[1].

وروى أيضاً: أنه لما قتله اسود جسده، وكان أبيض، فسأله آدم عن أخيه، فقال: ما كنت عليه وكيلا، قال: بل قتلته فلذلك اسود جسدك، إلى نحو ذلك.

فكل هذا وأمثاله ـ عند ما جاء في القرآن ـ من إسرائيليات بني إسرائيل، وقد جاءت بعض الروايات صريحة عن كعب، ووهب، وما جاء عن ابن عباس، ومجاهد وغيرهم، فرجعه إلى أهل الكتاب الذين أسلموا[2].

* * *

ما نُسب إلى آدم ـ عليه السلام ـ من قول الشعر

ومن الإسرائيليات: ما رواه ابن جرير في تفسيره، وما ذكره السيوطي في الدر: من أن آدم لما قتل أحد ابنيه الآخر، مكث مئة عام لا يضحك حزناً عليه، فأتى على رأس مائة، فقيل له: حياك الله، وبياك، وبشر بغلام، فعند ذلك ضحك.

وكذلك ما ذكره من أن آدم ـ عليه السلام ـ رثى ابنه بشعر، روى ابن جرير عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم، فقال:

تغيرت البلاد، ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

(١) المائدة: من الآية ٣١.

(٢) تفسير ابن جرير عند قوله تعالى في سورة المائدة ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم...﴾ الآيات ـ الدر المنثور ج ٢ ص ٢٧٠.

قال السيوطي : وأخرج الخطيب وابن عساكر عن ابن عباس قال : لما قتل ابن آدم أخاه قال آدم ـ عليه السلام ـ وذكر البيتين السابقين باختلاف قليل

فأجابه إبليس عليه اللعنة :

تنح عن البلاد وساكنيها   فبي في الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء   وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما انفكت مكايدتي ومكري   إلى أن فاتك الثمن الربيح (1)

وقد طعن في نسبة هذه الأشعار إلى نبي الله آدم الإمام الذهبي في كتابه « ميزان الاعتدال » ، وقال : إن الآفة فيه من الجرمي أو شيخه (2) .

وما الشعر الذي ذكروه إلا منحول مختلق ، والأنبياء لا يقولون الشعر ، وصدق الزمخشري حيث قال : « روي أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك ، وأنه رثاه بشعر ، وهو كذب بحت ، وما الشعر إلا منحول ملحون . وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر » (3)

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ (4)

وقال الإمام الآلوسي في تفسيره : وروي عن ميمون بن مهران عن الحبر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : « من قال : إن آدم ـ عليه السلام ـ قد قال شعرًا فقد كذب . إن محمدًا ـ ﷺ ـ والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء ، ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم بالسريانية ، فلم يزل ينقل ، حتى وصل إلى يعرب بن قحطان ، وكان يتكلم بالعربية ، والسريانية ، فقدم فيه وأخر ، وجعله شعرًا عربيًا » وذكر بعض علماء العربية

---

(1) تفسير ابن جرير في الموضع السابق ، الدر المنثور ج ١ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧
(2) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٧٣
(3) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٣٦
(4) سورة يس ، الآية ٦٩

أن في ذلك لحنا ، وإقواء . وارتكاب ضرورة ، والأولى عدم نسبته إلى عربي ، لما فيه من الركاكة الظاهرة[1].

والحق : أنه شعر في غاية الركاكة ، والأشبه أن يكون هذا الشعر من اختلاق إسرائيلي ، ليس له من العربية إلا حظ قليل ، أو قصاص يريد أن يستولي على قلوب الناس بمثل هذا الهراء.

* * *

(٨) الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين وخرافة عوج بن عوق

ومن الإسرائيليات التي اشتملت عليها كتب التفسير ما يذكره بعض المفسرين ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا** ﴾[2].

فقد ذكر الجلال السيوطي في «الدر» كثيراً من الروايات في خلقة هؤلاء القوم ، وعظم أجسادهم ، مما لا يتفق وسنة الله في خلقه ، ويخالف ما ثبت في الأحاديث الصحيحة ، وذلك ، مثل ما أخرجه ابن عبد الحكم عن أبي ضمرة قال : «استظل سبعون رجلا من قوم موسى في خف رجل من العمالق !!» ومثل ، ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن يزيد بن أسلم قال : «بلغني أنه رؤيت ضبع وأولادها رابضة في فجاج عين رجل من العماليق !!» ومثل ما رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : «أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين ، فسار بمن معه ، حتى نزل قريباً من المدينة ، وهي «أريحاء» فبعث إليهم اثني عشر نقيبا ، من كل سبط منهم عين ، ليأتوه بخبر القوم ، فدخلوا المدينة ، فرأوا أمرا عظيما من هيئتهم ، وجسمهم وعظمهم ، فدخلوا حائطاً - أي بستاناً - لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليجني الثمار ، فنظر إلى آثارهم فتتبعهم ، فكلما أصاب واحدا منهم أخذه ، فجعله في كمه مع الفاكهة وذهب إلى ملكهم ، فنثرهم بين يديه ، فقال الملك : قد رأيتم شأننا وأمرنا ، اذهبوا فأخبروا صاحبكم ، قال : فرجعوا

(١) روح المعاني ج ٦ ص ١١٥

(٢) سورة المائدة الآية : ٢٢

إلى موسى فأخبروه بما عاينوه من أمرهم ، فقال : اكتموا عنا ، فجعل الرجل يخبر أخاه وصديقه ، ويقول : اكتم عني ، فأشيع في عسكرهم ، ولم يكتم منهم إلا رجلان : يوشع بن نون ، وكالب بن يوحنا ، وهما اللذان أنزل الله فيهما : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾

ويروى ابن جرير بسنده ، عن مجاهد ، نحوا مما قدمنا ، ثم يذكر أن عنقود عنبهم لا يحمله إلا خمسة أنفس ، بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس وأربعة[1] ، إلى غير ذلك من الإسرائيليات الباطلة .

خرافة عوج بن عوق[2] :

ومن الإسرائيليات الظاهرة البطلان ، التي ولع بذكرها بعض المفسرين والأخباريين ، عند ذكر الجبارين : قصة عُوج بن عُوق ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وأنه كان يمسك الحوت ، فيشويه في عين الشمس ، وأن طوفان نوح لم يصل إلى ركبتيه ، وأنه ، امتنع عن ركوب السفينة مع نوح ، وأن موسى كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ، ووثب في الهواء عشرة أذرع ، فأصاب كعب عوج فقتله ، فكان جسرا لأهل النيل سنة . إلى غير ذلك من الخرافات ، والأباطيل التي تصادم العقل والنقل ، وتخالف سنن الله في الخليقة ، ولا أدرى كيف يتفق هذا الباطل ، هو وقول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [3]

اللهم إلا إذ كان عوج أطول من جبال الأرض ! !

فمن تلك الروايات الباطلة المخترعة ، ما رواه ابن جرير بسنده عن أسباط ، عن السدى ، في قصة ذكرها من أمر موسى وبني إسرائيل وبعث موسى النقباء الاثنى عشر ،

---

(1) تفسير ابن جرير ج ٦ ص ١١٢ ، الدر المنثور ج ١ ص ٢٧٠

(2) منهم من يقول : بن عوق ، ومنهم من يقول : ابن عنق كما ذكر العلامة ابن كثير ، وفي القاموس : « وعوج بن عوق بضمهما - أي : العينين - رجل ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى ، وذكر من عظم خلقه شناعة » .

(3) هود : من الآية ٤٢ والآية ٤٣ .

رأيهم، فلقيهم رجل من الجبارين يقال له: عوج، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حجزته(١)، وعلى رأسه حزمة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا، فطرحهم بين يديها، فقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك
وكذلك ذكر مثل هذا وأشنع منه غير واحد من المفسرين والقصصيين، وهي كما قال من قبيل أحاديث خرافة، كانت مشهورة في الجاهلية، أخذت بالحديث فقصد الأمر(٢).

ومن ذلك ما ذكره الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره قال: وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخبارًا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأن منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعًا وثلث ذراع، تحرير الحساب، وهذا شيء يستحي من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله خلق آدم، وطوله ستون ذراعًا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن**». ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرًا، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله تعالى ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا**﴾ وقال تعالى: ﴿**فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين**﴾، وقال تعالى: ﴿**لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم**﴾، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر، وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر، والله أعلم(٣).

وقال العلامة ابن قيم الجوزية، بعد أن ذكر حديث عوج: «وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله، وإنما العجب ممن يدخل هذا في كتب العلم

---

(١) الحجزة: موضع [illegible]
(٢) [illegible] ص ٢٦٢ [illegible]
(٣) تفسير ابن كثير [illegible] ج ٣ ص ٤٥ [illegible]

من التفسير وغيره ، فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل وأتباعهم ... أقول : وسواء أكان عوج بن عوق شخصية وجدت حقيقة ، أو شخصية خيالية ، فالذى ننكره هو ما أضفوه عليه من صفات ومناقب تجعله من أبواب الزور والكذب والتجرؤ على أن يفسر كتاب الله بهذا الهراء ، وليس فى نص القرآن ما يشير إلى ما حكوه وذكروه ، ولو من بعيد ، أو على وجه الاحتمال ، ثم إن زمن نوح من زمن موسى - عليهما السلام - ومما دل عليه آية : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ كان فى زمن موسى قصة ، ولا مرية فى هذا فهل طالت الحياة بعوق حتى زمن موسى ؟ ! بل قالوا : إن موسى هو الذى قتله ، ألا بعدًا لله اليهود ، فكم من علم أفسدوا وكم من خرافات وأباطيل وضعوا

* * *

(٩) الإسرائيليات فى قصة التيه

فى هذه الأخبار العجيبة التى رويت فى قصة التيه : ما رواه ابن جرير بسنده عن الربيع ، قال : لما قال لهم القوم ما قالوا ، ودعا موسى عليهم ، أوحى الله إلى موسى : إنها محرمة عليهم أربعين سنة ، يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين ، وهم يومئذ ستمائة ألف مقاتل فجعلهم فاسقين بما عصوا ، فلبثوا أربعين سنة فى فرسخ ستة ، أو دون ذلك ، يسيرون كل يوم جادين ، لكى يخرجوا منها ، حتى يمسوا ، وينزلوا ، فإذا هم فى الدار التى منها ارتحلوا ، وأنهم اشتكوا إلى موسى ما فعل بهم فأنزل عليهم المن والسلوى [1] ، وأعطوا من الكسوة ما هى قائمة لهم ، ينشأ الناشىء فتكون معه على هيئته ، وسأل موسى ربه أن يسقيهم ، فأتى بحجر الطور ، وهو حجر أبيض ، إذا ما نزل القوم ضربه بعصاه ، فيخرج منه اثنتا عشرة عينًا ، لكل سبط منهم عين ، قد علم كل أناس مشربهم ، وكذلك روى أن ثيابهم ما كانت تبلى ولا تتسخ ، وكذلك نقل بعض المفسرين كالزمخشرى وغيره أنهم كانوا ستمائة ألف ، وسعة معسكرهم اثنا عشر ميلا .

---

(١) المن : شيء كالصمغ كان ينزل على الشجر من السماء ، حلو الطعم وربما كالعسل ، والسلوى : طير كالسمانى

وكذلك ما ذكروا أن المتحركات من حية، وما يكون حجرا [illegible] ومنهم من [illegible] كان على هيئة رأس إنسان، ومنهم من [illegible] كان على هيئة [illegible] وفي [illegible] كان طوله عشرة أذرع، وما شاكل ذلك في الأحلام. إلى غير ذلك من تزيدات بني إسرائيل وما في [illegible] يدل على هذا الذي ذكروه في وصف الحجر، مع أنه لو أريد [illegible] لكان أدل على القدرة [illegible] في الإعجاز.

وقد لاحظ ابن خلدون من قبل الأغلاط التي تتجلى في مثل هذه المرويات، فقال في مقدمته المشهورة:

«اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت، يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران، والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق. وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر، ولا بد من ردها إلى الأصول، وعرضها على القواعد. وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل أن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون، ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام، واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش. لكل مملكة حصة من الحامية

تتسع لها ، وتقوم بوظائفها ، وتضيق عما فوقها ، تشهد بذلك العوائد المعروفة ، والأحوال المألوفة .

ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بنى إسرائيل بكثير ، يشهد لذلك ما كان من غلب بختنصر لهم ، والتهامه بلادهم ، واستيلائه على أمرهم ، وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم ، وسلطانهم ، وهو من بعض عمال مملكة فارس ، وكانت ممالكهم بالعراقين ، وخراسان ، وما وراء النهر ، والأبواب أوسع من ممالك بنى إسرائيل بكثير ، ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريباً منه ، وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين ألفاً ، كلهم متبوع على ما نقله « سيف » قال : « وكانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف » وعن عائشة ، والزهرى ، أن جموع رستم التى زحف بهم سعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفاً كلهم متبوع .

وأيضاً : فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد ، لاتسع نطاق ملكهم ، وانفسح مدى دولتهم ، فإن العمالات والممالك فى الدول على نسبة الحامية ، والقبيل القائمين بها فى قلتها وكثرتها حسبما نبين ذلك فى فصل الممالك من الكتاب الأول[1] ، والقوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن ، وفلسطين من الشام ، وبلاد يثرب ، وخيبر ، من الحجاز على ماهو المعروف .

وأيضاً : فالذى بين موسى ، وإسرائيل إنما هو إلا أربعة آباء ، على ما ذكره المحققون ، فإنه موسى بن عمران ، بن يصهر ، بن قاهث ـ بفتح الهاء وكسرها ـ بن لاوى ـ بكسر الواو وفتحها ـ بن يعقوب وهو إسرائيل الله ، هكذا نسبه فى التوراة ، والمدة بينهما على ما نقله المسعودى ، قال : دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط ، وأولادهم ، حين أتوا إلى يوسف سبعين نفساً ، وكان مقامهم بمصر ، إلى أن خرجوا مع موسى ـ عليه السلام ـ إلى التيه ، مائتين وعشرين سنة ، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ، ويبعد أن يتشعب النسل فى أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد !! وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان فى زمن سليمان ومن بعده ، فبعيد أيضاً ، إذ ليس بين سليمان ، وإسرائيل إلا أحد عشر

---

(١) يريد بالكتاب الأول « مقدمته المشهورة » بعد قسمها إلى فصول

أباً ، ولا يلتفت الناس في أحد عشر من ولده إلى هذا العدد الذي عندهم ، اللهم إلا مئين والآلاف ، فربما يكون ، وأما أن يتجاوز هذا إلى ما بعدها من عقود الأعداد فعجيب ، واعتبر ذلك في العصر الشاهد ، والقريب معروف عدد رعيتهم فضلا ، وقلتهم كذلك .

قال : والذي ثبت في الإسرائيليات أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفاً خاصة ، وأن مقرباته كانت ألفاً ، وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه ، هذا هو الصحيح من أخبارهم ، ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم ، وفي أيام سليمان ـ عليه السلام ـ وملكه كان عنفوان دولتهم ، واتساع ملكهم[1] .

وهذا الفصل من المقدمة نفيس ، فلذلك حرصت على ذكره ، لأنه يفيدنا في رد الكثير من الإسرائيليات التي وضعت فيها مبالغات ، والأخبار الباطلة ، والخرافات التي كانت سائدة في العصور الأولى .

* * *

(١٠) الإسرائيليات في المائدة التي طلبها الحواريون :

ومن الإسرائيليات التي ذكرها بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[2]

وقد اختلف العلماء في المائدة : أنزلت أم لا ؟ وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً على نزولها ، وهذا هو ظاهر القرآن ، فقد وعد الله ، ووعده محقق لا محالة . وذهب الحسن

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٧ ـ ٩ .
(٢) المائدة من الآية ١١٢ ـ ١١٥ .

ومجاهد إلى أنها لم تنزل ، وذلك ، لأن الله سبحانه لما توعدهم على كفرهم بعد نزولها بالعذاب البالغ غاية الحد خافوا أن يكفر بعضهم ، فاستعفوا ، وقالوا : لا نريدها فلم تنزل ، ولا أدرى ما الحامل لهم على هذا ؟ !

وقد أحيطت المائدة بأخبار كثيرة ، أغلب الظن : أنها من الإسرائيليات رويت عن وهب بن منبه ، وكعب ، وسلمان ، وابن عباس ، ومقاتل ، والكلبي ، وعطاء وغيرهم ، بل رووا في ذلك حديثا عن عمار بن ياسر عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إنها نزلت خبزاً ولحما ، وأمروا أن لا يخونوا ، ولا يدخروا لغد » وفي رواية : بزيادة « ولا يخبئوا ، فخانوا وادخروا ، ورفعوا لغد ، فمسخوا قردة وخنازير » ، ورفع مثل هذا إلى النبي غلط ، ووهم من أحد الرواة على ما أرجح ، فقد روى هذا ابن جرير في تفسيره مرفوعا ، وموقوفا ، والموقوف أصح ، وقد نص على أن المرفوع لا أصل له الإمام أبو عيسى الترمذي فقال بعد أن روى الروايات المرفوعة : (هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد ، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، عن خلاس عن عمار بن ياسر موقوفا ، ولا نعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسن بن قزعة) ، وبعد أن ذكر رواية موقوفة عن أبي هريرة ، قال : (وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة ، ولا نعرف للحديث المرفوع أصلا)[1]

وقد اختلفت المرويات في هذا ، فروى العوفي عن ابن عباس : أنها خوان عليه خبز وسمك ، يأكلون منه أينما نزلوا ، إذا شاءوا ، وقال عكرمة عن ابن عباس : كانت المائدة سمكة ، وأرغفة[2] ، وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس : أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم .

وقال كعب الأحبار : نزلت المائدة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض ، عليها كل الطعام إلا اللحم .

وقال وهب بن منبه : أنزلها من السماء على بني إسرائيل ، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمر الجنة ، فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى ، فكان يقعد عليها أربعة آلاف ، وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على ذلك ما شاء الله - عز وجل

---

(١) سنن الترمذي - كتاب التفسير - باب : سورة المائدة .
(٢) التصغير للتقليل هنا .

وقال وهب أيضاً : نزل عليهم أقرصة من شعير، وأحوات(١)، وحشا الله بين أضعافهن البركة، فكان قوم يأكلون، ثم يخرجون، ثم يجيء آخرون فيأكلون، ثم يخرجون، حتى أكل جميعهم، وأفضلوا. وهكذا لم يتفق الرواة على شيء، مما يدل على أنها إسرائيليات مبتدعة، وليس مرجعها إلى المعصوم - ﷺ - والحق أبلج، والباطل لجلج لا ينفق عليه غالباً.

وسأكتفي بذكر الرواية المطولة التي ذكرها ابن أبي حاتم، في تفسيره بسنده، عن وهب بن منبه، عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وخلاصتها:

«أن الحواريين لما سألوا عيسى ابن مريم - عليه السلام - المائدة كره ذلك، خشية أن تنزل عليهم، فلا يؤمنوا بها، فيكون فيها هلاكهم، فما أبوا إلا أن يدعو لهم الله لكي تنزل، دعا الله، فاستجاب له، فأنزل الله تعالى سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة فوقها، وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من السماء، تهوي إليهم، وعيسى - عليه الصلاة والسلام - يبكي خوفاً من الشرط الذي أخذ عليهم فيها فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يديه، والحواريون حوله يجدون رائحة طيبة، لم يجدوا رائحة مثله قط، وخر عيسى - عليه الصلاة والسلام - والحواريون سجداً، شكراً لله تعالى وأقبل اليهود ينظرون إليهم، فرأوا ما يغمهم، ثم انصرفوا، فأقبل عيسى - عليه السلام - ومن معه ينظرونها، فإذا هي مغطاة بمنديل، فقال - عليه السلام -: من أجرؤنا على كشفه، وأوثقنا بنفسه، وأحسننا بلاء عند ربه، حتى يراها، ونحمد ربنا سبحانه وتعالى ونأكل من رزقه الذي رزقنا؟ فقالوا: يا روح الله وكلمته، أنت أولى بذلك، فقام واستأنف وضوءاً جديداً، ثم دخل مصلاه، فصلى ركعات، ثم بكى طويلاً، ودعا الله تعالى أن يأذن له في الكشف عنها، ويجعل له ولقومه فيها بركة، ورزقاً، ثم انصرف، وجلس حول السفرة وتناول المنديل، وقال: بسم الله خير الرازقين، وكشف عنها، فإذا عليها سمكة ضخمة مشوية، ليس عليها بواسير(٢)، وليس في جوفها شوك، يسيل السمن(٣)

---

(١) أحوات: جمع حوت، في القاموس: الحوت: السمك، جمعه: حوات، وحوتة، وحيتان.
(٢) أي قشر، وفي رواية العوفي: ليس عليها فلوسها.
(٣) أي الدهن لسمنها.

منها ، قد نضد حوله بقول من كل صنف غير الكراث ، وعند رأسه خل ، وعند ذنبها ملح ، وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون ، وعلى الآخر تمرات ، وعلى الآخر خمس رمانات ، وفي رواية : على واحد منها زيتون ، وعلى الثاني عسل ، وعلى الثالث سمن ، وعلى الرابع جبن ، وعلى الخامس قديد[1] فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى : يا روح الله وكلمته : أمن طعام الدنيا هذا ، أم من طعام الجنة ؟ ، فقال عيسى : أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات ، وتنتهوا عن تنقير المسائل ؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية . فقال له شمعون : لا وإله إسرائيل ما أردت بها سؤالا[2] يا ابن الصديقة ، فقال عيسى — عليه السلام — ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ، ولا من طعام الجنة ، إنما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة .

فقالوا : يا روح الله وكلمته : إنا نحب أن يرينا الله آية في هذه الآية . فقال — عليه السلام — : سبحان الله تعالى أما اكتفيتم ؟! ثم قال : يا سمكة عودي بإذن الله تعالى حية كما كنت ، فأحياها الله ، وعادت حية طرية . ثم قال : يا سمكة عودي بإذن الله تعالى كما كنت مشوية ، فعادت . ثم دعاهم إلى الأكل منها ، حتى يكون هو البادئ ، فأبى . ثم دعا لها الفقراء والزمنى . وقال : كلوا من رزق ربكم ، ودعوة نبيكم ، واحمدوا الله تعالى الذي أنزلها لكم ، فيكون مهنؤها لكم وعقوبتها على غيركم ، وافتحوا أكلكم باسم الله تعالى ، واختموه بحمد الله ، ففعلوا ، فأكل منها ألف وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة ، يصدرون عنها كل واحد منها شبعان يتجشأ ، ونظر عيسى والحواريون ، فإذا ما عليها كهيئته ، إذ نزلت من السماء ، لم ينتقص منه شيء ، ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون ، فاستغنى كل فقير أكل منها ، وبرئ كل زمن أكل منها ، وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة سالت منها أشفارهم ، وبقيت حسرتها في قلوبهم ، إلى يوم الممات[3]

---

(١) قديد : أي لحم مجفف.

(٢) هل مرفد سؤال تعنت . وأنهم لا يريدون بسؤال أن يطعمهم الله من رزقه وخيره

(٣) هذا كله يضعف القصة ويدل على الاختلاق . وإلا فكيف يطلبونها ثم يمتنعون عن الأكل ؟ لأن عيسى لم يبدأ به ؟!

وكانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبل إليها بنو إسرائيل يسعون من كل مكان ، يزاحم بعضهم بعضاً ، فلما رأى ذلك ، جعلها نوباً تنزل يوماً ولا تنزل يوماً ، ومكثوا على ذلك أربعين يوماً ، تنزل عليهم غباً ، عند ارتفاع النهار ، فلا تزال موضوعة يؤكل منها ، حتى إذا قالوا (1) ارتفعت عنهم إلى جو السماء ، وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض ، حتى تتوارى عنهم (2)

فأوحى الله تعالى إلى عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، أن اجعل رزقي لليتامى ، والمساكين ، والزمنى دون الأغنياء من الناس ، فلما فعل ذلك ارتاب بها الأغنياء ، وغمصوا ذلك ، حتى شكوا فيها في أنفسهم ، وشككوا فيها الناس ، وأذاعوا في أمرها القبيح ، والمنكر ، وأدرك الشيطان منهم حاجته ، وقذف وساوسه في قلوب المرتابين ، فلما علم عيسى ذلك منهم قال : هلكتم وإله المسيح ، سألتم نبيكم أن يطلب المائدة لكم إلى ربكم ، فلما فعل ، وأنزلها عليكم رحمة ، ورزقاً ، وأراكم فيها الآيات والعبر ، كذبتم بها ، وشككتم فيها ، فأبشروا بالعذاب ، فإنه نازل بكم إلا أن يرحمكم الله تعالى وأوحى الله تعالى إلى عيسى ـ عليه السلام ـ إني آخذ المكذبين بشرطي ، فإني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، فلما أمسى المرتابون بها ، وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين ، فلما كان في آخر الليل مسخهم الله خنازير ، فأصبحوا يتبعون الأقذار في الكناسات

قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره : هذا أثر غريب (3) جداً قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة ، وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم ، وأكمل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

أقول : ومن هذه الروايات الغريبة دخل البلاء على الإسلام والمسلمين ، لأن غالبها لا يصح ، ولذا قال الإمام الجليل أحمد بن حنبل : « لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير ، وعامتها عن الضعفاء »

---

(1) من القيلولة : الراحة وسط النهار
(2) ظاهر القرآن الكريم يدل دلالة واضحة على أن المائدة لم تنزل إلا مرة واحدة ، وهذا يدل على نكارة هذا ، وهذا أيضاً دال على اختلاق تفصيل القصة وأنها من مرويات بني إسرائيل
(3) الغريب : ما انفرد به واحد في أي موضع وقع التفرد ، ومنه الصحيح ، ومنه غير الصحيح وهو الغالب والكثير

وقال الإمام مالك « شر العلم الغريب ، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس » وقال ابن المبارك « العلم : الذي يجيئك من ههنا وههنا » يعني المشهور الذي رواه الكثيرون ، رواها البيهقي في المدخل وروى عن الزهري أنه قال « ليس من العلم مالا يعرف ، إنما العلم ما عرف وتواطأت عليه الألسن[1] » .

وأحب أن أنبه إلى أن أصل القصة ثابت بالقرآن الذي لا شك فيه وإنما موضع الشك في كل هذه التزيدات التي هي من الإسرائيليات

وقد ذكر المفسرون جميعاً كل ما يدور حول قصة المائدة ، وإن اختلفوا في ذلك قلة وكثرة[2] ، والعجب : أن أحداً لم ينبه على أصل هذه المرويات ، والمنبع الذي نبعت منه ، حتى الإمامين الجليلين : ابن كثير والآلوسي ، وإن كان ابن كثير قد أشار من طرف خفي إلى عدم صحة معظم ما روى ، ولعلهم اعتبروا ذلك مما يباح روايته ، ويحتمل الصدق والكذب ، فذكروه من غير إنكار له ، وكان عليهم أن ينزهوا التفسير عن هذا وأمثاله ..

وقد شكك في القصة الطويلة التي اختصرتها الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، فقال : قلت : في هذا الحديث مقال ، ولا يصح من قبل إسناده[3]

ثم عرض بعد لما روى مرفوعاً ، وموقوفاً ، وذكر ما قاله الإمام أبو عيسى الترمذي : من أن الموقوف أصح ، وأن المرفوع لا أصل له[4]

التفسير الصحيح للآيات :

ولأجل أن نكون على بينة من أن تفسير الآيات ، والانتفاع بها ، والاهتداء بهديها

---

(1) تدريب الراوي ص ١٩٢

(2) انظر تفسير ابن جرير عند هذه الآيات ، وتفسير الدر المنثور عندها أيضا ، وتفسير الزمخشري ، والفخر الرازي وأبي السعود عند تفسير الآيات ، وتفسير ابن كثير والبغوي ج ٣ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٩ ، والآلوسي ج ٧ ص ص ٦٢ ـ ٦٥ والقرطبي ج ٦ ص ص ٣٦٩ ـ ٣٧٢ إلا أنه قال : في هذا الحديث مقال ، ولا يصح من قبل إسناده

(3) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٧٢ ط الأولى .

(4) هذه العبارة تطلق عند بعض المحدثين على ما هو موضوع وليس من شك في أن رفع هذا إلى النبي ـ ﷺ ـ إن كان عمدا فهو كذب واختلاق عليه ، وإن كان غلطا وسهوا فهو ملحق بالوضع ، كما نبه إليه أئمة علوم الحديث كابن الصلاح وغيره

ليس متوقفاً على ما رووا من أخبار ، وقصص ... تفسير لك الآيات تفسيراً صحيحاً ، كما هو منهجنا في كل ما عرضنا له ، فأقول وبالله التوفيق

قال الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ إذ : ظرف لما مضى من الزمن ، وهو معمول لفعل محذوف ، والتقدير : اذكر يا محمد ما حدث في هذا الزمن البعيد ليكون دليلا على صدق نبوتك ، فما كنت معهم ، ولا صاحبت أهل الكتاب ، ولم تكن قارئاً ، ولا كاتباً .

الحواريون : جمع حواري وهم : المخلصون الأصفياء من أتباع عيسى – عليه السلام ويطلق أيضاً على الأصحاب المخلصين من أتباع الأنبياء ، وفي الحديث الصحيح : « إن لكل نبي حوارياً وحواريّ : الزبير (يعني ابن العوام) » .

المائدة : الخوان الذي عليه الطعام ، فإن لم يكن عليها طعام فهو خُوان ، ويصح : أن يراد المعروفة أو المراد بها جهة العلو ، فإنها قد تطلق ويراد بها كل ما علا .

وليس المراد بالاستفهام هو أصل الاستطاعة ، وأنهم ما كانوا يعلمون هذا ؛ لأن السائلين كانوا مؤمنين ، عارفين ، عالمين بالله وصفاته ، بل في أعلى درجات هذه الصفات . وإنما المراد بالسؤال : الإتيان بالفعل ، من قبيل إطلاق السبب وإرادة المسبب . والمعنى : هل يجيبنا ربك – يا نبينا عيسى – إلى ذلك أم لا ؟ .

وقال بعض العلماء : ليس ذلك بشك في الاستطاعة ، وإنما هو تلطف في السؤال ، وأدب مع الله تعالى بهذه الصيغة المهذبة كقول الرجل لآخر : هل تستطيع أن تمشي على كذا ، وهو يعلم أنه يستطيع .

وأما قول من قال : إنه من قول من كان مع الحواريين ، فبعيد لخروجه عن ظاهر الآية . ولا سيما أن تفسير الآية مستقيم غاية الاستقامة على ما ذكرنا .

وهذا السؤال إما لفقرهم وحاجتهم ، وإما ليعرف فضل نبيهم عيسى ، وفضلهم وكرامتهم عند ربهم .

وأما ما روي : أن عيسى أمرهم بصيام ثلاثين يوماً ، ثم ليسألوا ربهم ما يشاءون ،

فصاموا وسألوا ، فلست منه على ثلج ﴿ قَالَ : اتَّقُوا اللهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

ليس هذا شكاً في إيمانهم ، وإنما هو أسلوب معهود ، حملا على التقوى ، كما قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين ، من هذه الأمة المحمدية : ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، والمعنى : اتقوا الله ولا تسألوه ، عسى أن يكون فتنة لكم ، وتوكلوا على الله في طلب الرزق ، أو اتقوا الله ودعوا كثرة السؤال ، فإنكم لا تدرون ما يحل بكم عند اقتراح الآيات ، لأن الله سبحانه إنما يفعل الأصلح لعباده ، ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ من أهل الإيمان بالله ، ورسله ، ولا سيما أنه سبحانه آتاكم من الآيات ما فيه غنية عن غيره ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ بدأوا بالغذاء المادي ، ثم ثنوا بالغذاء الروحي ، فقالوا : ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ ، وهو مثل قول الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (٢) .

﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ أي : نزداد علماً ، ويقيناً بصدقك ، وحقيقة رسالتك ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أي : المقرين المعترفين لله بالوحدانية ، ولك بالنبوة ، والرسالة ، أو : من الشاهدين عليها لمن لم يرها ويعاينها .

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ .

العيد : يوم الفرح والسرور ، ﴿ لِّأَوَّلِنَا ﴾ : لأول أمتنا ﴿ وَآخِرِنَا ﴾ : لآخر أمتنا ، أو : لمن ، ولمن بعدنا .

﴿ وَآيَةً مِّنكَ ﴾ أي : دليلا ، وحجة على قدرتك ، على كل شيء ، وعلى إجابتك لدعوتي ، فيصدقوني فيما أبلغه عنك ، ﴿ وَارْزُقْنَا ﴾ أي : من عندك رزقاً هنيئاً لا كلفة فيه ، ولا تعب ، ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أي : خير من أعطى ورزق ، لأنك الغني الحميد .

﴿ قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

---

(١) الأنفال . ١

(٢) البقرة . ٢٦٠

نى من يكفر بى : يكذب به من أمتك يا عيسى ، وعاندها ، فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من عالمى زمانكم ، وهذا على سبيل الوعيد لهم ، والتهديد ، وليس فى الآية ما يدل على أنهم كفروا ، ولا على أن غيرهم قد كفر بها ، ولا على أنهم استعفوا من رؤيتها بعد ذلك . وإنما الذى دعا بعض المفسرين إلى هذه الأقوال ما سمعت من الروايات الإسرائيلية . وها نحن قد فسرنا الآيات تفسيراً علمياً صحيحاً من غير حاجة ما إلى ما روى ، مما يدل دلالة قاطعة على أن مفسر القرآن فى غنية عن الإسرائيليات التى شوهت جمال القرآن وجلاله .

* * *

(١١) الإسرائيليات فى « سؤال موسى ربه الرؤية »

ومن الإسرائيليات : ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولَمَّا جاءَ موسى لِميقاتنا وكلَّمَهُ ربُّهُ ، قال رَبِّ أرِنى أنظُرْ إليكَ قالَ لَن تَرانى ، ولكنِ انظُرْ إلى الجبلِ فإنِ استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تَرانى . فلمَّا تجلَّى ربُّهُ للجبلِ جعلَهُ دكًّا ، وخرَّ موسى صعِقاً فلمَّا أفاقَ قالَ سُبحانكَ تُبتُ إليكَ وأنا أوَّلُ المؤمنينَ ﴾ ، (الأعراف ، الآية ١٤٣) فقد ذكر الثعلبى ، والبغوى ، وغيرهما عن وهب بن منبه ، وابن إسحاق قالا :

لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب ، والصواعق ، والظلمة ، والرعد ، والبرق ، وأحاطت بالجبل الذى عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب ، وأمر الله ملائكة السموات أن يعترضوا على موسى ، فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر[1] ، تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه ، فهبطوا عليه أمثال الأسود ، لهم لجب بالتسبيح والتقديس ، ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ، وسمع ، واقشعرت كل شعرة فى رأسه وجسده ، ثم قال : لقد ندمت على مسألتى ، فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه ؟!

فقال له خير الملائكة[2] ورأسهم : يا موسى اصبر لما سألت ، فقليل من كثير

---

(١) جمع ثور ، وهذا من مبالغات بنى إسرائيل فى الملائكة

(٢) هو جبريل عليه السلام

ما رأيت ، ثم أمر ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه ، فهبطوا أمثال النسور ، لهم قصف ، ورجف ، ولجب شديد ، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلب الجيش العظيم ، ألوانهم كلهب النار ، ففزع موسى ، واشتد فزعه ، وأيس من الحياة ، فقال له خير الملائكة مكانك حتى ترى مالا تصبر عليه

ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا ، فاعترضوا على موسى بن عمران ، فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ، ألوانهم كلهب النار ، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس ، والتسبيح ، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم ، فاصطكت ركبتاه ، وأرعد قلبه ، واشتد بكاؤه ، فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت

ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا ، فاعترضوا على موسى ، فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان ، فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره ، لم ير مثلهم ، ولم يسمع مثل أصواتهم ، فامتلأ جوفه خوفاً ، واشتد حزنه وكثر بكاؤه ، فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض مالا تصبر عليه

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه ، فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة ناراً أشد ضوءاً من الشمس ، ولباسهم كلهب النار ، إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم ، يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح ، رب العزة أبداً لا يموت ، وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه ، فلما رآهم موسى رفع صوته ، يسبح معهم حين سبحوا ، وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك ، لا أدري أنفلت مما أنا فيه أم لا ؟ ، إن خرجت احترقت ، وإن مكثت مت ، فقال له كبير الملائكة ورأسهم : قد أوشكت[1] يا ابن عمران أن يشتد خوفك ، وينخلع قلبك ، فاصبر للذي سألت

(١) لا أدري كيف نقل هذا وما ذكر من قبل من شدة خوفه [illegible]

ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة ، فلما بدا نور العرش ، انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله ورفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعاً ، يقولون : سبحان الملك القدوس ، رب العزة أبداً لا يموت ، بشدة أصواتهم ، فارتج الجبل ، واندكت كل شجرة كانت فيه ، وخر العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه ، ليس معه روحه ، فأرسل الله برحمته الروح ، فتغشاه ، وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى ، وجعله كهيئة القبة ، لئلا يحترق موسى[1] فقام موسى يسبح الله ، ويقول : آمنت بك ربي ، وصدقت أنه لا يراك أحد ، فيحيا ، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه ، فما أعظمك وأعظم ملائكتك ، أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك ، ولا يعدلك شيء ، ولا يقوم لك شيء ، رب تبت إليك ، الحمد لله لا شريك لك ، ما أعظمك وما أجلك رب العالمين ، فذلك قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ ، وبعد أن ذكر الأقوال الكثيرة فيما تبدى من نور الله ، قال : ووقع في بعض التفاسير : طارت لعظمته ستة أجبل ، وقعت ثلاثة بالمدينة : أحد ، وورقان ، ورضوى ، ووقعت ثلاثة بمكة : ثور ، وثبير ، وحراء[2] .

وهذه المرويات وأمثالها مما لا نشك أنها من إسرائيليات بني إسرائيل ، وكذبهم على الله ، وعلى الأنبياء ، وعلى الملائكة ، فلا نثق به ولا ، وليس تفسير الآية في حاجة إلى هذه المرويات ، والآية ظاهرة واضحة وليس فيها ما يدل على امتناع رؤية الله في الآخرة كما دل على ذلك القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة المتواترة ، وغاية ما تدل عليه امتناع الرؤية البصرية في الدنيا ، لأن العين الفانية لا تقدر أن ترى الذات الباقية .

ومن ذلك أيضاً ، ما ذكره الثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري في تفاسيرهم عند قوله تعالى : ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أي مغشياً عليه ، وليس المراد ميتاً كما قال قتادة .

فقد قال البغوي : في بعض الكتب : إن ملائكة السماوات أتوا موسى وهو مغشى عليه ، فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون : يا ابن النساء الحيض ، أطمعت في رؤية

---

(1) وهذا يأباه آخره ، وفيه من منافيات الإخلاق ، أليس الله بقادر على حمايته من غير الروح والحجر ؟

(2) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج ٣ من ص ٥٤٧ – ٥٥٠

رب العزة ؟[1] !! وذكر مثل هذا الزمخشري في تفسيره ، وقد نقلها لأنها تساعده على إثبات مذهبه الفاسد وجماعته ، وهو استحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة .

وهذا وأمثاله مما لا شك أنه من الإسرائيليات المكذوبة ، وموقف بني إسرائيل من موسى ، ومن جميع أنبياء الله معروف ، فهم يحاولون تنقيصهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وقد نبه إلى هذا الإمام : أحمد بن المنير صاحب « الانتصاف من صاحب الكشاف » ، فقال : وهذه حكاية ، إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عوناً وظهيراً على المعتقد الفاسد ، والوجه التورك بالمعتقد على نقلها ، وتنزيه الملائكة ـ عليهم السلام ـ من إهانة موسى الكليم بالوكز بالرجل ، والغمص في الخطاب[2] .

ويرحم الله الإمام الآلوسي حيث قال في تفسيره « ونقل بعض القصاصين ، أن الملائكة كانت تمر عليه حينئذ ، فيلكزونه بأرجلهم ، ويقولون : يا ابن النساء الحيض ، أطمعت في رؤية ربك ؟ ، وهو كلام ساقط لا يعول عليه بوجه ، فإن الملائكة ـ عليهم السلام ـ مما يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالرجل ، والغمص في الخطاب[3] .

* * *

(١٢) الإسرائيليات في ألواح التوراة

ومن الإسرائيليات : ما ذكره الثعلبي والبغوي ، والزمخشري ، والقرطبي والآلوسي وغيرهم ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الأعراف ـ ١٤٥) فقد ذكروا في الألواح : مم هي ؟ وما عددها ؟ أقوالا كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين وعن كعب ، ووهب ، من أهل الكتاب الذين أسلموا مما يشير إلى منبع هذه الروايات ، وأنها من إسرائيليات بني إسرائيل ، وفيها من المرويات ما يخالف المعقول

---

(١) المرجع السابق ص ٤٥٥

(٢) تفسير الكشاف عند تفسير قوله ﴿ وخر موسى صعقا ﴾

(٣) تفسير الآلوسي ج ٩ ص ٤٦ ط منير

والمنقول . وإليك ما ذكره البغوي في هذا ، قال :

قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ ﴾ يعني لموسى ﴿ فِي الْأَلْوَاحِ ﴾ قال ابن عباس : يريد ألواح التوراة . وفي الحديث : «كانت من سدر الجنة ، طول اللوح اثنا عشر ذراعاً» وجاء في الحديث : «خلق الله آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده»[1]

وقال الحسن : كانت الألواح من خشب ، وقال الكلبي : كانت من زبرجدة خضراء

وقال سعيد بن جبير : كانت من ياقوت أحمر . وقال الربيع : كانت الألواح من برد[2]

وقال ابن جريج : كانت من زمرد ، أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن ، وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر ، واستمد من نهر النور !!

وقال وهب : أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء ، لينها الله له ، فقطعها بيده ، ثم شققها بيده . وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر ، وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة . وكانت الألواح عشرة أذرع ، على طول موسى !!

وقال مقاتل ووهب : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ ﴾ كنقش الخاتم

وقال الربيع بن أنس : نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير ، يقرأ الجزء منه في سنة ، لم يقرأها إلا أربعة نفر : موسى ، ويوشع ، وعزير ، وعيسى[3]

فكل هذه الروايات متضاربة التي يرد بعضها بعضاً مما يخيل أن يكون مرجعها المعصوم ـ ﷺ ـ وإنما هي من إسرائيليات بني إسرائيل ، حملها عنهم بعض الصحابة والتابعين

---

(1) لم يخرج البغوي ـ كما هي عادته ـ الحديثين ولم يبين سندهما ، وقد ذكر الآلوسي أن الحديث الأول رواه ابن أبي حاتم ، وحكى القول به بعد تصحيح السند إليه ، وأما الحديث الثاني فهو موقوف على علي ، وعلى ابن عمر ، وعن غيرهما من التابعين (تفسير الآلوسي ج ٩ ص ٥٧)

(2) الظاهر أنه بفتح الباء وسكون الراء : الثوب المخطط ، وإلا فلو كانت من برد بفتح الباء والراء ـ حبات الثلج فكيف يكتب عليها ؟

(3) لا أدري كيف يعقل عقل أنها حمل سبعين بعيراً وربما لم يقرأها إلا أربعة فقط ؟ أرحمه الله ؟

حتى ينقل؟ وليس تفسير الآية متوقفاً على كل هذا الذي رووه، والذي يجب أن نؤمن به: أن الله أنزل الألواح على موسى، وفيها التوراة(١)، أما هذه الألواح مم صنعت؟ وما طولها وما عرضها؟ وكيف كتبت؟ فهذا لا يجب علينا الإيمان به، والأولى عدم البحث فيه، لأن البحث فيه لا يؤدي إلى فائدة، ولا يوصل إلى غاية.

ومن ذلك: ما يذكره بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. فقد حملوا التوراة مشتملة على كل ما كان وكل ما يكون، وهذا مما لا يعقل، ولا يصدق، فمن ذلك: ما ذكره الإمام الآلوسي في تفسيره قال: "ومما أخرجه الطبراني، والبيهقي في "الدلائل" عن محمد بن يزيد الثقفي، قال: اصطحب قيس بن خرشة، وكعب الأحبار حتى إذا بلغا صفين، وقف كعب، ثم نظر ساعة، ثم قال: ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله.

فقال قيس: ما يدريك؟ فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله تعالى به؟!

فقال كعب: ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى، ما يكون منه، وما يخرج منه إلى يوم القيامة".

وهو من المبالغات التي روي أمثالها عن كعب ولا نصدق ذلك، ولعله من تلك الكذب التي لاحظها عليه الصحابي الجليل، معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - على ما أسلفنا سابقاً، ولا يعقل قط أن يكون في التوراة كل الحوادث إلى يوم القيامة.

والمحققون من المفسرين سلفاً وخلفاً على أن المراد: أن فيها تفصيلاً لكل شيء، مما يحتاجون إليه في الحلال والحرام، والمحاسن والقبائح مما يلائم شريعة موسى وعصره، وإلا فقد جاء القرآن الكريم بأحكام وآداب، وأخلاق، لا توجد في التوراة قط.

وقد ساق الإمام الآلوسي هذا الخبر، للاستدلال به لمن يقول: إن كل شيء، عام

(١) وقيل: إن الألواح أعطيها موسى قبل التوراة، والصحيح الأول.

وكأنه استشعر بُعده ، فقال عقبه : « ولعل ذكر ذلك من باب الرمز ، كما تدعيه في القرآن[1] » .

وإنى لأقول للآلوسى ومن لف لفه : إن هذا مردود وغير مقبول ، ونحن لا نسلم بأن في القرآن رموزا ، وإشارات لأحداث ، وإن قاله البعض ، والحق أحق أن يتبع .

* * *

(١٣) إسرائيلية مكذوبة في سبب غضب موسى لما ألقى الألواح :

ومن الإسرائيليات : ما رواه ابن جرير في تفسيره ، والبغوى في تفسيره ، وغيرهما ، في سبب غضب سيدنا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى ألقى الألواح من يديه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً . قَالَ : بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي . أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ؟ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ[2] . وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ : ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ، فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ ، وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف : الآية ١٥٠) .

فقد روى عن قتادة أنه قال : نظر موسى في التوراة ، فقال : رب إنى أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، اجعلهم أمتى قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إنى أجد في الألواح أمة هم الآخرون ـ أى : آخرون في الخلق ـ سابقون في دخول الجنة ، رب اجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إنى أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم ، يقرءونها ، وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرا ، حتى إذا رفعوها ، لم يحفظوا شيئاً ، ولم يعرفوه ، وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحدا من الأمم ، قال : رب اجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إنى أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول ، وبالكتاب الآخر ، ويقاتلون فضول الضلالة ، حتى ليقاتلون الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إنى أجد في الألواح أمة صدقتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٧ ص ٥٦ ، ٥٧ ط . منير

(٢) طرحها وألقى بها

عليه ، وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة ، فقبلت منه بعث الله نارا فأكلتها ، وإن ردت عليه تركت ، فتأكلها السباع والطير ، وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم .
قال : رب فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في الألواح أمة ، إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ، رب اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون ، والمشفوع لهم ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد

قال قتادة : فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح ، وقال : اللهم اجعلني من أمة محمد .

أقول : إن آثار الوضع والاختلاق بادية عليه ، والسند مطعون فيه ، وهي أمور مأخوذة من القرآن ، والأحاديث ، ثم صيغت هذه الصياغة الملفقة ، وجعلت على لسان موسى ـ عليه السلام ـ والظاهر المتعين أن إلقاء سيدنا موسى بالألواح إنما كان غضباً وحمية لدين الله وغيرة لانتهاك حرمة توحيد الله ـ تبارك وتعالى ـ وأما ما ذكره قتادة فغير مسلَّم

والحق ما قاله الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره [1] قال : « ثم ظاهر السياق أنه ـ أي سيدنا موسى ـ ألقى الألواح غضباً على قومه ، وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولا غريباً ، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية ، وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ، ووضاعون ، وأفاكون ، وزنادقة » .

وصدق ابن كثير فيما قال ، والأرجح أن يكون من وضع زنادقتهم كي يظهروا الأنبياء بمظهر المتحاسدين ، لا بمظهر الإخوان المتحابين .

وقال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾ أي ، مما اعتراه من الغضب والأسف ، حين أشرف على قومه ، وهم عاكفون على عبادة العجل ، وعلى أخيه في إهمال أمرهم ، قاله سعيد بن جبير ولهذا قيل : ليس الخبر كالمعاينة ، ولا التفات لما روي عن قتادة إن صح ، ولا يصح أن إلقاء الألواح إنما كان لما رأى من فضيلة أمة محمد

(1) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٣ ص ٧٥٥

ـ ﷺ ـ ولم يكن ذلك لأمته ، وهذا قول ردىء لا ينبغى أن يضاف إلى موسى ـ عليه السلام (1)

وما يؤيد أنه من وضع بعض الإسرائيليين الدهاء ، أن نحوا من هذا المروى عن قتاده قد رواه الثعلبى وتلميذه البغوى عن كعب الأحبار ولا خلاف إلا فى تقديم بعض الفضائل وتأخير البعض الآخر ، إلا أنه لم يذكر بقاء الألواح فى آخره

« فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمدا وأمته قال : يا ليتنى من أصحاب محمد ، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن : ﴿ يا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ إلى قوله : ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (2) قال : فرضى موسى كل الرضاء

* * *

(14) إسرائيليات وخرافات فى بنى إسرائيل

ومن الإسرائيليات والخرافات : ما ذكره بعض المفسرين ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (3)

فقد ذكر ابن جرير فى تفسيره (4) هذه الآية خبرا عجيبا ، فقال : حدثنا القاسم ، (قال) : حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

قال : بلغنى أن بنى إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم ، وكفروا ، وكانوا اثنى عشر سبطا ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا وسألوا الله ـ عز وجل ـ أن يفرق بينهم ، وبينهم ، ففتح الله لهم نفقاً فى الأرض ، فساروا ، حتى خرجوا من وراء الصين ، فهم هنالك حنفاء مسلمون ، يستقبلون قبلتنا .

---

(1) تفسير القرطبى ج 7 ص 288

(2) الأعراف الآيات 144 ، 145 ، 159

(3) الأعراف 159

(4) تفسير ابن جرير ـ ج 8

قال ابن جريج ، قال ابن عباس : هذلك قوله : ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾

ووعد الآخرة : عيسى ابن مريم .

قال ابن جريج . قال ابن عباس : ساروا في السرب سنة ونصف ، وقال ابن عيينة ، عن صدقة ، عن أبي الهذيل ، عن السدي ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ قال . قوم بينكم وبينهم نهر من شهد وقد وصف ابن كثير ما رواه ابن جرير بأنه خبر عجيب !!

وقال البغوي في تفسيره : (1) قال الكلبي ، والضحاك والربيع . هم قوم خلف الصين ، بأقصى الشرق ، على نهر مجرى الرمل ، يسمى . نهر أرداف ، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه ، يمطرون بالليل ، ويصحون بالنهار ، ويزرعون لا يصل إليهم منا أحد ، وهم على دين الحق ، وذكر : أن جبريل ـ عليه السلام ـ ذهب بالنبي ـ ﷺ ـ ليلة أسري به إليهم ، فكلمهم ، فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون ؟ قالوا لا ، فقال لهم هذا محمد : النبي الأمي ، فآمنوا به ، فقالوا . يا رسول الله ، إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد ، فليقرأ عليه مني السلام ، فرد النبي ـ ﷺ ـ على موسى وعليهم ، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ، وأمرهم بالصلاة والزكاة ، وأمرهم أن يقيموا مكانهم ، وكانوا يسبتون (2) ، فأمرهم أن يُجَمِّعُوا ، ويتركوا السبت ، وقيل : هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي ـ ﷺ ـ والأول أصح !! .

وهي من خرافات بني إسرائيل ولا محالة ، والعجب من البغوي أن يجعل هذه الأكاذيب أصح من القول الآخر الذي هو أجدر بالقبول وأولى بالصحة ، ونحن لا نشك في أن ابن جريج وغيره ممن رووا ذلك إنما أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، ولا يمكن أبدا أن يكون متلقى عن المعصوم ـ ﷺ ـ .

وقال الإمام الآلوسي بعد ذكر ما ذكرناه ، وضعف هذه الحكاية ابن الخازن ، وأنا

---

(1) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٣ ص ٥٧٢ ـ ٥٧٣

(2) أي يعظمون السبت كاليهود

لا أن لها شيئاً ، وأظنك لا تجد لها سنداً يعول عليه ولو ابتغيت نفقاً في الأرض ، أو سلماً في السماء »(1)

التفسير الصحيح للآية :

والذي يترجح عندي أن المراد منها : أناس من قوم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ اهتدوا إلى الحق ، ودعوا الناس إليه ، وبالحق يعدلون فيما يعرض لهم من الأحكام والقضايا ، وأن هؤلاء الناس وجدوا في عهد موسى ، وبعده ، بل وفي عهد نبينا ـ ﷺ ـ كعبد الله بن سلام وأضرابه ، وقد بين الله ـ تبارك وتعالى ـ بهذا أن اليهود وإن كانت الكثرة فيهم تجحد الحق وتنكره ، وتجور في الأحكام ، وتعتدي على الأنبياء ، وتقتل بعضهم ، وتكذب البعض الآخر ، وفيهم من شكاسة الأخلاق والطباع ، ما فيهم ، فهنالك أمة كثيرة منهم ، يهدون بالحق ، وبه يعدلون ، فهم لا يتنكبون عن الحق ، ففيه شهادة وتزكية لهؤلاء ، وتعريض بالكثرة الغالبة منهم ، التي ليست كذلك ، والتي جحدت نبوة نبينا محمد ـ ﷺ ـ فيمن جحدها من طوائف البشر ، وناصبته العداوة والعصيان ، وهو ما يشعر به قوله سبحانه قبل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ، وبذلك تظهر المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها مباشرة ، والآيات التي قبل ذلك

أما ما ذكروه فليس هناك ما يشهد له من عقل ، ولا نقل صحيح ، بل هو يخالف الواقع الملموس ، والمشاهد المتيقن ، وقد مُسحت الصين وما وراءها مسحاً كل شبر فيها ، فأين هم ؟ ، ثم ما هذا النهر من الشهد ؟! وما هذا النهر من اللبن ؟ وأين هما ؟! ثم أي فائدة تعود على الإسلام والمسلمين من تمسك بهذه الروايات التي لا خطام لها ، ولا زمام ؟! ، وماذا يكون موقف الدعاة إلى الإسلام في هذا العصر الذي نعيش فيه ، إذا انتصر لمثل هذه الروايات الخرافية الباطلة ؟! ، إن هذه الروايات لو صحت أسانيدها لكان لها بسبب مخالفتها للمعقول ، والمشاهد الملموس ما يجعلها في حل من عدم

---

(1) تفسير الآلوسي ج 9 ص 84 ، 85

قبوله فكيف وأسانيدها ضعيفة واهية؟! وقد قلت غير مرة: إن كونها صحيحة السند قد لا ينافى كونها من الإسرائيليات.

* * *

(١٥) الإسرائيليات فى نسبة الشرك إلى آدم وحواء

ومن الروايات التى لا تصح، ومرجعها إلى الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا[1] فَلَمَّا تَغَشَّاهَا[2] حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ، فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]

وهذه الآية تعتبر من أشكل آيات القرآن الكريم، لأن ظاهرها يدل على نسبة الشرك لآدم وحواء، وذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين: من أن المراد بالنفس الواحدة: نفس آدم عليه السلام ـ وقوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ حواء رضى الله عنها ـ وقد أول العلماء المحققون الآية تأويلا يتفق وعصمة الأنبياء فى عدم جواز إسناد الشرك إليهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كما سيجىء ذلك إن شاء الله.

الحديث المرفوع، والآثار الواردة فى هذا

وقد زاد الطين بلة: ما ورد من الحديث المرفوع، وبعض الآثار عن بعض الصحابة والتابعين، فى تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

وقد اغتر بهذه الروايات كثير من المفسرين، كابن جرير[4]، والثعلبى، والبغوى[5]

(١) ليجد فيها سكن النفس وطمأنينة القلب.

(٢) أى: باشرها كما باشر الرجل زوجه.

(٣) الأعراف: ١٨٩، ١٩٠.

(٤) تفسير ابن جرير عند تفسير هذه الآية.

(٥) تفسير البغوى على هامش تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦١١، ٦١٢.

والقرطبي[1] ، وإن كان ضعف الروايات ، ولم تركن نفسه إليها ، وعدها من الإسرائيليات ، وصاحب « الدر المنثور »[2]

والعجيب : أن إماماً كبيراً له في رد الموضوعات والإسرائيليات فضل غير منكور ، ومفسراً متأخراً وهو « الإمام الآلوسي » قد تخدع بهذه المرويات ، فقال : « وهذه الآية عندي من المشكلات ، وللعلماء فيها كلام طويل ، ونزاع عريض ، وما ذكرناه هو الذي يشير إليه الحسن ، وهو مما لا بأس به بعد إعراض النبي عن مخالفته للمرويات ثم قال : « وقد يقال : أخرج ابن جرير عن الحبر أن الآية نزلت في تسمية آدم وحواء ولديهما بعبد الحارث . ومثل ذلك لا يكاد يقال من قبل الرأي ، وهو ظاهر في كون الخبر تفسيراً للآية ... وأنت قد علمت أنه إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وأراه قد صح ، ولذلك أحجم كميت قلمي عن الجري ، في ميدان التأويل ، كما جرى غيره والله تعالى الموفق للصواب[3] » .

وبعض المفسرين أعرض عن ذكر هذه المرويات ، وذلك كما صنع صاحب الكشاف ، وتابعه النسفي .

وبعض المفسرين عرض لها ، ثم بين عدم ارتضائه لها ، وذلك كما صنع الإمام القرطبي في تفسيره ، فقال : « ونحو هذا مذكور في ضعيف الحديث ، وفي الترمذي وغيره ، وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات ، فلا يعول عليها من له قلب ، فإن آدم وحواء ، وإن غرهما بالله الغرور ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، على أنه قد سطر وكتب ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ

« خدعهما مرتين ، خدعهما في الجنة ، وخدعهما في الأرض »[4]

---

(1) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩
(2) الدر المنثور عند تفسير هذه الآية
(3) تفسير الآلوسي : ج ٩ ص ١٣٩ ، ١٤٢
(4) تفسير القرطبي : ج ٧ ص ٣٣٨

فارس الحلبة الإمام ابن كثير .

ولكن فارس هذه الحلبة هو : الإمام ابن كثير ، فقد نقد المرويات نقداً علمياً أصيلاً ، على منهج المحدثين وطريقتهم في نقد الرواة وبين أصل هذه المرويات ، وأن مرجعها إلى الإسرائيليات ، وإني لأعجب كيف أن الإمام الآلوسي ، وهو المتأخر النافه[1] ، لم يشر إلى كلامه !! لعله لم يطلع عليه

وسأذكر كلام الإمام ابن كثير بنصه ، وبطوله لنفاسته ، وشدة الحاجة إليه في هذا المقام ، قال رحمه الله وأثابه :

يذكر المفسرون ههنا آثاراً ، وأحاديث ، سأوردها وأبين ما فيها ، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك ـ إن شاء الله ـ وبه الثقة .

قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عبد الصمد (قال)[2] حدثنا عمر بن إبراهيم ، (قال) : حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال :

« **لما ولدت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سميه عبد الحارث ، فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث ، فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره** » ، وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به[3] ، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية ، عن محمد بن المثنى ، عن عبد الصمد ، به ، وقال : هذا حديث حسن غريب ـ يعني انفرد به راويه ـ لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ، ولم يرفعه ، يعني : لم ينسبه إلى النبي ـ ﷺ ـ .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الصمد مرفوعاً ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد[4] ، ولم يخرجاه ، ورواه الإمام أبو محمد ، ابن أبي حاتم ، في تفسيره ،

---

(1) الذكي العارف الذي لا يفوته شيء كما في القاموس

(2) جرت عادة المحدثين أن يحذفوا من الأسانيد لفظ (قال) خطاً ، ولكنهم ينطقون بها عند الرواية وقد ذكرناها خطاً حتى لا يشكل الأمر على قارئ السند

(3) يعني بقية السند المذكور أولاً

(4) من المعروف عند المحدثين أن الحاكم متساهل في التصحيح ، فلا يوجد بقوله ولا سيما في مثل هذا

عن أبي زرعة الرازي ، عن هلال بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم به ـ أي : بقية السند ـ مرفوعاً وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه ، في تفسيره ، من حديث شاذ بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم مرفوعاً .

قلت : ـ أي ابن كثير ـ وشاذ هو : هلال ، وشاذ لقبه

والغرض : أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه :

« أحدها » : أن عمر بن إبراهيم هذا هو بصري ، وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعاً ، فالله أعلم .

« الثاني » : أنه قد روي من قول سمرة نفسه ، ليس مرفوعاً ، كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى ، (قال) ، حدثنا المعتمر عن أبيه ، (قال) ، حدثنا بكر بن عبد الله ، عن سليمان التيمي ، عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب ، قال : « سمى آدم ابنه عبد الحارث » .

« والثالث » : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه ، قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع (قال) ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ، قال : كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم . وحدثنا [1] محمد بن عبد الأعلى ، (قال) : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : قال الحسن : عنى بها ذرية آدم ، ومن أشرك منهم بعده ، يعني : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ وحدثنا [2] بشر (قال) ، حدثنا يزيد ، (قال) : حدثنا سعيد عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولاداً ، فهوّدوا ونصّروا [3] .

وقال ابن كثير : وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أنه فسر الآية

---

(١) ، (٢) القائل : وحدثنا هو ابن جرير .

(٣) فيه إشارة إلى قوله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه البخاري ومسلم ، وقد روي عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ ليس اختلاف تضاد وإنما هو اختلاف تنوع في اللفظ والمدلول واحد أو متقارب

بالحديث . وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ـ ﷺ ـ لما عدل عنه هو ، ولا غيره ، ولا سيما مع تقواه لله ، وورعه .

فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ، من آمن منهم مثل كعب ، أو وهب بن منبه وغيرهما ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع . والله أعلم[1]

فأما الآثار ، فقال محمد بن إسحاق بن يسار ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « كانت حواء تلد لآدم ـ عليه السلام ـ أولاداً فيعبّدهم لله ، ويسميهم عبد الله ، وعبيد الله ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت ، فأتاهما إبليس ، فقال : إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش . قال : فولدت له رجلاً ، فسماه عبد الحارث . ففيه أنزل الله يقول : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إلى آخر الآية . وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ شكت أحملت أم لا ؟ ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ الآية ، فأتاهما الشيطان ، فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون ، أبهيمة ، أم لا ؟ ، وزين لهما الباطل ، إنه غوي مبين . وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين ، فماتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سوياً ، ومات كما مات الأول . فسميا ولدهما عبد الحارث . فذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ الآية .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن شريك ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ آدم (حملت) ، أتاهما إبليس ـ لعنه الله ـ فقال : إني صاحبكما الذي أخرجكما ، لتطيعنني ، أو لأجعلن له قرني أيل[2] ، فيخرج من بطنك ،

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٣ ص ٦١١ ، ٦١٢

(٢) الأيل : بضم الهمزة وكسرها ، والياء فيها مشددة مفتوحة : ذكر الأوعال ، وهو التيس الجبلي . المعجم الوجيز

فيشقه ، ولأفعلن ، ولأفعلن ، يخوفهما ، فسمياه(1) عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً ، ثم حملت ، يعني الثانية فأتاهما ، فقال لهما مثل الأول ، فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً ، ثم حملت الثالثة ، فأتاهما أيضاً فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث . فذلك قوله تعالى : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ رواه ابن أبي حاتم

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومن الطبقة الثانية : قتادة ، والسدي ، وغير واحد من السلف ، وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين من المتأخرين ، جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه ـ والله أعلم ـ مأخوذ من أهل الكتاب ، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب(2) ، كما رواه ابن أبي حاتم ، قال : حدثنا أبي ، (قال) حدثنا أبو الجماهر ، (قال) حدثنا سعيد ـ يعني ابن بشير عن عقبة ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب(3) . قال :

لما حملت حواء أتاها الشيطان ، فقال لها : أتطيعيني ويسلم لك ولدك ؟ سميه عبد الحارث ، فلم تفعل فولدت ، فمات ، ثم حملت ، فقال لها مثل ذلك ، فلم تفعل ، ثم حملت الثالثة ، فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم ، وإلا فإنه يكون بهيمة ، فهيبهما ، فأطاعا

قال : وهذه الآثار يظهر عليها ـ والله أعلم ـ أنها من آثار أهل الكتاب ... ، وقد بينا أن أخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام :

(1) فمنها ما علمنا صحته مما بأيدينا من كتاب أو سنة

(2) ومنها : ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً

(3) ومنها : ما هو مسكوت عنه ، فهو المأذون في روايته بقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » ، وهو الذي لا يصدق ، ولا يكذب ،

---

(1) صيغة الأمر

(2) وعلى هذا فلا يكون له حكم الرفع لأنه سمعه من صحابي مثله

(3) ويمكن أن يكون قد سمعه من بعض مسلمة أهل الكتاب

قال . وهذا الأثر من الثانى أو الثالث فيه نظر[1] .

قال : فأما من حدث به : من صحابى أو تابعى ، فإنه يراه من القسم الثالث ـ يعنى ما يحتمل الصدق ، والكذب ـ وأما نحن : فعلى مذهب الحسن البصرى فى هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم ، وحواء ، وإنما المراد من ذلك : المشركون من ذريته ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ[2] ﴾ فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين ، وهو كالاستطراد من الشخص إلى الجنس . وهذا الذى ذهب إليه هذا الإمام الحافظ الناقد ابن كثير فى تخريج الحديث والآثار هو الذى يجب أن يصار إليه ، وهو الذى ندين الله عليه ، ولا سيما أن التفسير الحق للآيتين لا يتوقف على شىء مما روى .

التفسير الصحيح للآيتين :

والمحققون من المفسرين : منهم من نحا منحى العلامة ابن كثير فجعل الآية الأولى فى آدم وحواء ، وجعل قوله : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا . . ﴾ الآية فى المشركين من ذريتهما ، أى : جعلا أولادهما شركاء لله فيما آتاهما ، والمراد بهم . الجنس ، أى : جنس الذكر والأنثى ، فمن ثم : حسن قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بالجمع ، ويكون هذا الكلام من الموصول لفظا المفصول معنى ، ومنهم من جعل الآيتين فى ذرية آدم وحواء ، أى : خلقكم من نفس واحدة ، وهى نفس الذكر ، وجعل منها ، أى : من جنسها : زوجها وهى : الأنثى ، فلما آتاهما صالحاً ، أى : بشراً سويًا كاملا ، جعلا أى الزوجان الكافران لله شركاء فيما آتاهما ، وبدلك . أبدلا شكر الله كفراناً به وجحوداً ، وعلى هذا لا يكون لآدم وحواء ذكر ما فى الآيتين ، وهنالك تفاسير أخرى ، لست منها على ثلج ، ولا طمأنينة[3]

* * *

[1] هكذا فى النسخة المطبوعة . ولعله : وفيه نظر ، أى : فى كونه من القسم الثالث والذى أقطع به ـ والله أعلم ـ أنه من القسم الثانى لقيام الأدلة العقلية والنقلية على عصمة الأنبياء من مثل ذلك .

[2] تفسير ابن كثير والبغوى ج ٣ ص ٦١٣ ، ٦١٤ ط المنار .

[3] انظر تفاسير الكشاف ، والقرطبى ، وأبى السعود والآلوسى وغيرها .

(١٦) الإسرائيليات في سفينة نوح

ومن الإسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير، كتفسير ابن جرير، و «الدر المنثور»، وغيرهما: ما روي في سفينة نوح - عليه السلام - فقد أحاطوها بهالة من العجائب والغرائب، من أي خشب صنعت؟ وما طولها؟ وما عرضها؟، وما ارتفاعها؟، وكيف كانت طبقاتها؟، وذكروا خرافات في خلقة بعض الحيوانات من الأخرى، وقد بلغ ببعض الرواة أنهم نسبوا بعض هذا إلى النبي - ﷺ - قال صاحب الدر: وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال: «كانت سفينة نوح - عليه السلام - لها أجنحة، وتحت الأجنحة إيوان». أقول: قبح الله من نسب مثل هذا إلى النبي - ﷺ -.

وأخرج ابن مردويه: عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم» وذكر أن طول السفينة كان ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وبابها في عرضها، ثم ذكر عن ابن عباس مثل ذلك: في طولها، وارتفاعها[1]، ثم قال: وأخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر، عن ابن عباس: «أن نوحاً لما أمر أن يصنع الفلك، قال: يارب، وأين الخشب؟، قال: اغرس الشجر، فغرس الساج عشرين سنة، إلى أن قال: فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها، وستين ذراعاً في الأرض - يعني عمقها -، وعرضها ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون[2] وأمر أن يطليها بالقار[3]، ولم يكن في الأرض قار، ففجر الله له عين القار، حيث تنحت السفينة، تغلي غلياناً، حتى طلاها، فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب، وأطبقها، وحمل فيها السباع، والدواب، فألقى الله على الأسد الحمى، وشغله بنفسه عن الدواب، وجعل الوحش والطير في الباب الثاني، ثم أطبق عليهما.

---

(١) هذا أمارة على أن ذلك من رواية ابن عباس عن أهل الكتاب، وأن من رفعه إلى النبي - ﷺ - فقد غلط.

(٢) لا تعتري بأي رواية تصدق، الرواية ابن عباس هذه، ثم بالسابقة، وهذا الاضطراب أمارة الاختلاق ممن وضعوها أولاً، وحملها عنهم ابن عباس وغيره.

(٣) في القاموس: القير، والقار: شيء أسود يطلى به الإبل، أو هو الزفت.

وأخرج ابن جرير ، وأبو الشيخ عن الحسن ، قال : «كان طول سفينة نوح – عليه السلام – ألف ذراع ومائتي ذراع . وعرضها ستمائة ذراع» وإليك ما ذكره بعد هذا من العجب العجاب ، قال :

وأخرج ابن جرير ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم – عليهما السلام – لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة ، فحدثنا عنها ، فانطلق بهم ، حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب ، قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا كعب حام بن نوح ، فضرب الكثيب بعصاه ، قال : قم بإذن الله – فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه ، قد شاب ، قال له عيسى – عليه السلام – : هكذا هلكت ؟! ، قال : لا ، مت وأنا شاب . ولكنني ظننت أنها الساعة قامت ، فمن ثم شبت ، قال : حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ، ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، كانت ثلاث طبقات . فطبقة فيها الدواب ، والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدواب ، أوحى الله إلى نوح : أن اغمز ذنب الفيل ، فغمزه ، فوقع منه خنزير وخنزيرة !! ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر يخرب السفينة بقرضه أوحى الله إلى نوح : أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور ، وسنورة . فأقبلا على الفأر فأكلاه

وفي رواية أخرى : أن الأسد عطس ، فخرج من منخره سنوران : ذكر وأنثى ، فأكلا الفأر ، وأن الفيل عطس ، فخرج من منخره خنزيران ، ذكر وأنثى فأكلا أذى السفينة ، وأنه لما أراد الحمار أن يدخل السفينة أخذ نوح بأذني الحمار ، وأخذ إبليس بذنبه ، فجعل نوح – عليه السلام – يجذبه ، وجعل إبليس يجذبه ، فقال نوح : ادخل شيطان – ويريد به الحمار – فدخل الحمار ، ودخل معه إبليس ، فلما سارت السفينة جلس إبليس في أذناب يتغنى ، فقال له نوح – عليه السلام – : ويلك من أذن لك ؟! ، قال : أنت !! قال : متى ؟! ، قال : أن قلت للحمار ادخل يا شيطان ، فدخلت بإذنك

وزعموا أيضاً : أن الماعز لما استصعبت على نوح أن تدخل السفينة دفعها في ذنبها ، فمن ثم انكسر ، وبدا حياها ، ومضت النعجة فدخلت من غير معاكسة ، فمسح على ذنبها ، فستر الله حياها – يعني فرجها – وزعموا أيضا : أن سفينة نوح – عليه السلام –

طافت بالبيت أسبوعاً بل رووا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي - ﷺ - . « إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً ، وصلت عند المقام ركعتين » !!

وهذا من تفاهات عبد الرحمن هذا ، وقد ثبت عنه من طريق أخرى ، نقلها صاحب التهذيب (ج ٦ ص ١٧٩) عن الساجي ، عن الربيع ، عن الشافعي ، قال : « قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : حدثك أبوك عن جدك : أن رسول الله - ﷺ - قال « إن سفينة نوح طافت بالبيت ، وصلت خلف المقام ركعتين ؟ » !! ، قال : نعم ، وقد عرف عبد الرحمن بمثل هذه المخازي المخالفة للعقل ، وتندر به العلماء ، قال الشافعي فيما نقل في التهذيب أيضاً : « ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً ، فقال : اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه ، عن نوح » !!!

وأن لما رست السفينة على الجودي وكان يوم عاشوراء صام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله ، إلى غير ذلك من المخرفات والأباطيل [1] التي لا نزال نسمعها ، وأمثالها من العوام والمحاذير ، وهذا لا يمكن أن يمت إلى الإسلام بصلة ، وإنا لنبرئ المعصوم - ﷺ - من أن يصدر عنه ما نسبوه إليه ، وإنما هي أحاديث خرافية اختلقها اليهود وأضرابهم على توالي العصور ، وكانت شائعة مشهورة في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام شرح أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين ، وهؤلاء رووها عنهم به ، ولم يزيفوها اعتماداً على أنها ظاهرة البطلان ، وأوغل زنادقة اليهود وأمثالهم في الكيد للإسلام ونبيه ، فزوروا نصبها على النبي - ﷺ - وما كنا نحب لابن جرير ، ولا للسيوطي ، ولا لغيرهما أن يسودوا صحائف كتبهم بهذه الخرافات والأباطيل ، فاحذر منها أيها القارئ في أي كتاب من كتب التفسير وجدتها ، وولّها دبر أذنيك ، وكن على الحق مناصحاً وللباطل مزيفاً .

* * *

(١) تفسير ابن جرير الطبري ج ١٢ من ص ٢١ - ٢٩ ، الدر المنثور ج ٣ من ص ٣٢٧ - ٣٣٥

(١٧) الإسرائيليات فى قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

وقد وردت فى قصة يوسف ـ عليه السلام ـ إسرائيليات ومرويات مختلقة مكذوبة ، فمن ذلك : ما أخرجه ابن جرير فى تفسيره ، والسيوطى فى : « الدر المنثور » وغيرهما فى قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف : الآية ٤) .

قال السيوطى : وأخرج سعيد بن منصور ، والبزار ، وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والعقيلى فى الضعفاء ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه[١] ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقى معاً فى الدلائل عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال :

« جاء بستانى اليهودى إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال : يا محمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ـ عليه السلام ـ ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ فسكت النبى ـ ﷺ ـ فلم يجبه بشىء ، فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ فأخبره بأسمائها ؛ فبعث رسول الله ـ ﷺ ـ إلى البستانى اليهودى ، فقال : « هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم . قال : حرثان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكتفان ، وقابس ، ودثان ، وهودان ، والفيلق ، والمصبح ، والصروح ، والفريخ ، والضياء ، والنور[٢] ، رآها فى أفق السماء ساجدة له ، فلما قص يوسف على يعقوب ، قال : هذا أمر مشتت يجمعه الله من بعد ، فقال اليهودى : إى والله إنها لأسماؤها[٣] .

والذى يظهر لى : أنه من الإسرائيليات ، وألصقت بالنبى زورا ثم إن سيدنا يوسف رأى كواكب بصورها لا بأسمائها ، ثم ما دخل الاسم فيما ترمز إليه الرؤيا ؟ ! !

ومدار هذه الرواية على الحكم بن ظهير ، وقد ضعفه الأئمة ، وتركه الأكثرون ، وقال

---

(١) تصحيح الحاكم غير معتد به إلا إذا وافقه غيره .

(٢) فى تفسير ابن جرير : جربان بدل حرثان ، ووثاب بدل دثان ، وعمودان بدل هودان ، والفليق بدل الفيلق ، وذو الفرع بدل الفريخ ، وأيضا عددها ثلاثة عشر لا أحد عشر

(٣) تفسير ابن جرير ، ج ١٢ ص ٩٠ ، ٩١ الدر المنثور ج ٤ ص ٤ .

الجورجانى : « ساقط ، وهو صاحب حديث حبس يوسف[1] » .

وقال الإمام الذهبي في : « ميزان الاعتدال[2] » . قال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مرة : ليس بشيء ، وقال البخاري : منكر الحديث وقال مرة : تركوه ، وهو راوي حديث : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » ؟ ! فهل مثل هذا تعتبر روايته في مثل هذا ، وحسبه سقوطاً مقالة البخاري فيه : « منكر الحديث » و « تركوه » .

* * *

(١٨) الإسرائيليات في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾

ومن الإسرائيليات المكذوبة التي لا توافق عقلاً ولا نقلاً : ما ذكره ابن جرير في تفسيره ، وصاحب : « الدر المنثور » وغيرهما من المفسرين في قوله تعالى : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ فقد ذكروا في همِّ يوسف عليه ـ الصلاة والسلام ـ ما ينافي عصمة الأنبياء وما يخجل القلم من تسطيره ، لولا أن المقام مقام بيان وتحذير من الكذب على الله وعلى رسله ، وهو من أوجب الواجبات على أهل العلم .

فقد رووا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سئل عن هم يوسف ـ عليه السلام ـ ما بلغ ؟ قال : حل الهميان ـ يعني السراويل ـ وجلس منها مجلس الخائن ، فصيح به يا يوسف ، لا تكن كالطير له ريش ، فإذا زنى قعد ليس له ريش . ورووا مثل هذا عن علي ـ رضي الله عنه ـ وعن مجاهد وعن سعيد بن جبير .

ورووا أيضاً في البرهان الذي رآه ، ولولاه لوقع في الفاحشة أنه نودى : أنت مكتوب في الأنبياء ، وتعمل عمل السفهاء وقيل : رأى صورة أبيه يعقوب في الحائط ، وقيل : في سقف الحجرة وأنه رآه عاضاً على إبهامه ، وأنه لم يتعظ بالنداء ، حتى رأى أباه على هذه الحال ، بل أسرف واضعو هذه الإسرائيليات الباطلة ، فزعموا : أنه لما لم يرعَوِ من رؤية

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوي ، ج ٤ ص ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٦٨ ط السعادة .

صورة أبيه عاضا على أصابعه ، ضربه أبوه يعقوب ، فخرجت شهوته من أنامله ، ولأجل أن يؤيد هؤلاء الذين افتروا على الله ونبيه يوسف هذا الافتراء ، يزعمون أيضاً أن كل أبناء يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولدا ما عدا يوسف ، فإنه نقص بتلك الشهوة التي خرجت من أنامله ولدا ، فلم يولد له غير أحد عشر ولدا ، بل زعموا أيضاً في تفسير البرهان ، فيما روى عن ابن عباس أنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وقيل : رأى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [1] ، ومن البديهي أن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي لم تنزل على أحد قبل نبي محمد ـ ﷺ ـ وإن كان الذين افتروا هذا لا يعدمون جواباً ، بأن يقولوا : رأى ما يدل على معاني هذه الآيات بلغتهم التي يعرفونها ، بل قيل في البرهان : إنه رأى تمثال الملك ، وهو العزيز ، وقيل خيانة[1] ، وكل ذلك مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل وأكاذيبهم التي افتروها على الله ، وعلى رسله ، وحمله إلى بعض الصحابة والتابعين ، كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وأمثالها .

وليس أدل على هذا ، مما روى عن وهب بن منبه قال : لما خلا يوسف ، وامرأة العزيز ، خرجت كف بلا جسد بينهما ، مكتوب عليها بالعبرانية : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ ، ثم انصرفت الكف ، وقاما مقامها ، ثم رجعت الكف بينهما ، مكتوب عليها بالعبرانية ﴿ إن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ ، ثم انصرفت الكف ، وقاما مقامها ، فعادت الكف الثالثة مكتوب عليها : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ، وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ وانصرفت الكف ، وقاما مقامها فعادت الكف الرابعة مكتوب عليها بالعبرانية : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ، فولى يوسف ـ عليه السلام ـ هاربا[2] .

---

(1) تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٠٨ ـ ١١٤ ، الدر المنثور ج ٤ ص ١٣ ، ١٤ ، وتفسير ابن كثير والبغوي ، ج ٤ ص ٤٣٠ ـ ٤٣٢

(2) الدر المنثور ج ٤ ص ١٤

وقد كان وهب أو من نقل عنه وهب ذكياً بارعاً حينما زعم أن ذلك كان مكتوباً بالعبرانية ، وبذلك : أجاب عما استشكلته ، ولكن مع هذا : لن يجوز هذا الكذب إلا على الأغرار والسذج من أهل العلم ولا أدرى أى معنى يبقى للعصمة بعد أن جلس بين رجليها ، وخلع سرواله ؟! وما امتناعه عن الزنا على مروياتهم المفتراة : إلا وهو مقهور مغلوب ؟!

ولو أن عربيداً رأى صورة أبيه بعد موته عنده من معصيته لكف عنها ، وانزجر ، فأى فضل ليوسف إذاً ، وهو نبى من سلالة أنبياء ؟!!

بل أى فضل له فى عدم مقارفته الفاحشة بعد ما خرجت شهوته من أنامل قدميه ؟! وما امتناعه حينئذ إلا قسرى جبرى !!

ثم ما هذا الاضطراب الفاحش فى الروايات ؟! أليس الاضطراب الذى لا يمكن التوفيق بينه كهذا من العلل التى رد المحدثون بسببها الكثير من المرويات ؟! لأنه أمارة من أمارات الكذب والاختلاق ، والباطل لجلج ، وأما الحق فهو أبلج

ثم كيف يتفق ما حيك حول نبى الله يوسف — عليه الصلاة والسلام — وقول الحق تبارك — عقب ذكر الهم : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ[1] ﴾ ، فهل يستحق هذا الثناء من حل التكة ، وخلع السروال ، وجلس بين رجليها ؟! ولا أدرى أنصدق الله . تبارك وتعالى ، أم نصدق كذبة بنى إسرائيل ومخرفيهم ؟!!

بل كيف يتفق ما روى هو وما حكاه الله — عز وجل — عن زليخا بطلة المراودة ، حيث قالت : ﴿ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ[2] ﴾ وهو اعتراف صريح من البطلة التى أعيتها الحيل عن طريق الترغيب حيناً ، والتودد إليه بمعسول القول حيناً آخر ،

---

(١) قرىء فى السبع بضم الميم وفتح اللام ، أى الذين اصطفاهم واختارهم لنبوته ورسالته ، وقرىء بكسر اللام أى : الذين أخلصوا لله التوحيد والعبادة ، والمعنى الثانى لازم للأول ، فمن اصطفاه الله لابد أن يكون مخلصاً

(٢) يوسف : ٥١

ولا رهبة والتخويف حيناً ثالثاً . فلم تفلح : ﴿ لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ[1] ﴾ .

وانظر ماذا كان جواب السيد العفيف الكريم ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم : يوسف بن يعقوب ، بن إسحاق ، بن إبراهيم ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ ﴿ قَالَ : رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[2] ﴾ وقصده ـ عليه السلام ـ بقوله : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ التبرؤ من الحول والطول ، وأن الحول والقوة إنما هي من الله ، وسؤال منه لربه ، واستعانة به على أن يصرف عنه كيدهن ، وهكذا شأن الأنبياء .

بل قد شهد الشيطان نفسه ليوسف ـ عليه السلام ـ في ضمن قوله : كما حكاه الله سبحانه عنه بقوله : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ[3] ﴾ ، ويوسف بشهادة الحق تعالى من مخلصين

وكذلك شهد ليوسف شاهد من أهلها[4] ، فقال : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ، وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ[5] ﴾ ، وقد أسفر التحقيق عن براءة يوسف وإدانة زليخا ـ امرأة العزيز

فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة المصدقة ، وتلك الروايات المزورة ؟!! وقد ذكر الكثير من هذه الروايات ابن جرير الطبري ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن كثير ، والسيوطي ، وقد مر بها ابن كثير بعد أن نقلها حاكياً من غير أن ينبه إلى زيفها ، وهو الناقد البصير !!

---

(١) يوسف ٣٢

(٢) يوسف ٣٣ ، ٣٤

(٣) ص : ٨٢ ، ٨٣

(٤) قيل : كان رجلا عاقلا حكيما عربيا من خاصة الملك ، وكان من أهلها . وقيل : كان صبيا في المهد وكان ذلك إرهاصا بين يدي نبوة يوسف ، وإكراما له

(٥) يوسف ٢٦ ـ ٢٨

ومن العجيب حقاً أن الإمام ابن جرير – على جلالة قدره – يحاول أن يضعف في تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان، ويفسرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة، وقواعد الشرع، وما جاء في القرآن والسنة الصحيحة الثابتة. ويعتبر هذه المرويات التي سقت لك بعضاً منها آنفاً، هي قول جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين يؤخذ عنهم[1] !!! وكذلك تابعه على مقالته تلك الثعلبي والبغوي في تفسيريهما[2] !!

وهذه المرويات الباطلة المكذوبة التي يأباها النظم الكريم، ويمجه العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء – عليهم السلام – هي التي اعتمدها الطبري ومن تبعه أقوال السلف!

بل يسير في خط اعتبار هذه المرويات، فيورد على نفسه سؤالاً فيقول: فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبي؟ ثم أجاب بما لا طائل تحته، ولا يليق بمقام الأنبياء[3] وتابعه الواحدي في تفسيره «البسيط».

وأعجب من ذلك ما ذهب إليه الواحدي في «البسيط» فقال: قال المفسرون الموثوق بعلمهم، المرجوع إلى روايتهم، الآخذون للتأويل، عمن شاهدوا التنزيل: همّ يوسف عليه السلام بهذه المرأة همّاً صحيحاً وجلس منها مجلس الرجل من المرأة. فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه.

وهي غفلة شديدة من هؤلاء الأئمة لا نرضاها، ولولا أني أنزه لساني وقلمي عن الهجر من القول، وأنهم خلطوا في مؤلفاتهم عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقسوت عليهم، وحق لي هذا، لكني أسأل الله لي ولهم العفو والمغفرة.

وهذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون ما هي إلا إسرائيليات وخرافات وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء، الذين أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين، ثم

(١) تفسير الطبري ج ١٢ ص ١١٠
(٢) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣
(٣) تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٠٩، ١١٠

حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا وتلقاها عنهم بعض الصحابة ، والتابعين ، بحسن نية ، أو اعتمادا على ظهور كذبها وزيفها .

وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة ، دسها عليهم أعداء الأديان ، كي تروج تحت هذا الستار ، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد ، وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة ، وهذا ما أميل إليه(1) .

* * *

الفرية على المعصوم - ﷺ -

في قول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ... ﴾

ولكي يؤيدوا باطلهم الذي ذكرناه آنفا ، رووا عن الصحابة والتابعين ما لا يليق بمقام الأنبياء ، واختلقوا على النبي - ﷺ - زورا ، وقولوه ما لم يقله ، قال صاحب (الدر) : وأخرج الفريابي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما جمع الملك النسوة قال لهن : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ قلن ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ . قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ . الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، قال يوسف : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ، فغمزه جبريل - عليه السلام - فقال : ولا حين هممت بها ؟ فقال : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾

قال : وأخرج ابن جرير عن مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، والسدي مثله ، وأخرج الحاكم في تاريخه ، وابن مردويه والديلمي عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قرأ هذه الآية : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ قال : لما قال يوسف ذلك قال له جبريل - عليه السلام - : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ ، قال : وأخرج ابن جرير عن عكرمة مثله ، وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي حاتم : عن حكيم بن جابر في قوله ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

---

(1) تفسير المنار ج ١٢ ص ٢

أنّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ ﴾ قال جبريل : ولا حين حللت السراويل ؟ إلى غير ذلك من المرويات المكذوبة ، والإسرائيليات الباطلة ، التي خرجها بعض المفسرين الذين كان منهجهم ذكر المرويات وجمع أكبر قدر منها ، سواء منها ما صح وما لم يصح ، والإخباريون الذين لا تحقيق عندهم للمرويات ، وليس أدل على ذلك من أنها لم يخرجها أحد من أهل الكتب الصحيحة ، ولا أصحاب الكتب المعتمدة الذين يرجع إليهم في مثل هذا .

القرآن يرد هذه الأكاذيب :

وقد فات هؤلاء القصاصين الكذابين أن قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ... ﴾ الآية[1] ليس من مقالة سيدنا يوسف - عليه السلام - وإنما هو من مقالة امرأة العزيز ، وهو ما يتفق وسياق الآية ، فإن العزيز لما أرسل رسوله إلى يوسف لإحضاره من السجن قال له : ارجع إلى ربك ، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فأحضر النسوة ، وسألهن ، وشهدن ببراءة يوسف ، لم تجد امرأة العزيز بداً من الاعتراف ، فقالت : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ .. ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ .. ﴾ فكل ذلك من قولها ، ولم يكن يوسف حاضراً ثم ، بل كان في السجن ، فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك في مجلس التحقيق الذي عقده العزيز ؟

وقد انتصر لهذا الرأي الذي يوائم السباق والسياق : الإمام ابن تيمية ، وألف في ذلك تصنيفاً على حدة .

قال الإمام الحافظ المفسر ابن كثير في تفسيره : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾

تقول : إنما اعترفت بهذا على نفسي ، ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ، ولا وقع المحذور الأكبر ، وإنما راودت هذا الشاب مراودة ، فامتنع ، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة ، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ تقول المرأة : ولست أبرئ نفسي ، فإن النفس تتحدث ، وتتمنى ، ولهذا راودته لأن

---

(1) يوسف : ٥٢ ، ٥٣ .

﴿ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ أي : إلا من عصمه الله تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعانى الكلام ، وقد حكاه الماوردى في تفسيره ، وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية ـ رحمه الله ـ فأفرده بتصنيف على حدة

وبعد أن ذكر بعض ما ذكره ابن جرير الذى ذكرناه آنفاً عن ابن عباس ، وتلامذته ، وغيره قال : والقول الأول أقوى ، وأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف ـ عليه السلام ـ عندهم ، بل بعد ذلك أحضره الملك [1] .

التفسير الصحيح لقوله تعالى

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾

والصحيح في تفسير قوله تعالى . ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ أن الكلام تم عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ وليس من شك في أن همها كان بقصد الفاحشة ، ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾

الكلام من قبيل التقديم والتأخير ، والتقدير : ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ، فقوله تعالى . ﴿ وهم بها ﴾ ، جواب لولا مقدم عليها ومعروف في العربية أن لولا حرف امتناع لوجود ، أى ، امتناع الجواب لوجود الشرط . فيكون الهم ممتنعاً لوجود البرهان الذى ركزه الله في فطرته ، والمقدم إما الجواب ، أو دليله على خلاف في هذا بين النحويين ، والمراد بالبرهان : هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنا وهو شيء مركوز في فطر الأنبياء ، ومعرفة ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين ، وهو ما نعبر عنه بالعصمة ، وهى التى تحول بين الأنبياء والمرسلين وبين وقوعهم في المعصية ، ويرحم الله الإمام جعفر بن محمد الصادق ـ رضى الله عنهما ـ حيث قال . البرهان : النبوة التى أودعها الله في صدره ، حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل .

---

(1) تفسير ابن كثير ، ج 4 ص 449 ط المنار .

وهذا هو القول الجزل الذي يوفق ما ذهب إليه العقل من عصمة الأنبياء ، ويدعو إليه السباق واللحاق ، وأما كون جواب لولا لا يجوز أن يتقدم عليها فهذا أمر ليس ذا خطر ، حتى نعدل عن هذا الرأي الصواب ، إلى التفسيرات الأخرى الباطلة ، بهمّ يوسف ـ عليه السلام ـ . والقرآن هو أصل اللغة ، فورود أي أسلوب في القرآن يكفي في كونه أسلوباً عربياً فصيحاً ، وفي تأصيل أي قاعدة من القواعد النحوية فلا يجوز لأجل الأخذ بقاعدة نحوية أن نقع في محظور لا يليق بالأنبياء كهذا .

وقد قال الإمام الآلوسي ، في تفسيره في الرد على المبرد في تشنيعه على قراءة حمزة أحد القراء السبعة ، في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ﴾ (1) بجر لفظ الأرحام عطفاً على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر ، « وهو أحد القراء السبعة الذين قال أساطين الدين : إن قراءتهم متواترة عن رسول الله ـ ﷺ ـ ومع هذا ، لم يقرأ به وحده ، بل قرأ به جماعة من غير السبعة ، كابن مسعود ، وابن عباس ، وإبراهيم النخعي ، والحسن البصري ، وقتادة ، ومجاهد وغيرهم ـ كما نقله ابن يعيش ـ فالتشنيع على هذا الإمام في غاية الشناعة ، ونهاية الجسارة ، والبشاعة ، وربما يخشى منه الكفر ، وما ذكر من امتناع العطف على الضمير المجرور ، هو مذهب البصريين ، ولسنا متعبدين باتباعهم ، وقد أطال أبو حيان في (البحر) الكلام في الرد عليهم ، وادعى أن ما ذهبوا إليه غير صحيح ، بل الصحيح ما ذهب إليه الكوفيون من الجواز ، وورود ذلك في لسان العرب نثراً ونظماً ، وإلى ذلك ذهب ابن مالك » (2) .

وقيل : إن ما حصل من همّ يوسف كان خطرة ، وحديث نفس بمقتضى الفطرة البشرية ، ولم يستقر ، ولم يظهر له أثر ، قال البغوي في تفسيره : « قال بعض أهل الحقائق : الهمّ همّان ، همّ ثابت ، وهو : إذا كان معه عزم ، وعقد ، ورضا ، مثل همّ امرأة العزيز ، والعبد مأخوذ به ، وهمّ عارض ، وهو : الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ، ولا عزم مثل همّ يوسف ـ عليه السلام ـ والعبد غير مأخوذ به ، ما لم يتكلم به أو يعمل » (3) . وقيل : همت به همّ شهوة وقصد للفاحشة ، وهمّ هو بضربها ، ولا أدري

---

(1) النساء : 1

(2) تفسير الآلوسي ، ج 4 ص 184 ، وانظر البحر المحيط عند تفسير هذه الآية

(3) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج 4 ص 431

كيف يتفق هذا القول وقوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾

والقول الحق الفحل هو ما ذكرته أولا ، وسر في إظهاره في هذا الأسلوب - والله أعلم - تصوير مشهد المثير المغرى محرم ، مدى مغالبة امرأة العزيز نبي الله يوسف ، وأنه ولا عصمة الله له ، وفطرته السوية زكية ، لكانت الاستجابة لها ، والهم بها أمر محقق . وفي هذا تكريم ليوسف ، وشهادة له بالعفة البالغة ، والطهارة الفائقة .

* * *

(١٩) الإسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين في مدة سجن يوسف - عليه السلام - وفي سبب لبثه في السجن بضع سنين ، وذلك عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (يوسف : الآية ٤٢)

فقد ذكر ابن جرير ، والثعلبي ، والبغوي ، وغيرهم أقوالا كثيرة في هذا ، فقد قال وهب بن منبه : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك يوسف في السجن سبع سنين ، وعذب بختنصر فحول في السباع سبع سنين[1]

وقال مالك بن دينار : لما قال يوسف للساقي : اذكرني عند ربك ، قيل له : يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا ، لأطيلن حبسك ، فبكى يوسف ، وقال : يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ، ولن أعود

وقال الحسن البصري : دخل جبريل - عليه السلام - على يوسف في السجن ، فلما رآه يوسف عرفه ، فقال له : يا أخا المنذرين ، إني أراك بين الخاطئين[2] فقال له جبريل : يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ، ويقول لك : أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين[3] وعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين ، فقال يوسف : وهو في ذلك عني راض ؟ قال : نعم ، قال : إذا لا أبالي

---

(١) لا أدري ما المناسبة بين نبي الله ، وبختنصر الذي أذل اليهود وساماهم ؟

وقال كعب الأحبار : قال جبريل ليوسف : إن الله تعالى يقول : من خلقك ؟ قال : الله عز وجل . قال : فمن حببك إلى أبيك ؟ قال : الله ، قال : فمن نجاك من كرب البئر ؟ قال : الله ، قال : فمن علمك تأويل الرؤيا ؟ قال الله ، قال : فمن صرف عنك السوء والفحشاء ؟ قال : الله ، قال : فكيف استشفعت بآدمي مثلك ؟[1] فلما انقضت سبع سنين - قال الكلبي : وهذه السبع سوى الخمسة[2] التي قبل ذلك - جاءه الفرج من الله ، فرأى الملك ما رأى من الرؤيا العجيبة ، وعجز الملأ عن تفسيرها ، فتذكر الساقي يوسف وصدق تعبيره للرؤى ، فذهب إلى يوسف ، فعبرها له خير تعبير ، فكان ذلك سبب نجاته من السجن ، وقول امرأة العزيز : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأغلب الظن عندي : أن هذا من الإسرائيليات ؛ فقد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها ، مع أنه - عليه السلام - لم يقل هجراً ، ولا منكراً ، فالأخذ في أسباب النجاة عادية ، وفي أسباب إظهار البراءة والحق ، لا ينافي قط التوكل على الله تعالى والابتلاء للأنبياء ليس عقوبة ، وإنما هو لرفع درجاتهم ، وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم ، في باب الابتلاء ، وفي الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - : « أشد الناس بلاء الأنبياء ، فالأمثل ، فالأمثل » .

وقد روى ابن جرير ههنا حديثاً مرفوعاً فقال : حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مرفوعاً ، قال : قال النبي - ﷺ - : « لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قالها ما لبث في السجن طول ما لبث ، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله » .

ولو أن هذا الحديث كان صحيحاً أو حسناً ، لكان للمتمسكين بمثل هذه الإسرائيليات التي أظهرت سيدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان وجهة ، ولكن الحديث شديد الضعف ، لا يجوز الاحتجاج به أبداً

---

(1) تفسير البغوي ج 4 ص 444 ، 445

(2) حصر المفسرين لا يكتفي بالسبع بل ضم إليها خمساً قبل ذلك ولا أدري ما مستنده في هذا ؟ وظاهر القرآن لا يشهد له ولو كان كذلك لصرح به القرآن ، أو الأثر به

قال الإمام الحافظ الناقد ، ابن كثير : « وهذا الحديث ضعيف جداً[1] ، لأن سفيان بن وكيع – الراوي عنه ابن جرير – ضعيف ، وإبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضاً ، وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما ، وهذه المرسلات ههنا لا تقبل[2] ، ولو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن ، والله أعلم[3] ، وقد تكلف بعض المفسرين للإجابة عما يدل عليه هذا الحديث ، وحاله كما سمعت بل تكلف بعضهم ، فحمل التقصير في « فأنساه » ليوسف وهو غير صحيح ، والذي يجب أن نعتقده أن يوسف – عليه الصلاة والسلام – مكث في السجن كما قال الله تعالى بضع سنين .

والبضع : من الثلاث إلى التسع ، أو إلى العشر من غير تحديد للمدة ، فجائز أن تكون سبعاً ، وجائز أن تكون تسعاً ، وجائز أن تكون خمساً ، مادام ليس هناك نقل صحيح عن المعصوم – ﷺ – وكذلك : نعتقد أنه لم يكن عقوبة على كلمة ، وإنما هو بلاء ورفعة درجة ثم كيف يتفق هذا الحديث الضعيف هو وما روى عن النبي في الصحيحين عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله – ﷺ – :

« ... ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي » وفي لفظ للإمام أحمد « لو كنت أنا لأسرعت الإجابة ، وما ابتغيت العذر »

* * *

(٢٠) الإسرائيليات في شجرة طوبى

ومن الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[4]

من ذلك : ما رواه ابن جرير بسنده ، عن وهب ، قال : إن في الجنة شجرة يقال لها : طوبى ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رياط ، وورقها برود ،

---

(١) الضعيف جداً لا يحتج به لا في الأحكام ولا في الفضائل كما بينت في غير هذا .
(٢) لأن المرسل احتج به بعض الفقهاء أما في مثل هذا الذي فيه جناية بعض الأنبياء ... فلا ... عليه ... فلا
(٣) تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٤٤٨
(٤) الرعد : ٢٩

وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور ، ووحلها مسك ، يخرج من أصلها أنهار الخمر ، واللبن ، والعسل ، وهي مجلس لأهل الجنة ، فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم ، يقودون نجبا(١) مزمومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح حسناً ، ووبرها كخز المرعزى من لينه ، عليها رحال(٢) ألواحها من ياقوت ، ودفوفها من ذهب ، وثيابها من سندس ، وإستبرق ، فينيخونها ، يقولون : إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه ، وتسلموا عليه ، قال : فيركبونها فهي أسرع من الطائر ، وأوطأ من الفراش ، نجبا من غير مهنة ، يسير الرجل إلى جنب أخيه ، وهو يكلمه ، ويناجيه ، لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى ولا برك(٣) راحلة برك الأخرى ، حتى أن الشجرة لتتنحى عن طريقهم ، لئلا تفرق بين الرجل وأخيه ، قال : فيأتون إلى الرحمن الرحيم ، فيسفر لهم عن وجهه الكريم ، حتى ينظروا إليه ، فإذا رأوه قالوا : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وحق لك الجلال والإكرام ، قال : فيقول تعالى عند ذلك : أنا السلام ، ومني السلام ، وعليكم السلام ، حقت رحمتي ، ومحبتي ، مرحباً بعبادي الذين خشوني بغيب ، وأطاعوا أمري ، قال : فيقولون : ربنا لم نعبدك حق عبادتك ، ولم نقدرك حق قدرك ، فأذن لنا في السجود قدامك ، قال : فيقول الله : إنها ليست بدار نصب ، ولا عبادة ، ولكنها دار ملك ونعيم ، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم ، فإن لكل رجل منكم أمنية ، فيسألونه ، حتى أن أقصرهم أمنية ليقول : ربي تنافس أهل الدنيا في دنياهم ، فتضايقوا فيها ، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا ، فيقول الله تعالى : لقد قصرت بك أمنيتك .

ولقد سألت دون منزلتك ، هذا لك مني ، لأنه ليس في عطائي نكد ، ولا قصر يد ، قال : ثم يقول : أعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانيهم ولم يخطر لهم على بال ، قال : فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيهم التي في أنفسهم ، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة ، على كل سرير منها قبة من ذهب ،

---

(١) أي : إبلاً كراماً

(٢) الرحال : ما يوضع على البعير ليركب عليه .

(٣) البرك : الصدر

مفرعة، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة، متظاهرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريح ولا طيب إلا قد عبق بهما، ضوء وجوههما غلظ القبة، حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة، يرى مخها من فوق سوقها كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى هو لهما مثل ذلك، ويدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه، ويتعلقان به، ويقولان له: والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك، ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة، حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له[1].

وقد وصف ابن كثير في تفسيره هذا الأثر: بأنه غريب عجيب وساقه، وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده، عن وهب أيضاً وزاد زيادات أخرى[2].

التفسير الصحيح لقوله: ﴿طوبى لهم﴾

والمأثور عن السلف في تفسير طوبى غير ذلك، فروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسيرها: فرح لهم وقرة عين، وقال عكرمة: نعم ما لهم، وقال قتادة: حسنى لهم، وقال إبراهيم النخعي: خير لهم وكرامة.

وروى أيضاً عن بعض الصحابة، وغير واحد من السلف: أن طوبى شجرة في الجنة؛ بل ورد ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «طوبى شجرة في الجنة، ظلها مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها[3]».

بل قيل: إنها الشجرة التي ذكرها النبي ﷺ في قوله: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**» رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وفي بعض روايات أحمد والبخاري: فاقرءوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾[4].

ونحن لا ننكر احتمال أن تكون هذه الشجرة المذكورة في الحديث الصحيح، ولكن

---

(1) تفسير ابن جرير عند تفسير هذه الآية، والدر المنثور عند تفسير هذه الآية.

(2) تفسير ابن كثير والبغوي ج 4 ص ٤١٤، ٤١٥.

(3) المرجع السابق.

(4) الواقعة: ٣٠.

الذي نذكره، ونقول إنه من الإسرائيليات: هذه الزيادات التي زادها وهب، ومن أخذ عنه، ونحن في غنية عن هذا بما ثبت في الأحاديث الصحاح، وها نحن نرى أنها جاءت خالية من هذه التحريفات والتهويلات التي تسربت عن الرواية الإسرائيلية.

* * *

(٢١) الإسرائيليات في إفساد بني إسرائيل

ومن الإسرائيليات في كتب التفسير: ما يذكره بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء: الآيات من ٤ ـ ٨).

وليس من قصدنا هنا تحقيق مرتي إفسادهم، ومن سلط عليهم في كلتا المرتين، فلذلك موضع آخر[1].

وإنما الذي يتصل ببحثي: بيان ما روي من الإسرائيليات في هاتين المرتين، واسم من سلط عليهم، وصفته، وكيف كان، والإمعان في أمره، وقد ذكرت معظم الروايات في بيان عباد أولي البأس الشديد الذين سلطوا عليهم [illegible]، بختنصر البابلي. وقد أحاطوه بهالة من العجائب، والغرائب، والمبالغات التي لا تصدق، وقد أخرج هذه الروايات ابن جرير في تفسيره، وأكثر منها جداً[2]، وابن أبي حاتم والبغوي[3]، وغيرهم عن ابن عباس،

---

(١) الذي أرجحه أن عباد أولي البأس الشديد الذين سلطوا عليهم وأذلوهم وسبوهم هم بختنصر وجنوده وأن الآخرين الذين ساءوا وجوههم، ودخلوا المسجد الأقصى هم: طيطوس الروماني وجيوشه، فقد أساموهم سوء العذاب. وتأمل في قوله: ﴿وإن عدتم عدنا﴾ فإنه يدل على أنهم سيعودون ثم يفسدون، فيرسل الله لهم من يسومهم عذاباً آخر.

(٢) تفسير ابن جرير ج ١٥ من ص ١٦ ـ ٣٤

(٣) ج ٥ ص ١٤١ ـ ١٥٤

وابن مسعود ، وعن سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعن السدي ، وعن وهب بن منبه ، وابن إسحاق ، وغيرهم . وخرجها من غير ذكر أسانيدها مع عزوها إلى مخرجيها السيوطي في « الدر المنثور »(1)

وهي — ولا شك — من أكاذيب بني إسرائيل التي اختلقها أسلافهم ، وتوقفت عليهم ، وورثها أخلافهم من مسلمة أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأخذها عنهم بعض الصحابة والتابعين بحسن الظن بهم ، ورووها من غير تنبيه إلى ما فيها

وفي هذه الأخبار الإسرائيلية ما يحتمل الصدق والكذب ، ولكن الأولى عدم الاشتغال به ، وأن لا نفسر القرآن به ، وأن نقف عند ما قصه الله علينا ، من غير أن نفسد جمال القرآن ، وجلاله بمثل هذه الإسرائيليات

وقد أكثر ابن جرير هنا من النقل عن ابن إسحاق ، وفي بعضها روى عن ابن إسحاق عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه(2) ، وفي بعضها يسنده عن وهب بن منبه بذكر ابن إسحاق ، وبذلك وقفنا على من كان المصدر الحقيقي لهذه المرويات ، وأنه وهب ، وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب

وقد سود ابن جرير بضع صفحات من كتابه في النقل عن ابن إسحاق وعن وهب ، ولا أحب أن أنقل هنا نصه ، لأن في ذلك تسويداً للصفحات ، ولكني سأذكر البعض ليكون القارئ لهذا التفسير على حذر من مثل ذلك

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق قال : « كان مما أنزل الله على موسى(3) في خبره عن بني إسرائيل ، وفي أحداثهم ، ما هم فاعلون بعده ، فقال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم

(1) ج 4 ص 163 — 166
(2) تفسير ابن جرير ج 15 ص 29
(3) المراد أنزل معناه لا لفظه ، فالتوراة لم تكن بالعربية ، ولا كان لسان موسى — عليه الصلاة والسلام — عربياً

متعطفاً عليهم، محسناً إليهم، فكان مما أنزل بهم في ذنوبهم ما كان قدم إليهم في الخبر على لسان موسى، مما أنزل بهم في ذنوبهم. فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة، وكان الله إذا ملك الملك عليهم بعث نبياً يسدده، ويرشده، ويكون فيما بينه وبين الله، ويحدث إليه في أمرهم لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة، والأحكام التي فيها، وينهونهم عن المعصية، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة، فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعياء بن أمصيا، وذلك قبل مبعث زكريا، ويحيى وعيسى، وشعياء الذي بشر بعيسى، ومحمد. فملك ذلك الملك بني إسرائيل، وبيت المقدس زماناً، فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث، وشعياء معه بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل، ومعه ستمائة ألف راية[1]، فأقبل سائراً، حتى نزل حول بيت المقدس، والملك مريض في ساقه قرحة، فجاء النبي شعياء، فقال له يا ملك بني إسرائيل: إن سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده، ستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس، وفرقوا[2] منهم، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبي الله، هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده؟ فقال له النبي - عليه السلام -: لم يأتني وحي أحدث إلي في شأنك، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبي: أن ائت ملك بني إسرائيل، فمره أن يوصي وصيته، ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته، فإنك ميت.

ثم استرسل ابن جرير في الرواية، حتى استغرق ذلك أربع صفحات كبار من كتابه[3]، لا يشك الناظر فيها أنها من أخبار بني إسرائيل، وفيما ذكره ابن جرير عن ابن إسحاق الصدق، والكذب، والحق، والباطل، وليس في حاجة إليه في تفسير الآيات.

وفي الإفساد الثاني، ومن سلط عليهم، روى ابن جرير أيضاً قال: حدثني محمد بن سهل بن عسكر، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه قالا: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه

(1) من المغالطات التي لا مصداق لها، على ما ذكرنا آنفاً عن العلامة ابن خلدون [illegible]
(2) في [illegible]
(3) ج 15 من ص 18 – 21

وحدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني — واللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول: يعني وهب بن منبه:

قال الله تبارك وتعالى لأرميا حين بعثه نبياً إلى بني إسرائيل: يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك، ولأمر عظيم اجتبيتك. فبعث الله أرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل، يسدده، ويرشده، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله. قال: ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي، واستحلوا المحارم، ونسوا ما كان الله سبحانه وتعالى صنع بهم، وما نجاهم من عدوهم «سنحاريب» وجنوده. فأوحى الله إلى أرميا: أن ائت قومك من بني إسرائيل، فاقصص عليهم ما آمرك به، وذكرهم نعمتي عليهم، وعرفهم أحداثهم ...

واسترسل وهب بن منبه فيما يذكره من أخبار بني إسرائيل حتى استغرق ذلك من تفسير ابن جرير ثلاث صفحات كبار[1] في غير ذلك، مما ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما، من قصص عجيب غريب في «بختنصر» هذا، وما خرب من البلاد وما قتل من العباد.

الكذب على رسول الله بنسبة هذه الإسرائيليات إليه:

ولو أن هذه الإسرائيليات والأباطيل وقف بها عند رواتها من أهل الكتاب الذين أسلموا، أو عند من رواها عنهم من الصحابة والتابعين لهان الأمر، ولكن عظم الإثم أن تنسب هذه الإسرائيليات إلى المعصوم ﷺ صراحة، ولا أشك أن هذا من عمل زنادقة اليهود أو الفرس.

روى ابن جرير في تفسيره، قال: حدثني عصام بن داود بن الجراح، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ:

«إن بني إسرائيل لما اعتدوا، وعلوا، وقتلوا الأنبياء، بعث الله عليهم ملك فارس

---

(1) ج ١٥ من ص ٢٩ - ٣٢.

(بختنصر) ، وكان الله ملكه سبعمائة سنة[1] ، فسار إليهم ، حتى دخل بيت المقدس ، فحاصرها ، وفتحها ، وقتل على دم زكريا سبعين ألفا ، ثم سبى أهلها ، وبني الأنبياء ، وسلب حلي بيت المقدس ، واستخرج منها سبعين ألفا ، ومائة ألف عجلة من حلي ، حتى أوردها بابل[2] » . قال حذيفة : فقلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله ، قال : أجل ، بناه سليمان بن داود من ذهب ، ودر ، وياقوت ، وزبرجد وكان بلاطه بلاطة من ذهب ، وبلاطة من فضة ، وعمده ذهبا ، أعطاه الله ذلك ، وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين ، فسار بختنصر بهذه الأشياء ، حتى دخل بها بابل ، فأقام بنو إسرائيل في يديه مائة سنة ، تعذبهم المجوس ، وأبناء المجوس ، وفيهم الأنبياء ، وأبناء الأنبياء ، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له كورش ، وكان مؤمنا ، أن سر إلى بقايا بني إسرائيل حتى تستنقذهم ، فسار كورش ببني إسرائيل ، وحلي بيت المقدس ، حتى رده إليه

فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مائة سنة ، ثم إنهم عادوا في المعاصي ، فسلط الله عليهم ابطيانحوس ، فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر ، فغزا بني إسرائيل ، حتى أتاهم بيت المقدس ، فسبى أهلها ، وأحرق بيت المقدس ، وقال لهم : يا بني إسرائيل ، إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسباء ، فعادوا في المعاصي ، فسير الله عليهم السباء الثالث ، ملك رومية ، يقال له : قاقس بن إسبايوس[3] ، فغزاهم في البر والبحر فسباهم ، وسبى حلي بيت المقدس ، وأحرق بيت المقدس بالنيران ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ هذا من صنعة حلي بيت المقدس ، ويرده المهدي إلى بيت المقدس ، وهو ألف سفينة ، وسبعمائة سفينة ، يرسى بها على يافا ، حتى تنقل إلى بيت المقدس ، وبها يجمع الله الأولين ، والآخرين . وعفا الله عن ابن جرير ، كيف استجاز أن يذكر هذا الخبر ، وهذه التحريفات عن المعصوم ﷺ وكان عليه أن يصون كتابه عن أن يسوده بأمثال هذه المرويات الباطلة

---

(1) وأي حرج عظيم من أن ينسب هذا التحريف إلى النبي ـ ﷺ ـ .
(2) ما أسخف هذه الأكاذيب المفتراة على رسول الله ـ ﷺ ـ .
(3) في نسخة أخرى : ناقس بن إسبايوس .

ويرحم الله الإمام الحافظ الناقد ، ابن كثير ، حيث قال في تفسيره :

« وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعاً مطولاً ، وهو حديث موضوع لا محالة ، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره ، وإمامته ، وقد صرح شيخنا : أبو الحجاج المزي - رحمه الله - بأنه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب - يعني كتاب تفسير ابن جرير - وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية ، لم أر تطويل الكتاب بذكرها ، لأن منها ، ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ، ومنها : ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ، ونحن في غنية عنها ولله الحمد ، وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ، ولا رسوله إليهم ، وقد أخبر الله عنهم : أنهم لما طغوا ، وبغوا سلط الله عليهم عدوهم ، فاستباح بيضتهم ، وسلك خلال بيوتهم ، وأذلهم ، وقهرهم جزاء وفاقاً ، وما ربك بظلام للعبيد ، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً كثيراً من الأنبياء والعلماء»(1)

التفسير الصحيح للآية :

وهذا هو الحق الذي ينبغي أن يصار إليه في الآية ، والقصص القرآني لا يعنى بذكر الأشخاص ، ولا الأماكن ، لأن الغرض منه العبرة ، والتذكير ، والتعليم والتأديب ، والذي دلت عليه الآية : أنهم أفسدوا مرتين في الزمن الأول ، وظلموا وبغوا ، فسلط الله عليهم في الأولى من أذلهم وسباهم ، ولا يعنينا أن يكون هذا « سنحاريب » أو « بختنصر » وجيشه ، إذ لا يترتب على العلم به فائدة تذكر ، وسلط الله عليهم في الثانية من أذلهم ، وساء وجوههم ، ودخل المسجد الأقصى ، فأفسد فيه ، ودمر ، ولا يعنينا أن يكون هذا الذي نكل بهم هو « طيطوس » الرومانى أو غيره ، لأن المراد من سياق قصته : ما قصاه الله على بني إسرائيل أنهم أهل فساد ، وبطر ، وظلم ، وبغي ، وأنهم لما أفسدوا وطغوا ، وتجبروا سلط الله عليهم من عباده من نكل بهم ، وأذلهم ، وسباهم ، وشردهم ، ثم إن الآيات دلت أيضاً على أن بني إسرائيل لا تقف ضحاياهم ، وبغيهم ، وإفسادهم عند المرتين الأوليين ، بل الآية توحي بأن ذلك مستمر إلى ما شاء الله ، وأن الله سيسلط عليهم من

---

(1) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٥ ص ١٤٨ - ١٥٠

يسومهم العذاب ، ويبطش بهم ، ويرد ظلمهم وعدوانهم ، قال عز شأنه : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ ، أليس في قوله هذا إنذار ووعيد لهم إلى يوم القيامة ؟! بلى .

ومما يؤكد هذا الإنذار والوعيد قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، فهل يسلط الله عليهم اليوم من يرد ظلمهم وبغيهم ، وطردهم أهل فلسطين من ديارهم ، واغتصاب الديار ، واستذلال العباد ، واستهانتهم بالقيم الخلقية ، والحقوق الإنسانية ؟ .

ذلك ما نرجو ، وما ذلك على المسلمين والعرب بعزيز ، لو وحدوا الكلمة ، وجمعوا الصفوف ، وأخذوا الحذر والأهبة ، وأعدوا لعدة ما يهم حتى وأعز

* * *

(٢٢) الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف

ومن قصص الماضين التي أكثر فيها المفسرون من ذكر الإسرائيليات قصة أصحاب الكهف ، فقد ذكر ابن جرير ، وابن مردويه ، وغيرهما لكثير من أخبارهم التي لا يدل عليها كتاب الله تعالى ، ولا يتوقف فهم القرآن وتدبره عليها .

فمن ذلك : ما ذكره ابن جرير في تفسيره ، عن ابن إسحق ، صاحب السيرة في قصتهم ، فقد ذكر نحو ثلاث ورقات ، وذكر عن وهب بن منبه ، وابن عباس ومجاهد أخبارا كثيرة[2] أخرى وكذلك ذكر السيوطي في « الدر المنثور »[3] ، الكثير مما ذكره المفسرون عن أصحاب الكهف ، عن هويتهم : ومن كانوا ؟ وفي أي زمان ومكان وجدوا ؟ وأسمائهم ؟ واسم كلبهم ؟ وأهو قطمير أم غيره ؟ ومن لونه أهو أصفر أم أحمر ؟ بل روى ابن أبي حاتم من طريق سفيان ، قال : رجل بالكوفة يقال له عبيد ـ وكان لا يتهم بالكذب ـ قال : رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر ، كأنه كساء أنبجاني[4] ، ولا

---

(١) الأعراف : ١٦٧

(٢) تفسير ابن جرير ج ١٥ ص ١٣٣ وما بعدها

(٣) الدر المنثور ج ٤ ص ٢١١ ـ ٢١٨

(٤) نسبة إلى أنبج بلد تعرف بصنع الأكسية

أدري كيف كان لا يتهم بالكذب ، وما زعم كذب لا شك فيه ، فهل بقي كلب أصحاب الكهف حتى الإسلام؟! وكذلك : ذكروا أخبارا غرائب في الرقيم ، فمن قائل : إنه قرية ، وروى ذلك عن كعب الأحبار ، ومن قائل : إنه واد بفلسطين ، بقرب أيلة ، وقيل : اسم جبل أصحاب الكهف ، إلى غير ذلك ، مع أن الظاهر أنه كما قال كثير من السلف أنه : الكتاب أو الحجر الذي دون فيه قصتهم وأخبارهم ، أو غير ذلك ، والله أعلم به ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، أي : مرقوم ، وفي الكتاب الكريم ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ؟ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [1] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ [2] .

وفي هذه الأخبار : الحق والباطل ، والصدق والكذب ، وفيها : ما هو محتمل للصدق والكذب ، ولكن فيما عندنا غنية عنه ، ولا فائدة من الاشتغال بمعرفته وبتفسير القرآن به ، كما أسلفت عن ابن تيمية ، من الأولى والأحسن أن نضرب عنه صفحاً ، وقد أدبنا الله بذلك حيث قال لنبيه بعد ذكر اختلاف أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف : ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [3] .

وغالب ذلك ما أشرنا إليه وغيره متلقى عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، وحمله عنهم بعض الصحابة والتابعين لغرابته ، والعجب منه ، قال العلامة ابن كثير في تفسيره : « وفي تسميتهم بهذه الأسماء ، واسم كلبهم نظر في صحته ـ والله أعلم ـ ، فإن غالب ذلك تلقي من أهل الكتاب ، وقد قال تعالى : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ أي : سهلاً هيناً ، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿ ولا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أي : فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولون من تلقاء أنفسهم ، رجماً بالغيب ، أي : من غير استناد إلى كلام معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية فيه ، فهو المقدم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال » [4] .

* * *

(1) المطففين ١٩ ، ٢٠ .

(2) المطففين : ٨ ، ٩ .

(3) الكهف ٢٢ .

(4) تفسير ابن كثير عند قوله تعالى ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ .

(٢٣) الإسرائيليات في قصة ذي القرنين

ومن الإسرائيليات التي طفحت بها بعض كتب التفسير ما يذكرونه في تفاسيرهم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[1] الآيات.

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره بسنده، عن وهب بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأول، أنه كان يقول: ذو القرنين، رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذا القرنين، أن[2] صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبداً صالحاً، قال الله عز وجل له: يا ذا القرنين، إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجن، والإنس، ويأجوج ومأجوج... ثم استرسل في ذكر أوصافه، وما وهبه الله من العلم والحكمة، وأوصاف الأقوام الذين لقيهم، وما قال لهم، وما قالوا له، وفي أثناء ذلك يذكر ما لا يشهد له عقل ولا نقل وقد سود بهذه الأخبار نحو أربعة صحائف من كتابه[3]. وكذلك ذكر روايات أخرى في سبب تسميته بذي القرنين، مما لا يخلو عن خلط وخبط، وقد ذكر ذلك عن غير ابن جرير السيوطي في الدر قال: وأخرج ابن إسحق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والشيرازي في الألقاب، وأبو الشيخ، عن وهب بن منبه اليماني ـ وكان له علم بالأحاديث الأول ـ أنه كان يقول: كان ذو القرنين رجلا من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، (وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذا القرنين، أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس)[4] وأنا لا أشك في أن ذلك مما تلقاه وهب عن كتبهم، وفيه ما فيه من الباطل، والكذب، ثم حملها عنه بعض التابعين، وأخذها عنهم ابن إسحق وغيره من أصحاب كتب التفسير.

---

(١) الكهف، الآية ٨٣ وما بعدها.
(٢) أي لأن.
(٣) جامع البيان ج ١٦ ص ١٤ ـ ١٨.
(٤) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦.

والسير ، والأخبار ، ورحم الله الإمام الحافظ الناقد ابن كثير حيث قال في تفسيره «وقد ذكر ابن جرير هنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلاً ، عجيبًا في سير ذي القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرى له وفيه طول ، وغرابة ، ونكارة ، في أشكالهم ، وصفاتهم وطولهم ، وقصر بعضهم ، وآذانهم ، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة ، لا تصح أسانيدها ، والله أعلم»[1] وحتى لو صح الإسناد إليهم ، فلا شك في أنها من الإسرائيليات ، لأنها لا تخلو من الأمرين ، فهي صحيحة إلى من رويت عنه ، لكنها في نفسها من قصص بني إسرائيل الباطل ، وأخبارهم الكاذبة .

ولو أن هذه الإسرائيليات وقف بها عند قائليها ، أو من حملها عنهم من الصحابة والتابعين ، لكان الأمر محتملا ، ولكن الإثم ، وكل الكذب أن تنسب هذه الأحاديث إلى النبي - ﷺ - ولو أنها - كما سلف - كانت صحيحة في معناها ومبناها لما حل نسبتها إلى رسول الله أبدًا ، فما بالك وهي أكاذيب ملفقة ، وأخبار باطلة ؟!

وقد روى ابن جرير وغيره عند تفسير قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ حديثًا مرفوعًا إلى النبي - ﷺ - قال :

«حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا زيد بن حباب ، عن ابن لهيعة ، قال : حدثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن شيخين من تجيب ، قالا : انطلقنا إلى عقبة بن عامر ، فقلنا له : جئنا لتحدثنا فقال : كنت يومًا أخدم رسول الله - ﷺ - ، فخرجت من عنده ، فلقيني قوم من أهل الكتاب ، فقالوا : نريد أن نسأل رسول الله - ﷺ - فاستأذن لنا عليه ، فدخلت عليه فأخبرته فقال : مالي ، ولهم ، مالي علم إلا ما علمني الله ، ثم قال : اسكب لي ماء فتوضأ ، ثم صلى ، قال : فما فرغ حتى عرفت السرور على وجهه ، ثم قال : أدخلهم علي ، ومن رأيت من أصحابي ، فدخلوا ، فقاموا بين يديه فقال : إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبًا ، وإن شئتم أخبرتكم . قالوا : بلى ، أخبرنا . قال : جئتم تسألوني عن ذي القرنين ، وما تجدونه في كتابكم . كان شابًا من الروم ، فجاء ، فبنى مدينة مصر الإسكندرية ، فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء ،

(1) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٥ ص ٣٢٩

فقال له : ما ترى ؟ فقال : أرى مدينتي ، ومدائن . ثم علا به . فقال : ما ترى ؟ فقال : أرى مدينتي ، ثم علا به ، فقال : ما ترى ؟ قال : أرى الأرض ، قال : هذا اليم محيط بالدنيا ، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل . وتثبت العالم ، فأتى به السدّ ، وهو جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء ، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج ، ثم مضى به إلى أمة أخرى ، وجوههم وجوه الكلاب ، يقاتلون يأجوج ومأجوج ، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم[1] » ، ثم عقب ذلك بسرد المرويات في سبب تسميته بذي القرنين

وذكر السيوطي في « الدر المنثور »[2] مثل ذلك ، وقال : إنه أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والبيهقي في الدلائل .

وكل هذا من الإسرائيليات التي دست على النبي - ﷺ - ولو شئت أن أقسم بين الركن والمقام أن رسول الله - ﷺ - ما قال هذا ، لأقسمت ، وابن لهيعة ضعيف في الحديث

وقد كشف لنا الإمام الحافظ ابن كثير عن حقيقة هذه الرواية في تفسيره . وأنحى باللائمة على من رواها ، فقال : « وقد أورد ابن جرير ههنا ، والأموي في مغازيه ، حديثاً أسنده ، وهو ضعيف ، عن عقبة بن عامر : أن نفراً من اليهود جاءوا يسألون النبي - ﷺ - عن ذي القرنين ، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء ، فكان فيما أخبرهم به . أنه كان شاباً من الروم ، وأنه بنى الإسكندرية ، وأنه علا به ملَكٌ في السماء وذهب به إلى السد ، ورأى أقواماً وجوههم مثل وجوه الكلاب . وفيه طول ونكارة ، ورفعه لا يصح ، وأكثر ما فيه : أنه من أخبار بني إسرائيل

والعجب : أن أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتاب (دلائل النبوة) ، وذلك غريب منه ، فيه من النكارة أنه من الروم ، وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني ، وهو ابن فيلبس المقدوني ، الذي تؤرخ به الروم وكان وزيره

---

(1) جامع البيان لابن جرير ج ١٥ ص ٧ ، ٨
(2) ج ٤ ص ٢٤١

أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور . والله أعلم[1] .

ومن هو ذو القرنين ؟

والذى نقطع به أنه ليس الإسكندر المقدونى ، لأن ما ذكره المؤرخون فى تاريخه لا يتفق وما حكاه القرآن الكريم عن ذى القرنين . والذى نقطع به أيضاً أنه كان رجلا مؤمناً صالحاً ، ملكه شرق الأرض وغربها ، وكان من أمره ما قصه الله تعالى فى كتابه ، وهذا ما ينبغى أن نؤمن به ، ونصدقه ، أما معرفة هويته ، وما اسمه ؟ ، وأين وفى أى زمان كان ؟ فليس فى القرآن ، ولا فى السنة الصحيحة ما يدل عليه ، على أن الاعتبار بقصته ، والانتفاع بها ، لا يتوقف على شىء من ذلك ، وتلك سمة من سمات القصص القرآنى ، وخصيصة من خصائصه أنه لا يعنى بالأشخاص ، والزمان ، والمكان مثل ما يعنى بانتزاع العبرة منها ، والاستفادة منها فيما سيقت له

* * *

(٢٤) الإسرائيليات فى قصة يأجوج ومأجوج

من الإسرائيليات التى اتسمت بالغرابة ، والخروج عن سنة الله فى الفطرة ، وخلق بنى آدم ، ما ذكره بعض المفسرين فى تفاسيرهم عند قوله تعالى ﴿ **قَالُوا : يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً** ﴾[2] .

فقد ذكروا عن يأجوج ومأجوج الشىء الكثير من العجائب والغرائب ، قال السيوطى فى « الدر المنثور »[3] : أخرج ابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وابن عدى ، وابن عساكر ، وابن النجار عن حذيفة قال : سألت رسول الله ﷺ – عن يأجوج ، ومأجوج ، فقال : « **يأجوج ومأجوج أمة ، كل أمة أربعمائة ألف أمة ، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه ، كل حمل السلاح** » قلت : يا رسول الله ، صفهم

(١) تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين ﴾ ج ٥ ص ٣٢٢

(٢) الكهف : ٩٤

(٣) ج ٥ ص ٢٥٠ ، ٢٥١

لنا ، قال : « هم ثلاثة أصناف . صنف منهم أمثال الأرز » قلت : وما الأرز ؟ قال : « شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ . هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ، ولا حديد ، وصنف منهم . يفترش إحدى أذنيه ، ويلتحف بالأخرى . لا يمرون بفيل ، ولا وحش ، ولا جمل ، ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه ، مقدمتهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق ، وبحيرة طبرية » .

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره هذه الرواية وغيرها من الروايات الموقوفة ، وكذلك صنع القرطبي في تفسيره ، وإذا كان بعض الزنادقة استباحوا لأنفسهم نسبة هذا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فكيف استباح هؤلاء الأئمة ذكر هذه الروايات المختلقة المكذوبة على رسول الله في كتبهم ؟!

وهذا الحديث المرفوع نص الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في موضوعاته وغيره على أنه موضوع[1] ، ووافقه السيوطي في اللآلئ فكيف يذكره في تفسيره ولا يعقب عليه ؟!

وحق له أن يكون موضوعاً ، فالمعصوم ـ ﷺ ـ أجل من أن يروى عنه مثل هذه الخرافات ، وفي كتب التفسير من هذا الخبط وأحاديث الخرافة شيء كثير ، ورووا في هذا عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وعن كعب الأحبار ولكي تتأكد أن ما رفع إلى رسول الله إنما هي إسرائيليات نسبت إلى النبي زوراً وكذباً . نذكر لك ما روى عن كعب ، قال : « خلق يأجوج ، ومأجوج . ثلاثة أصناف : صنف كالأرز ، وصنف : أربعة أذرع طول ، وأربعة أذرع عرض ، وصنف يفترشون آذانهم ، ويلتحفون بالأخرى ، يأكلون مشائم[2] نسائهم » .

وعلى حين تراهم يذكرون من هول وعظم خلقهم ما سمعت ، إذ هم يروون عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : « إن يأجوج ومأجوج شبر ، وشبران ، وأطولهم ثلاثة أشبار ؛ وهم من ولد آدم » ، بل رووا عنه أنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « بعثني الله ليلة أسري بي إلى يأجوج ، ومأجوج ، فدعوتهم إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يجيبوني ، فهم في النار ، مع من عصى من ولد آدم وإبليس » والعجب أن السيوطي قال عن هذا

---

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج ١ ص ٩٠

(٢) جمع مشيمة ، وهي ما ينزل مع الجنين حين يولد وبها يتغذى في بطن أمه

الحديث ، إن سنده واه ، ولا أدري لم ذكره مع وهاء سنده؟! قاله صاحب المنار .

وأخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني والبيهقي في البعث ، وابن مردويه ، وابن عساكر عن ابن عمرو ، عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم ، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً ، وإن من ورائهم ثلاث أمم : تاويل ، وتاريس ، ومنسك » .

قال : وأخرج أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في البعث ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا ، فستحفرونه غداً ، ولا يستثني ، فإذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان ، فإذا أراد الله خروجهم على الناس قال الذي عليهم : ارجعوا ، فستحفرونه إن شاء الله ويستثني[1] ، فيعودون إليه ، وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ، ويخرجون على الناس ، فيستقون المياه ، ويتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء ، فيقولون : قهرنا من في الأرض ، وعلونا من في السماء ، قسوا ، وعلوا ، فيبعث الله عليهم نغفاً[2] في أعناقهم فيهلكون » ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن ، وتبطر ، وتشكر شكراً[3] من لحومهم »[4] .

ومهما كان سند مثل هذا فهو من الإسرائيليات عن كعب وأمثاله ، وقد يكون رفعه إلى النبي غلطاً وخطأ من بعض الرواة ، أو كيداً يكيد به الزنادقة المندسون للإسلام ، وإظهار رسوله بمظهر من يروي ما يخالف القرآن ، فالقرآن قد نص نصاً لا يحتمل الشك على أنهم لم يستطيعوا أن يعلوا السد ، ولا أن ينقبوه ، قال تعالى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[5]

---

(1) يعني يقول : « إن شاء الله » لأنها في معنى الاستثناء ، يعني : إلا أن يشاء الله بعض
(2) النغف ـ محركة ـ دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحده : نغفة
(3) أي تسمن عنه
(4) الدر المنثور ج 4 ص ٢٥١
(5) الكهف : ٩٧

وإليك ما ذكره في هذا الإمام الحافظ ، الناقد ، البصير ، ابن كثير في تفسيره ، قال بعد أن ذكر من رواه ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة ، عن قتادة ، ثم قال غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ، وإسناده جيد قوي ، ولكن متنه في رفعه نكارة ، لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ، ولا من نقبه ، لإحكام بنائه وصلابته وشدته ، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار ، أنهم قبل خروجهم يأتونه ، فيلحسونه ، حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون : غداً نفتحه ، فيأتون من الغد وقد عاد كما كان ، فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل ، فيقولون كذلك ، فيصبحون وهو كما كان ، فيلحسونه ، ويقولون : غداً نفتحه ، ويلهمون أن يقولوا : إن شاء الله ، فيصبحون وهو كما فارقوه ، فيفتحونه ، وهذا متجه ، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب ، فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه ، ويحدثه ، فحدث به أبو هريرة ، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع ، فرفعه ، والله أعلم [1] .

ومن الإسرائيليات المستنكرة في هذا ما روي : أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم ، فاختلط بالتراب ، وزعموا : أن آدم كان نائماً فاحتلم ، فمن ثم اختلط منيه بالتراب ، ومعروف أن الأنبياء لا يحتلمون ، لأن الاحتلام من الشيطان .

قال ابن كثير : وهذا قول غريب جداً ، لا دليل عليه ، لا من عقل ولا من نقل ، ولا يجوز الاعتماد هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب ، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم [2] .

والخلاصـــة :

إن أصحاب الكهف ، وذا القرنين ، ويأجوج ومأجوج ، حقائق ثابتة لا شك ، وكيف لا ؟ وقد أخبر بها الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولكن الذي ننكره أشد الإنكار هذه الخرافات والأساطير التي حيكت حولهم ، ودسست إلى المرويات الإسلامية ، والله ورسوله براء منها ، وإنما هي من أخبار بني إسرائيل وأكاذيبهم ، وتحريفاتهم .

---

(1) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٥ ص ٣٢٣ .
(2) المصدر السابق .

(٢٥) الإسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبأ

ومن الإسرائيليات: ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى. ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً، وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: الآية ٤٤)

فقد ذكر ابن جرير، والثعلبي، والبغوي، والخازن، وغيرهم: «أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة. فلما رأته حسبته لجة، وكشفت عن ساقيها لتخوضه، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً، إلا أنها كانت شعراء الساقين، فكره ذلك، فسأل الإنس ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى. فقالت بلقيس لم تمسني حديدة[1] قط، وكره سليمان ذلك، خشية أن تقطع ساقيها، فسأل الجن: فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين؟ فقالوا: إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة[2] والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ»[3].

وقد روى هذا عن ابن عباس — رضي الله عنهما — ومجاهد، وعكرمة، ومحمد بن كعب القرظي، والسدي، وابن جريج وغيرهم.

وروى أيضاً: أنها سألت سيدنا سليمان عن أمرين قالت له: أريد ماء ليس من أرض ولا من سماء!! فسأل سليمان الإنس، ثم الجن، ثم الشياطين، فقالت الشياطين: هذا هين، أجر الخيل، ثم خذ عرقها، ثم املأ منه الآنية، فأمر بالخيل فأجريت، ثم أخذ العرق فملأ منه الآنية!!

وسألته عن لون الله — عز وجل — فوثب سليمان عن سريره، وفزع من السؤال، وقال: لقد سألتني — يارب — عن أمر، إنه ليتعاظم في قلبي أن أذكره لك، ولكن الله

(١) المراد: الموسى التي تزيل الشعر

(٢) مادة يزال بها الشعر

(٣) كذب ظاهر، كأن النورة والحمام لم يكونا إلا لها، وكأن سليمان — عليه السلام — لم يكن له هم إلا إزالة شعر ساقيها، وهو تجن صارخ على الأنبياء، وإظهارهم بمظهر المهالك على لذاته وشهواته، قبح الله اليهود

ساد . وشاهدهم ما سألهم عنه

وأن الشياطين خافوا أن يتزوجها سليمان ، وتجيء بولد ، أن يبقوا في عبوديته ، فصنعوا له هذا الصرح الممرد(١) ، فظنته ماء ، فكشفت عن ساقيها لتعبره ، فإذا هي شعراء ، فاستشارهم سليمان فيما يذهبه ، فعملت له الشياطين النورة(٢) .

ثم أعلن ابن كثير في تفسيره ، بعد أن ذكر بعض المرويات : والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب ، مما وجد في صحفهم ، كروايات كعب ، ووهب ، سامحهما الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد(٣) ، والغرائب والعجائب مما كان ، ومما لم يكن ، ومما حرف ، وبدل ، ونسخ . وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه ، وأنفع ، وأوضح ، وأبلغ ، ولله الحمد والمنة

التفسير الصحيح لبناء الصرح :

والحق أن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد ببنائه الصرح أن يريها عظمة ملكه ، وسلطانه ، وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعطاه من الملك ، ومن أسباب العمران والحضارة ما لم تعطه ، فضلا عن النبوة التي هي فوق الملك ، والتي دونها كل نعمة ، وحاشا سليمان ـ عليه السلام ـ وهو الذي سأل الله أن يعطيه حكماً يوافق حكمه ـ أي الله ، وتوفيقه ـ أن يتحايل هذا التحايل ، حتى ينظر إلى ما حرم الله عليه ، وهما ساقاها ، وهو أجل من ذلك وأسمى

ولما رأت ما رأت من سليمان وما كان عليه من الدين المتين والخلق الرفيع ، ما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق ، وقد حجبت عن ذلك ما عرفت عليه من عبادة الكواكب والشمس ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين

* * *

(١) الصرح : هو القصر المشيد المحكم البناء ، المرتفع في السماء ، والممرد : الناعم الأملس ، المتوازي ... زجاج الشفاف عنده .

(٢) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٦ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٩ .

(٣) جمع آبدة وهي الأمور المشكلة المعقدة المعاني ، وأصل الآبدة : الواحدة من الوحوش التي يستعصي صيدها ، ثم شبه بها الكلام المشكل العويص المعنى

(٢٦) الإسرائيليات في هدية ملكة سبأ لسيدنا سليمان

ومن الإسرائيليات: ما ذكره كثير من المفسرين كابن جرير، والثعلبي، والبغوي، وصاحب «الدر»، في هديته التي أرسلتها بلقيس إلى سيدنا سليمان - عليه الصلاة والسلام -، وإليك ما ذكره البغوي في تفسيره، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: الآية ٣٥).

قال البغوي:

فأهدت إليه وُصفاء ووصائف، قال ابن عباس: ألبستهم لباسا واحداً كي لا يعرف الذكر من الأنثى، وقال مجاهد: ألبس الغلمان لباس الجواري، وألبس الجوري لبسة الغلمان، واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس: مائة وصيف، ومائة وصيفة[1]، وقال مجاهد ومقاتل: مائتا غلام، ومائتا جارية، وقال قتادة وسعيد بن جبير وغيرهما: أرسلت إليه بلبنة من ذهب في حرير، وديباج.

وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام، وخمسمائة جارية، فألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقا من ذهب، وفي آذانهم أقراطا، وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر، وألبست الجواري لباس الغلمان، الأقبية والمناطق، وحملت الجواري على خمسمائة رمكة[2]، والغلمان على خمسمائة برذون[3] على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجوهر، وغواشيها من الديباج الملون، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة، وتاجا مكللاً بالدر، والياقوت، وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود وعمدت إلى حقة، فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة مثقوبة معوجة الثقب، وأرسلت مع الهدية رجالا من عقلاء قومها، وكتبت معهم كتابا إلى سليمان بالهدية، وقالت: إن كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء، وأخبرني بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدر ثقبا مستويا، وأدخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جن، ورووا أيضا: أن سليمان - عليه

---

(١) أي: خادم، وخادمة.

(٢) أنثى البغال.

(٣) البغل.

السلام ـ أمر الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة، ثم أمرهم أن يفرشوا الطريق من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانًا واحدًا بلبنات الذهب والفضة!!! وأن يجعلوا في الميدان أعجب دواب البر والبحر، ففعلوها. ثم قعد على سريره، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفًا فراسخ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ، وأمر الوحوش، والسباع والهوام، والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه، وعن يساره، فلما دنا القوم من الميدان، ونظروا إلى ملك سليمان، ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة، تقاصرت أنفسهم، ورموا بما معهم من الهدايا، ثم كان أن استعان سليمان بجبريل، والشياطين، والأرضة في الإجابة عما سألته عنه[1]

ومعظم ذلك مما لا نشك أنه من الإسرائيليات المكذوبة[2]، وأي ملك في الدنيا يسع أن تفرش تسعة فراسخ بلبنات الذهب والفضة؟!! وفي رواية وهب ما يدل على الأصل الذي حدثت منه هذه المرويات، وأن من روى ذلك من السلف فإنما أخذه عن مسلمة أهل الكتاب، وما كان أجدر كتب التفسير أن تتنزه عن مثل هذا اللغو، والخرافات التي تسربت إلى الرواية الإسلامية فأساءت إليها.

* * *

(٢٧) الإسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحاق

ومن الإسرائيليات: ما يذكره كثير من المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ[3]. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي

(١) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٧٨ ـ ٢٨

(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٨٩ ط المنار.

(٣) أضجعه على جبينه على الأرض، وللإنسان جبينان والجبهة بينهما.

الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [1]

فقد روى كثير من المفسرين ، منهم ابن جرير [2] ، والبغوي [3] ، و « صاحب المنار » [4] في هذا : روايات كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين وكعب الأحبار أن الذبيح هو : إسحاق .

ولم يقف الأمر عند الموقوف على الصحابة والتابعين ، بل رفعوا ذلك زورا إلى النبي - ﷺ - .

روى ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن زيد بن حباب ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبي - ﷺ - قال : « **الذبيح إسحاق** » .

وهو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به ؛ فالحسن بن دينار متروك ، وشيخه علي بن زيد بن جدعان منكر الحديث [5] .

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **إن داود سأل ربه مسألة ، فقال : اجعلني مثل إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، فأوحى الله إليه : إني ابتليت إبراهيم بالنار فصبر ، وابتليت إسحاق بالذبح فصبر ، وابتليت يعقوب فصبر** » .

وكما أخرجه الدارقطني ، والديلمي - في مسند الفردوس - بسندهما عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **الذبيح إسحاق** » .

وهي أحاديث لا تصح ولا تثبت ، وأحاديث الديلمي في مسند الفردوس شأنـ

---

(1) الصافات : من 99 - 113
(2) تفسير ابن جرير عند تفسير هذه الآيات
(3) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ج 7 ص 147
(4) تفسير المنار ج 5 ص ص 279 - 284
(5) تفسير ابن كثير والبغوي ج 7 ص 154

معروف ، والدارقطني ربما يخرج في سننه ما هو موضوع[1]

وأخرج الطبراني في الأوسط ، وابن أبي حاتم في تفسيره من طريق الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ـ تعالى ـ خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي أو شفاعتي ، فاخترت شفاعتي ، ورجوت أن تكون أعم لأمتي ، ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لعجلت دعوتي ، إن الله ـ تعالى ـ لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له يا إسحاق ، سل تعطه قال : أما والله لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان : اللهم من مات لا يشرك بالله شيئاً قد أحسن فاغفر له » .

وعبد الرحمن بن زيد ، بن أسلم ، ضعيف ، ويروي المنكرات ، والغرائب فلا يحتج بمروياته ، وقال ابن كثير : الحديث غريب منكر ، وأخشى أن يكون فيه زيادة مدرجة ، وهو قوله : « إن الله لما فرج ... » وإن كان محفوظاً ، فالأشبه أنه إسماعيل ، وحرفوه بإسحاق ، إلى غير ذلك من الأخبار ، وفيها من الموقوف والضعيف ، والموضوع كثير ، ومتى صح حديث مرفوع في أن الذبيح إسحاق قبلناه ، ووضعناه على العين والرأس ، ولكنها كما رأيت لم يصح منها شيء[2] .

والحق : أن المرويات في أن الذبيح إسحاق هي من إسرائيليات أهل الكتاب ، وقد نقلها من أسلم منهم ، ككعب الأحبار ، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين تحسيناً للظن بهم ، فذهبوا إليه ، وجاء بعدهم العلماء فاغتروا بها ، وذهبوا إلى أن الذبيح : إسحاق[3] ، وما من كتاب من كتب التفسير ، والسير ، والتواريخ إلا ويذكر فيه الخلاف بين السلف في هذا ، إلا أن منهم من يعقب ببيان وجه الحق في هذا ، ومنهم من لا يعقب اقتناعاً بها ، أو تسليماً لها .

وحقيقة هذه المرويات : أنها من وضع أهل الكتاب ، لعداوتهم المتأصلة من قديم الزمان للنبي الأمي العربي ، ولقومه العرب ، فقد أرادوا أن لا يكون لإسماعيل الجد الأعلى للنبي وللعرب فضل أنه الذبيح حتى لا ينجر ذلك إلى النبي ـ ﷺ ـ ، وإلى الجنس العربي .

---

(1) انظر أعلام المحدثين للمؤلف .
(2) تفسير الآلوسي ج ٢٣ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ط منير
(3) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٧ ص ١٥٤

تحريفهم للتوراة

ولأجل أن يكون هذا القصص لجدهم إسحاق – عليه السلام – لا لأخيه إسماعيل حرفوا التوراة في هذا ، ولكن الله أبى إلا أن يغفلوا عما يدل على هذه الجريمة النكراء ، والخائن – غالباً – يترك من الآثار ما يدل على جريمته ، والحق يبقى له شعاع ، ولو خافت ، يدل عليه ، مهما حاول المبطلون إخفاء نوره ، وطمس معالمه . فقد حذفوا من التوراة لفظ : « إسماعيل » ، ووضعوا بدله لفظ : « إسحاق » ولكنهم غفلوا عن كلمة كشفت عن هذا التزوير ، وذلك الدس المشين .

نص التوراة :

ففي التوراة . (الإصحاح الثاني والعشرون ــ فقرة ٢) : « فقال الرب . خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق ، واذهب إلى أرض المريا ، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك .. » .

وليس أدل على كذب هذا ، من كلمة « وحيدك » وإسحاق ــ عليه السلام ــ لم يكن وحيدا قط ، لأنه ولد ولإسماعيل نحو أربع عشرة سنة كما هو صريح توراتهم في هذا ، وقد بقي إسماعيل ــ عليه السلام ــ حتى مات أبوه الخليل ، وحضر وفاته ، ودفنه ، وإليك ما ورد في هذا[1] :

ففي سفر التكوين : (الإصحاح السادس عشر الفقرة ١٦) ما نصه :

« وكان أبرام ــ يعني إبراهيم ــ ابن ست وثمانين سنة ، لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام » ، وفي سفر التكوين (الإصحاح الحادي والعشرون فقرة « ٥ ») ما نصه .

« وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه .. » .

وفي الفقرة ٩ وما بعدها ما نصه :

(٩) ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح (١٠) فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق (١١) فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم لسبب ابنه (١٢) فقال الله لإبراهيم . لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك ، في كل ما تقول سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل (١٣) وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ، لأنه نسلك »[2] إلى آخر القصة

فما قولكم يا أيها اليهود المحرفون ؟ ، وكيف يتأتى أن يكون إسحاق وحيدا ؟ ! مع هذه النصوص التي هي من توراتكم التي تعتقدون صحتها ، وتزعمون أنها ليست

---

(١) وقد ذكرت القصة في التوراة في ١٤ فقرة فيرجع إليها من شاء التكوين في الصحاح عينهم من نص كتابهم المقدس

(٢) ومصدق هذا كتاب الله الشاهد على الكتب السماوية كلها قوله سبحانه حكاية عن خليله إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ــ بعد أن بنيا البيت ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ ولو أن اليهود وعوا ما جاء في التوراة والقرآن لعلموا أنه ستكون أمة ما شأنها من نسل إسماعيل ، ولما حسدوا العرب على هذا الفضل .

محرفة !! ، ثم ما رأيكم أنها تعترف بروايات أن الذبيح إسحاق ، بعد ما تأكد تم تحريف التوراة في هذا ؟

وقد دل القرآن الكريم ، ودلت التوراة ، ورواية البخاري في صحيحه[1] على أن الخليل إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أسكن هاجر وابنها عند مكان البيت المحرم ، حيث بني فيما بعد ، وقامت مكة حوله ، وقد عبرت التوراة : بأنهما كانا في برية فاران ، وفاران هي مكة ، كما يعبر عنها في العهد القديم ، وهذا هو الحق في أن قصة الذبيح كان مسرحها بمكة ومنى ، وفيها يذبح الحجاج ذبائحهم بمنى ، وقد حرف اليهود النص الأول وجعلوه : « جبال المريا » ، وهو الذي تقع عليه مدينة أورشليم القديمة (مدينة القدس العربية اليوم) ليتم لهم ما أرادوا ، وأبى الحق إلا أن يظهر تحريفهم !!

وقد ذكر العلامة ابن تيمية وتلميذه ابن كثير أن في بعض نسخ التوراة « بكرك »[2] بدل « وحيدك » وهو أظهر في البطلان ، وأدل على التحريف ، إذ لم يكن إسحاق بكرا للخليل بنص التوراة ، كما ذكرنا آنفاً .

الذبيح هو إسماعيل عليه السلام :

والحق أن الذبيح هو إسماعيل – عليه السلام – ، وهو الذي يدل عليه ظواهر الآيات القرآنية والآثار عن الصحابة والتابعين ، ومنها ما له حكم الرفع بتقرير النبي – ﷺ – له .

فلا عجب أن ذهب إليه جمهور الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم وأئمة العلم والحديث ، منهم الصحابة الجلة ، والسادة العلماء : علي ، وابن عمر[3] وأبو هريرة ، وأبو الطفيل ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والشعبي ، والحسن البصري ، ومحمد بن كعب القرظي ، وسعيد بن المسيب ، وأبو جعفر محمد الباقر ، وأبو صالح ، والربيع

---

(1) صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – باب « واتخذ الله إبراهيم خليلا » .

(2) أي مولود يولد لشخص .

(3) وذكروا في المروي عن عمر كان يقول : إنه إسحاق ، ولكن السند ضعيف جداً ، وهو أشبه من أن تصح برواية كعب وهو صح ما نقل عنه [illegible] ، وكذب المصنف في حق الطبري من أنه يقول إسحاق [illegible] عن أنه يعقوب (إسماعيل) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٥٥ .

ابن أنس ، وأبو عمرو بن العلاء وأحمد بن حنبل وغيرهم ، وهو إحدى الروايتين وأقواهما عن ابن عباس .

وفي زاد المعاد ، لابن القيم : أنه الصواب عند علماء الصحابة والتابعين فمن بعدهم

وهذا الرأي هو المشهور عند العرب قبل البعثة . نقلوه بالتواتر جيلا عن جيل ، وذكره أمية بن أبي الصلت في شعر له

العلماء المحققون على أنه إسماعيل :

وقد نقل العلامة ابن القيم ، عن شيخه الإمام ابن تيمية في هذا الموضوع كلاما جيدا . قال ما خلاصته :

ولا خلاف بين النسابين ، أن عدنان من ولد إسماعيل – عليه السلام – وإسماعيل هو القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وأما القول بأنه إسحاق فباطل من عشرين وجها وسمعت شيخ الإسلام – ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول هذا القول متلقى عن أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم . فإن فيه : « إن الله أمر إبراهيم بذبح ابنه بكره » . وفي لفظ « وحيده » ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده ، والذي غر هؤلاء : أنه في التوراة التي بأيديهم « اذبح ابنك إسحق » قال : وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم ، لأنها تناقض قوله « اذبح بكرك ووحيدك » ، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف ، وأحبوا أن يكون لهم . وأن يسوقوه إليهم ، ويختاروه لأنفسهم دون العرب . ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله

وكيف يسوغ أن يقال : إن الذبيح إسحاق ؟ ، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به ، وبابنه يعقوب ، قال تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[1]

فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد ، ويولد ولد ، ثم يأمر بذبحه . ولا ريب أن يعقوب – عليه السلام – داخل في البشارة ، ويدل عليه أيضا : أن الله ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات ثم قال : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وهذا

---

(١) هود ٧١

ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول، بل هو كالنص فيه. وغير معقول في فصيح الكلام أن يبشر بإسحاق بعد قصة يكون فيها هو الذبيح، فتعين أن يكون الذبيح غيره.

وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة. ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله. ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه.

ولو كان الذبح بالشام — كما يزعم أهل الكتاب — لكانت القرابين والنحر بالشام، لا بمكة. وأيضاً فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليماً، لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه. ولما ذكر إسحاق سماه عليماً. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (١) وهذا إسحاق بلا ريب؛ لأنه من امرأته وهي المبشرة به، وأما إسماعيل فمن السرية (٢). وأيضاً فلأنهما بشرا به على الكبر واليأس من الولد، فكان ابتلاؤهما بذبحه أمراً بعيداً. وأما إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك [illegible] (٣).

دلالة الآثار على أن الذبيح إسماعيل

وكذلك دلت بعض الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين على أن الذبيح إسماعيل. روى الحاكم في المستدرك، وابن جرير في تفسيره بسنده، وغيرهما، عن عبد الله بن سعيد الصنابحي، قال: حضرنا مجلس معاوية، فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق أيهما الذبيح؟ فقال بعضهم: إسماعيل، وقال البعض: إسحاق. فقال معاوية: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي فقال: يا رسول الله خلفت الكلأ يابساً، والماء عابساً (٤)، هلك المال، وضاع العيال، فعد علي مما أفاء الله تعالى عليك يا ابن الذبيحين. فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه. فقال القوم: من الذبيحان يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه، فلما فرغ أسهم بينهم، فكانوا عشرة، فخرج السهم

---

(١) الذاريات: ٢٨

(٢) [illegible]

(٣) زاد المعاد ج ١ ص ٢٨ — ٣٠

(٤) [illegible] جاف، أي [illegible] من شدة الحر، و[illegible]

على عبد الله ، فأراد أن ينحره ، فمنعه أخواله بنو مخزوم ، وقالوا : أرض ربك ، وافد ابنك ، ففداه بمائة ناقة ، قال معاوية : فهذا واحد ، والآخر إسماعيل (١)

وشهد شاهد من أهلها .

وروى ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي : أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، فقال له عمر : إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت ، ثم أرسل إلى رجل كان يهودياً ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان من علمائهم ، فسأله : أي ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله ـ يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب . وهذا هو الحق الذي يجب أن يصار إليه . قال ابن كثير في تفسيره : « والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت ، وأصح ، وأقوى والله أعلم » (٢)

وبعد هذا التحقيق والبحث ، تبين لنا أن الصحيح أن الذبيح إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأن ما روي ، من أنه إسحاق ، المرفوع منه إما موضوع ، وإما ضعيف لا يصح الاحتجاج به ، والموقوف منه على الصحابة أو على التابعين إن صح سنده إليهم هو من الإسرائيليات التي رواها أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأنها في أصلها من دس اليهود ، وكذبهم ، وتحريفهم للنصوص حسداً للعرب ولنبي العرب قاتلهم الله أنى يؤفكون

وقد جاز هذا الدس اليهودي على بعض كبار العلماء كابن جرير ، والقاضي عياض ، والسهيلي ، فذهبوا إلى أنه إسحاق ، وتحير بعضهم في الروايات فتوقف ، كالسيوطي ، وحاول بعضهم الجمع بينها فزعم أن الذبح وقع مرتين ، والحق ما وضحناه لك ، فلا تغتر ، ولا تتوقف ولا تقل بالتكرار . والله الهادي إلى الحق

* * *

(٢٨) الإسرائيليات في قصة إلياس ـ عليه السلام ـ

ومن الإسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير ما ذكروه في قصة إلياس

(١) هذا الحديث في حكم المرفوع ، لإقرار النبي ﷺ للأعرابي على مقالته ، وقد اختلف فيه من مصحح له ومن مضعف

(٢) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٧ ص ١٠٦

ـ عليه السلام ـ فقال سبحانه تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

هذا، وقد روى الثعلبي، والخازن، وصاحب الدر، وغيرهم، عن ابن عباس، والحسن، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، مرويات تتعلق بإلياس ـ عليه السلام ـ.

قال صاحب الدر المنثور: أخرج ابن عساكر عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ في قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، قال: إن الله تعالى بعث إلياس إلى بعلبك، وكانوا قوما يعبدون الأصنام، وكانت ملوك بني إسرائيل متفرقة على العامة، كل ملك على ناحية يأكلها، وكان الملك الذي كان إلياس معه يقوم له أمره، ويقتدي برأيه، وهو على هدى من بين أصحابه، حتى وقع إليهم قوم من عبدة الأصنام فقالوا له: ما يدعوك إلا إلى الضلالة والباطل، وجعلوا يقولون له: اعبد هذه الأوثان التي تعبد الملوك، وهم على ما نحن عليه، يأكلون، ويشربون، وهم في ملكهم يتقلبون، وما تنقص دنياهم من ربهم الذي تزعم أنه باطل، وما لنا عليهم من فضل. فاسترجع إلياس، فقام شعر رأسه، وجلده، فخرج عليه إلياس.

قال الحسن: وإن الذي زين لذلك الملك امرأته، وكانت قبله تحت ملك جبار، وكان من الكنعانيين في طول، وجسم، وحسن، فمات زوجها فاتخذت تمثالا على صورة بعلها من الذهب، وجعلت له حدقتين من ياقوتتين، وتوجته بتاج مكلل بالدر والجوهر، ثم أقعدته على سرير، تدخل عليه، فتدخنه، وتطيبه، وتسجد له، ثم تخرج عنه. فتزوجت بعد ذلك هذا الملك الذي كان إلياس معه، وكانت فاجرة قد قهرت زوجها ووضعت البعل في ذلك البيت، وجعلت سبعين سادنا[2]، فعبدوا البعل، فدعاهم إلياس إلى الله فلم يزدهم ذلك إلا بعدا. فقال إلياس: اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر بك، وعبادة غيرك، فغير ما بهم من نعمتك، فأوحى الله إليه: إني قد جعلت

(١) الصافات ١٢٣ ـ ١٣٢.

(٢) هو خادم بيت عبادة الأصنام.

وراقهم بيدا . فقال : اللهم أمسك عنهم القطر ثلاث سنين ، فأمسك الله عنهم القطر ، وأرسل إلى الملك ملكه ليقتله . فقال : قل له : إن إلياس يقول لك : إنك اخترت عبادة البعل على عبادة الله ، واتبعت هوى امرأتك ، فاستعد للعذاب والبلاء . فانطلق الرسول ، فبلغ رسالته ، فعصمه الله تعالى من شر الملك ، وأمسك الله عنهم القطر ، حتى هلكت الماشية والدواب ، وجهد الناس جهداً شديداً وخرج إلياس إلى ذروة جبل ، فكان الله يأتيه برزق ، وفجر له عيناً معيناً لشرابه وطهوره ، حتى أصاب الناس الجهد ، فأرسل الملك إلى السبعين فقال لهم : سلوا بعل أن يفرج ما بنا . فأخرجوا أصنامهم ، فقربوا لها الذبائح ، وعطفوا عليها ، وجعلوا يدعون ، حتى طال ذلك بهم . فقال لهم الملك : إن إله إلياس كان أسرع إجابة من هؤلاء ، فبعثوا في طلب إلياس ، فأتى ، فقال : أتحبون أن يفرج عنكم ؟ ، قالوا : نعم . قال : فأخرجوا أوثانكم . فدعا إلياس ـ عليه السلام ـ ربه ، أن يفرج عنهم ، فارتفعت سحابة مثل الترس[1] ، وهم ينظرون ، ثم أرسل الله عليهم المطر ، فتابوا ورجعوا .

قال : وأخرج ابن عساكر ، عن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال : « أربعة أنبياء اليوم أحياء ، اثنان في الدنيا : إلياس والخضر ، واثنان في السماء : عيسى وإدريس »

قال : وأخرج ابن عساكر ، عن وهب ـ رضي الله عنه ـ قال : دعا إلياس ـ عليه السلام ـ ربه ، أن يريحه من قومه ، فقيل له : انظر يوم كذا وكذا ، فإذا رأيت دابة لونها مثل لون النار فاركبها ، فجعل يتوقع ذلك اليوم ، فإذا هو بشيء قد أقبل على صورة فرس ، لونه كلون النار ، حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه ، فانطلق به ، فكان آخر العهد به ، فكساه الله الريش ، وكساه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فصار في الملائكة ـ عليهم السلام ـ

قال : وأخرج ابن عساكر ، عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ قال : إلياس ـ عليه السلام ـ موكل بالفيافي ، والخضر ـ عليه السلام ـ بالجبال ، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى[2] ، وأنهما يجتمعان كل عام بالموسم .

---

(١) ما يلبسه المحارب

(٢) يعني النفخة الأولى في الصور

قال : وأخرج الحاكم ، عن كعب ـ رضي الله عنه ـ ، قال . كان إلياس صاحب جبال وبرية يخلو فيها يعبد ربه ـ عز وجل ـ ، وكان ضخم الرأس ، خميص البطن ، دقيق الساقين ، في صدره شامة حمراء ، وإنما رفعه الله إلى أرض الشام ، لم يصعد به إلى السماء ، وهو الذي سماه الله ذا النون[1] .

وكل هذا من أخبار بني إسرائيل وتزيداتهم ، واختلاقاتهم ، وما روي منها عن بعض الصحابة والتابعين . فرجعه إلى مسلمة أهل الكتاب ككعب ، ووهب وغيرهما ، وقد رأيت كيف تعارض وتناقض كعب ووهب ، فكعب يقول : لم يصعد به إلى السماء ، ويزعم أنه ذو النون ، ووهب يقول : إنه رفعه إلى السماء ، وصار في عداد الملائكة ـ عليهم السلام ـ وأن بعض الروايات تقول : إنه الخضر ، والبعض الآخر يقول . إنه غير الخضر ، إلى غير ذلك من الاضطرابات والأباطيل ، كزعم مختلق الروايات الأولى : « أن الله أوحى إلى إلياس إني قد جعلت أرزاقهم بيدك » ، بينما في بعض الروايات الأخرى : أن الله أبى عليه ذلك مرتين ، وأجابه في الثالثة ، وهكذا الباطل يكون مضطربا لجلجا ، وأما الحق : فهو ثابت أبلج

ولم يقف الأمر عند نقل هذه الإسرائيليات عمن ذكرنا ، بل بلغ الافتراء ببعض الزنادقة والكذابين إلى نسبة ذلك إلى النبي ـ ﷺ ـ كي يؤيد به أكاذيب بني إسرائيل وخرافاتهم ، وكي يعود ذلك بالطعن على صاحب الرسالة العامة الخالدة ـ ﷺ ـ .

قال السيوطي في « الدر » : وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « الخضر هو : إلياس »

وأخرج الحاكم ـ وصححه ـ والبيهقي في الدلائل ـ ، وضعفه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : « كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في سفر فنزلنا منزلا . فإذا رجل في الوادي يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة ، المغفورة ، المثاب لها ، فأشرفت على الوادي ، فإذا رجل طوله ثلاثمائة ذراع وأكثر ، فقال : من أنت ؟ قلت : أنس خادم رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقال : أين هو ؟ قلت : هو ذا يسمع كلامك ، قال . فأته .

---

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٨٠ ، ٢٨

وأقرئه مني السلام، وقل له: أخوك إلياس يقرئك السلام. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فجاء حتى عانقه، وقعدا يتحدثان، فقال له: يا رسول الله، إني إنما آكل في كل سنة يوما، وهذا يوم فطري، فكل أنت وأنا، فنزلت عليهما مائدة من السماء، وخبز، وحوت، وكرفس، فأكلا، وأطعماني، وصليا العصر، ثم ودعني، وودعته، ثم رأيته مر على السحاب نحو السماء.

قال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال الإمام الذهبي: بل هو موضوع، قبح الله من وضعه، قال: وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم أن يصحح مثل هذا.

والحق بهذا أن يكون موضوعا، كما قال الإمام الحافظ الناقد البصير الذهبي.

* * *

(٢٩) الإسرائيليات في قصة داود ـ عليه السلام ـ

ومن الإسرائيليات التي تخل بمقام الأنبياء، وتنافي عصمتهم، ما ذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا داود ـ عليه السلام ـ عند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۞ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا[1] وَعَزَّنِي[2] فِي الْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۞ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[3]

فقد ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبغوي، والسيوطي في «الدر المنثور»[4]

---

(١) أكفلنيها: ضمها لي.

(٢) عزني: غلبني في القول بقوته، وحجته، وتصميمه.

(٣) ص الآية ٢١ ـ ٢٥.

(٤) ج ٥ ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢.

من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان، ولا يوافق عقلا، ولا نقلا، عن ابن عباس، ومجاهد، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، والسدي، وغيرهم ما محصلها: أن داود - عليه السلام - حدث نفسه: إن ابتلي أن يعتصم فقيل له: إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذي تبتلى فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلى فيه فأخذ الزبور[1]، ودخل المحراب، وأغلق بابه، وأقعد خادمه على الباب، وقال: لا تأذن لأحد اليوم، فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فطار فوقع على كوة المحراب، فدنا منه ليأخذه، فطار، فأشرف عليه ينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله نفضت شعرها، فغطت جسدها به، وكان زوجها غازياً في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: أن اجعله في حملة التابوت[2]، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت، فقتل، وفي بعض هذه الروايات الباطلة: أنه فعل ذلك ثلاث مرات، حتى قتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها، خطبها داود - عليه السلام -، فتسور عليه الملكان، وكان ما كان، مما حكاه الله تعالى. ورفع ذلك إلى النبي».

ولم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة على بعض الصحابة والتابعين، ومسلمة أهل الكتاب بل جاء بعضها مرفوعاً إلى النبي - ﷺ -.

قال صاحب «الدر»: وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند ضعيف، عن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: **«إن داود - عليه السلام - حين نظر إلى المرأة، قطع[3] على بني إسرائيل، وأوصى صاحب الجيش، فقال: إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت»**، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم منه الجيش، فقتل، وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داود - عليه السلام - فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه،

(1) كتاب داود - عليه السلام -.
(2) صندوق فيه بعض مخلفات أنبياء بني إسرائيل، فكانوا يقدمونه بين يدي الجيش كي ينصروا
(3) هي هكذا في «الدر المنثور» وفي تفسير البغوي ولعلها قطع

فأكلت الأرض جبينه، وهو يقول في سجوده: رب! زلّ داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب، رب إن لم ترحم ضعف داود، وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثاً في المخلوق من بعده. فجاءه جبريل — عليه السلام — من بعد أربعين ليلة، فقال: يا داود إن الله قد غفر لك، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا رب دمي الذي عند داود؟ قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، فإن شئت لأفعلن، فقال: نعم، فعرج جبريل، وسجد داود — عليه السلام — فمكث ما شاء الله، ثم نزل، فقال: قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هب لي دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يارب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت، وما اشتهيت عوضاً. وقد رواه البغوي بعضاً عن طريق الثعلبي(1) والرواية منكرة مختلقة على الرسول، وفي سند هذه الرواية المختلقة على رسول الله ﷺ: ابن لهيعة، وهو مضعف في الحديث، وفي سندها أيضاً: يزيد بن أبان الرقاشي، كان ضعيفاً في الحديث.

وقال فيه النسائي، والحاكم أبو أحمد: إنه متروك، وقال فيه ابن حبان: كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل، غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي ﷺ، فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب(2).

وقال العلامة ابن كثير في تفسيره(3): «وقد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس — رضي الله عنه —، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة».

ومن ثم يتبين لنا كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى رسول الله ﷺ، ولا نكاد نصدق ورود هذه عن المعصوم، وإنما هي اختلافات، وأكاذيب من إسرائيليات أهل

---

(1) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٩١، ١٩٢، الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٠، ٣٠١.
(2) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٠٩.
(3) ج ٧ ص ١٨٩ (ط المنار).

الكتاب ، وهل يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الأنبياء في استحالة صدور هذا عن داود ـ عليه السلام ـ . ثم يكون على لسان من ؟ على لسان من كان حريصاً على تنزيه إخوانه الأنبياء عما لا يليق بعصمتهم ، وهو نبينا محمد ـ ﷺ ـ ومثل هذا التدبير السيء ، والاسترسال فيه على ما رووا ، لو صدر من رجل من سوقة الناس وعامتهم ، لاعتبر هذا أمراً مستهجناً مستقبحاً ، فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس ، زكت نفسه ، وطهرت سريرته ، وعصمه الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وهو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم ؟!!

ولو أن القصة كانت صحيحة لنحت بعصمة داود ، ولنفرت منه الناس ، ولكان لهم العذر في عدم الإيمان به ، فلا يحصل المقصود الذي من أجله أرسل الرسل ، وكيف يكون من هذه حاله من قال الله تعالى في شأنه : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ؟ قال ابن كثير في تفسيره : « وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو : الدرجات العالية في الجنة لنبوته وعدله التام في ملكه ، كما جاء في الصحيح : « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يقسطون في حكمهم ، وما ولوا » ، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن أحب الناس إليّ يوم القيامة وأقربهم مني مجلساً : إمام عادل ، وإن أبغض الناس إليّ يوم القيامة ، وأشدهم عذاباً : إمام جائر » رواه أحمد ، والترمذي[1] .

ولكي يستقيم هذا الباطل قالوا : إن المراد بالنعجة هي المرأة ، وأن القصة خرجت مخرج الرمز والإشارة ، ورووا : أن الملكين لما سمعا حكم داود ، وقضاءه بظلم صاحب التسع والتسعين نعجة لصاحب النعجة ، قالا له : وما جزاء من فعل ذلك ؟ قال : يقطع هذا ، وأشار إلى عنقه ، وفي رواية : يضرب من ههنا ، وههنا ، وههنا ، وأشار إلى جبهه ، وأنفه ، وما تحته ، فضحكا ، وقالا : « أنت أحق بذلك منه » ، ثم صعدا .

وذكر البغوي في تفسيره وغيره ، عن وهب بن منبه : أن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة ، لا يرقأ دمعه ليلا ، ولا نهاراً ، وكان أصاب الخطيئة ، وهو ابن

(1) المرجع السابق ص ١٩٥

سبع وسبعين سنة ، فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام : يوم للقضاء بين بنى إسرائيل ، ويوم لنسائه ، ويوم يسبح فى الفيافى ، والجبال ، والسواحل ، ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب ، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ، فيساعدونه على ذلك ، فإذا كان يوم نياحته يخرج فى الفيافى ، فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكى ، ويبكى معه الشجر ، والرمال ، والطير ، والوحش ، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكى ، وتبكى معه الجبال ، والحجارة ، والدواب ، والطير ، حتى تسيل من بكائهم الأودية ، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكى ، وتبكى معه الحيتان ، ودواب البحر وطير الماء والسباع[1] . والحق أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا ، وليس هذا فى شيء من كتب الحديث المعتمدة ، وهى التى عليها المعول ، وليس هناك ما يصرف لفظ النعجة من حقيقته إلى مجازه ، ولا ما يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز والإشارة .

وما أحسن ما قال الإمام القاضى عياض : « لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب ، الذين بدلوا ، وغيروا ونقله بعض المفسرين ، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك فى كتابه ، ولا ورد فى حديث صحيح ، والذى نص عليه فى قصة داود ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ وليس فى قصة داود ، وأوريا خبر ثابت[2]

والمحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضى ، قال الداودى : ليس فى قصة داود وأوريا خبر يثبت ، ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم ، وقد روى عن سيدنا على أنه قال : من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة ؛ وذلك حد الفرية على الأنبياء[3] . وهو كلام مقبول من حيث المعنى ، إلا أنه لم يصح عن الإمام ذلك كما قال العراقى .

---

(١) تفسير البغوى على هامش ابن كثير ج ٧ ص ١٩٥

(٢) الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ج ٢ ص ١٥٨

(٣) لأن حد القذف لغير الأنبياء ثمانين ، فرأى ـ رضى الله عنه ـ تضعيفه بالنسبة إلى الأنبياء وإن الكذب عليهم رمى لهم بما هم براء منه فيه معنى القذف لداود بالتعدى على حرمات الأعراض والتحايل فى سبيل ذلك

وإذا كان ما روى من الإسرائيليات الباطلة التي لا يجوز أن تفسر بها الآيات ، فما التفسير الصحيح لها إذاً ؟

والجواب : أن داود عليه السلام كان قد وزع مهام أعماله ، ومسئولياته نحو نفسه ، ونحو الرعية على الأيام ، وخص كل يوم بعمل ، فجعل يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء وفصل الخصومات ، ويوماً للاشتغال بشئون نفسه وأهله ، ويوماً لوعظ بني إسرائيل .

ففي يوم العبادة ، بينما كان مشتغلاً بعبادة ربه في محرابه ، إذ دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور ، ولم يدخلا من المدخل المعتاد ، فارتاع منهما ، وفزع فزعاً لا يليق بمثله من المؤمنين ، فضلاً عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل ، الواثقين بحفظه ، ورعايته

ومثل الأنبياء في علو شأنهم ، وقوة ثقتهم بالله والتوكل عليه ألا تعلق بنفوسهم مثل هذه الظنون بالأبرياء ، ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذنباً في العادة ، إلا أنه بالنسبة

وظن بهما سوءاً ، وأنهما جاءا ليقتلاه ، أو يبغيا به شرًّا ، ولكن تبين له : أن الأمر على خلاف ما ظن ، وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه ، فلما قضى بينهما ، وتبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما ، استغفر ربه ، وخر ساجداً لله تعالى تحقيقاً لصدق توبته والإخلاص له ، وأناب إلى الله غاية الإنابة

للأنبياء يعتبر خلاف الأولى ، والأليق بهم ، وقديماً قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فالرجلان خصمان حقيقة ، وليسا ملكين كما زعموا ، والنعاج على حقيقتها ، وليس ثمة رموز ولا إشارات ، وهذا التأويل هو الذي يوافق نظم القرآن ويتفق وعصمة الأنبياء ، فالواجب الأخذ به ، ونبذ الخرافات ، والأباطيل ، التي هي من صنع بني إسرائيل ، وتلقفها القصاص وأمثالهم ممن لا علم عندهم ، ولا تمييز بين الغث والسمين .

وقيل : إن الذي صنعه داود ، أنه خطب على خطبة أوريا ، فآثره أهلها عليه ، وقد كانت الخطبة على الخطبة حرام في شريعتهم ، كما هي حرام في شريعتنا .

وقيل : إنه طلب من زوجها أوريا أن ينزل له عنها وقد كان هذا في شريعتهم ، ومستساغاً عندهم . وقيل : إنه أوخذ لأنه حكم بمجرد سماعه لكلام أحد الخصمين .

وكان عليه أن يسمع كلام الخصم الآخر(1) وقد قيل: إذا جاءك أحد الخصمين، وقد فقئت عينه، فلا تحكم له، لجواز أن يكون خصمه قد فقئت عيناه. وهذه الأقوال الثلاثة ونحوها ليس منها على ثلج، ولا اطمئنان، فإنها وإن كانت لا تخل بالعصمة لكنها تخدشها، ثم هي لا تليق بالمعصومين المختارين من الخلق، وهم الأنبياء، فالوجه الجدير بالقبول في تفسير الآيات هو الأول، فعض عليه، واشدد به يديك.

(٣٠) الإسرائيليات في قصة سليمان — عليه السلام —

ومن الإسرائيليات: ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾(2)

وقد ذكر الكثير منها في تفاسيرهم: ابن جرير، وابن أبي حاتم، والثعلبي، والبغوي، وغيرهم، وذكر كل ما روي من ذلك من غير تمييز بين الصحيح والضعيف، والغث والسمين، السيوطي، في «الدر المنثور» وليته إذ فعل نقد كل رواية، وبين منزلتها من القبول والرد، وما هو من الإسرائيليات، وما ليس منها، قال السيوطي في «الدر»: أخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، بسند قوي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال:

أراد سليمان — عليه السلام — أن يدخل الخلاء(3)، فأعطى الجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي، فأعطته، فلما لبسه، دانت له الجن، والإنس، والشياطين، فلما خرج سليمان — عليه السلام — من الخلاء، قال لها: هاتي خاتمي، فقالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان، قالت: كذبت، لست سليمان، فجعل لا يأتي أحداً يقول له: أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك، عرف أنه من أمر الله — عز وجل — وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان — عليه السلام — سلطانه ألقى الله في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى

---

(1) الشفا ج ٢ ص ١٥٨

(2) سورة ص: ٣٤

(3) المرحاض

منه ، فلم يقربهن ، ولم يقربنه[1]

ونحن لا نشك في أن هذه الخرافات من أكاذيب بني إسرائيل ، وأباطيلهم ، وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب وليس أدل على هذا مما ذكره السيوطي في « الدر » قال : وأخرج عبد الرزاق ، وابن المنذر ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هي ؟ ، حتى سألت عنهن كعب الأحبار ـ رضي الله عنه ـ وذكر منها وسألته عن قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ قال : الشيطان أخذ خاتم سليمان ـ عليه السلام ـ الذي فيه ملكه ، فقذف به في البحر ، فوقع في بطن سمكة ، فانطلق سليمان يطوف إذ تصدق عليه بتلك السمكة فاشتواها ، فأكلها ، فإذا فيها خاتمه ، فرجع إليه ملكه[2]

وكذا ذكرها مطولة جداً البغوي في تفسيره عن محمد ابن إسحاق عن وهب بن منبه[3]

قوة السند لا تنافي كونها إسرائيليات

وأحب أن أؤكد هنا ما ذكرته قبل ، من أن قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب ، فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني إسرائيل ، وخرافاتهم ، وافتراءاتهم على الأنبياء

سلف من العلماء في رد هذا الغثاء

وقد سبق إلى التنبيه إلى ذلك الإمام القاضي عياض في « الشفاء » « ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به ، وتسلطه على ملكه ، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه ، لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا ، وقد عصم الأنبياء من مثله »[4] وكذلك الإمام الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره[5] فقال بعد أن ذكر الكثير منها :

---

(1) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠

(2) المرجع السابق ص ٣١٠

(3) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٢٠١

(4) الشفاء ج ٢ ص ١٦٢

(5) ج ٦ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧

نساء سليمان ـ عليه السلام ـ فقالوا لهن : أيكون من سليمان شيء؟ قلن : نعم ، إنه يأتين[1] وهن حيّض ، وما كان يأتيها من ذلك ! فلما رأى الشيطان أنه قد فطن به ، ظن أن أمره قد انقطع ، فكتبوا كتباً فيها سحر ، ومكر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أثاروها[2] ، وقرأوها على الناس ؛ قالوا : بهذا كان يظهر سليمان على الناس ، ويغلبهم ، فأكفر الناس سليمان ، فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم ، فطرحه في البحر ، فتلقته سمكة ، فأخذته ، وكان سليمان ـ عليه السلام ـ يعمل على شط البحر بالأجر ، فجاء رجل ، فاشترى سمكاً ، فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فدعا سليمان ـ عليه السلام ـ فقال له : تحمل لي هذا السمك ، ثم انطلق إلى منزله ، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فأخذها سليمان ـ عليه السلام ـ ، فشق بطنها ، فإذا الخاتم في جوفها ؛ فأخذه ، فلبسه ، فلما لبسه دانت له الإنس ، والجن ، والشياطين ، وعاد إلى حاله ، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان ـ عليه السلام ـ في طلبه ، وكان شيطاناً مريداً يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوماً نائماً ، فجاؤا فبنوا عليه بنياناً من رصاص ، فاستيقظ ، فوثب ، فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص ، فأخذوه ، وأوثقوه : وجاءوا به إلى سليمان ـ عليه السلام ـ ، فأمر به ، فنقب له في رخام ، ثم أدخل في جوفه ، ثم سد بالنحاس ، ثم أمر به ، فطرح في البحر ، فذلك قوله ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ ، يعني الشيطان الذي كان تسلط عليه

وقد روى السيوطي في : « الدر » روايات أخرى ، عن ابن عباس وقتادة ، في أن هذا الشيطان كان يسمى صخراً ، وروى عن مجاهد أن اسمه آصف ، وأن سليمان سأله : كيف تفتنون الناس ؟ ! فقال الشيطان : أرني خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان ، وذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ، حتى كان ما كان من أمر السمكة ، والعثور على الخاتم ، ورجوع ملك سليمان إليه .

غير أن في رواية قتادة ، ومجاهد ، أن الشيطان لم يسلط على نساء سليمان ، ومنعهن الله

(1) يباشرنا

(2) أخرجوها

وهذه كلها من الإسرائيليات. ومن أنكرها ما قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، (قال): حدثنا محمد بن العلاء، وعثمان بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، قالوا: حدثنا أبو معاوية (قال): أخبرنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿ **ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب** ﴾ قال: أراد سليمان - عليه الصلاة والسلام - أن يدخل الخلاء... ثم ذكر الرواية التي ذكرناها أولا.

ثم قال: إسناده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - رضي الله عنهما - إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه الصلاة والسلام - فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله - عز وجل - منه، تشريفاً وتكريماً لنبيه - عليه السلام -. وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف - رضي الله عنهم - كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين، وكلها متلقاة عن أهل الكتاب. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

أقول: كلها أكاذيب، وتلفيقات، ولكن بعض الكذبة من بني إسرائيل كان أحرص، وأبعد غوراً من البعض الآخر، فلم يتورط فيما تورط فيه البعض، من ذكر تسلط الشيطان على نساء داود - عليه السلام - وذلك حتى يكون لما لفقه، وافتراه، بعض القبول عند الناس، أما البعض الآخر فكان ساذجاً في كذبه، مغفلا في تلفيقه، فتراه تنز الجريمة منه واضحة، وبذلك ستر ما لفقه عن دليل كذبه

ومن العجيب، أن الإمام السيوطي نبه في كتابه «تخريج أحاديث الشفاء»، أنها إسرائيليات، تلقاها ابن عباس عن أهل الكتاب، ولم ينبه إلى ذلك في التفسير

نسج القصة مهلهل

والحق أن نسج قصة مهلهل، عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم، ونقل الصحيح في هذا

وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان ـ عليه السلام ـ ، فأى ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا ؟! وكيف يسلط الله شيطانا على نساء نبيه سليمان ، وهو أكرم على الله من ذلك ؟!

وأى ملك أو نبوة يتوقف أمرها على خاتم يدومان بدوامه ، ويزولان بزواله ؟! وما عهدنا في التاريخ البشرى شيئا من ذلك .

وإذا كان خاتم سليمان ـ عليه السلام ـ بهذه المثابة فكيف يغفل الله شأنه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية ، ولم يذكره بكلمة ؟! وهل غير الله ـ سبحانه ـ خلقه سليمان في لحظة ، حتى أنكرته أعرف الناس به ، وهى زوجته جرادة ؟!

الحق أن نسج القصة مهلهل ، لا يصمد أمام النقد ، وأن آثار الكذب والاختلاق بادية عليها .

نسبة بعض هذه الأكاذيب إلى رسول الله

وقد تجرأ بعض الرواة ، أو غلط ، فرفع بعض هذه الإسرائيليات إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، قال السيوطى في « الدر المنثور » : وأخرج الطبرانى في الأوسط[1] ، وابن مردويه بسند ضعيف ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ

« ولد لسليمان ولد ، فقال للشيطان تواريه من الموت ، قالوا : نذهب به إلى المشرق ، فقال : يصل إليه الموت ، قالوا : فإلى المغرب قال : يصل إليه الموت ، قالوا : إلى البحار ، قال : يصل إليه الموت ، قالوا : نضعه بين السماء والأرض ، قال : نعم ، ونزل عليه ملك الموت ،

فقال : إنى أمرت بقبض نسمة طلبتها في البحار ، وطلبتها في تخوم الأرض فلم أصبها ، فبينا أنا قاعد أصبتها ، فقبضته ، وجاء جسده ، حتى وقع على كرسى سليمان ، فهو قول الله ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ »

وهذا الحديث موضوع على رسول الله ـ ﷺ ـ ، وقد يكون ذلك من عمل بعض الزنادقة ، أو غلط بعض الرواة ، وقد نبه على وضعه الإمام الحافظ أبو الفرج بن

---

(1) يعنى في كتابه « المعجم الأوسط » .

الجوزي ، وقال : يحيى بن كثير ، يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم ، ولا يجوز أن ينسب إلى نبي الله سليمان ذلك ، ووافقه السيوطي على وضعه[1] . ولا يشك في وضع هذا إلا من يشك في عصمة الأنبياء عن مثله ، والأشبه أن يكون مختلقاً على نبينا ـ ﷺ ـ ، وعلى نبي الله : سليمان ـ عليه السلام ـ ، وإنما هو من إسرائيليات بني إسرائيل وأكاذيبهم .

ما هو الصحيح في تفسير الفتنة ؟ :

والصحيح المتعين في تفسير الفتنة هو : ما جاء في الصحيحين ، واللفظ للبخاري ، عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال :

« قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ، تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه[2] . قل : إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل واحدة منهن شيئاً ، إلا واحدة جاءت بولد ساقط إحدى شقيه ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : لو قالها لجاهدوا في سبيل الله أجمعين »

فهذا هو المتعين في تفسير الآية ، وخير ما يفسر به كلام الله هو ما صح عن رسول الله ، وقد بينت بعض الروايات : أن الترك كان نسياناً ، والمراد بصاحبه : الملك كما جاء في بعضها .

* * *

(٣١) الإسرائيليات في قصة ـ أيوب عليه السلام ـ

ومن القصص التي تزيد فيها المتزيدون ، واستغلها القصاصون ، وأطلقوا فيها خيالهم العنان : قصة سيدنا أيوب ـ عليه السلام ـ ، فقد رووا فيها ما عصم الله أنبياءه عنه ، وصوروه بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله .

فقد ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ

---

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج ٢ ص ٢٢١ .

(٢) يعني قرينه من الملائكة .

أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[1] ذكر السيوطي في « الدر المنثور » وغيره ، عن قتادة ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ الآية ، قال : ذهاب الأهل والمال ، والضر الذي أصابه في جسده ، قال : ابتلي سبع سنين وأشهر ، فألقي على كناسة بني إسرائيل ، تختلف الدواب في جسده ، ففرج الله عنه ، وأعظم له الأجر ، وأحسن

قال : وأخرج أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : إن الشيطان عرج إلى السماء فقال : يارب سلطني على أيوب ـ عليه السلام ـ . قال الله : قد سلطتك على ماله ، وولده ، ولم أسلطك على جسده ، فنزل فجمع جنوده فقال لهم : قد سلطت على أيوب ـ عليه السلام ـ فأروني سلطانكم ، فصاروا نيراناً ، ثم صاروا ماء ، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب ، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق ، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه ، وطائفة إلى أهله ، وطائفة إلى بقره ، وطائفة إلى غنمه ، وقال : إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف ، فأتوه بالمصائب بعضها على بعض . فجاء صاحب الزرع فقال : يا أيوب : ألم تر إلى ربك : أرسل على زرعك عدواً ، فذهب به . وجاء صاحب الإبل ، وقال : ألم تر إلى ربك أرسل على إبلك عدواً ، فذهب بها . ثم جاء صاحب البقر ، فقال : ألم تر إلى ربك أرسل على بقرك عدواً ، فذهب بها ، وتفرد هو ببنيه ، جمعهم في بيت أكبرهم ، فبينما هم يأكلون ، ويشربون ـ إذ هبت ريح ـ فأخذت بأركان البيت ، فألقته عليهم ، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام ، فقال : يا أيوب : ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم ، فبينما هم يأكلون ، ويشربون ، إذ هبت ريح ، فأخذت بأركان البيت ، فألقته عليهم ، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ، ولحومهم بطعامهم ، وشرابهم ، فقال له أيوب : أنت الشيطان ، ثم قال له : أنا اليوم كيوم ولدتني أمي ، فقام ، فحلق رأسه ، وقام يصلي ، فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء ، وأهل الأرض ، ثم خرج إلى السماء ، فقال : أي

---

(١) ص ٤١ ـ ٤٤

ب ، إنه قد اعتصم ، فسلطني عليه ، قال : لا أستطيعه إلا سلطتك ، قال : قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه ، فنزل ، فنفخ تحت قدمه نفخة ، فقرح ما بين قدميه إلى قرنه فصار قرحة واحدة وألقي على الرماد ، حتى بدا حجاب قلبه ، فكانت امرأته تسعى إليه ، حتى قالت له : أما ترى يا أيوب قد نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف ، فأطعمتك ، فادع الله أن يشفيك ، ويريحك ، قال : ويحك ، كنا في النعيم سبعين عاماً ، فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاماً . فكان في البلاء سبع سنين ، ودعا ، فجاء جبريل - عليه السلام - يوماً فأخذ بيده ، ثم قال : قم ، فقام ، فنحاه عن مكانه ، وقال : اركض برجلك ، هذا مغتسل بارد وشراب ، فركض برجله ، فنبعت عين ، فقال : اغتسل ، فاغتسل منها ، ثم جاء أيضاً ، فقال : اركض برجلك ، فنبعت عين أخرى ، فقال له : اشرب منها ، وهو قوله : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ ، وألبسه الله حلة من الجنة .

فتنحى أيوب ، فجلس في ناحية ، وجاءت امرأته ، فلم تعرفه ، فقالت : يا عبد الله ، أين المبتلى الذي كان هنا ، لعل الكلاب ذهبت به ، أو الذئاب ، وجعلت تكلمه ساعة ، فقال : ويحك ، أنا أيوب ! قد رد الله علي جسدي ، ورد الله عليه ماله ، وولده عياناً ومثلهم معهم »(1).

قال : وأخرج أحمد في الزهد ، عن عبد الرحمن بن جبير - رضي الله عنه - قال : ابتلي أيوب بماله ، وولده ، وجسده ، وطرح في المزبلة ، فجعلت امرأته تخرج ، فتكسب عليه ما تطعمه ، فحسده الشيطان بذلك ، فكان يأتي أصحاب الخير والغنى ، فيقول : اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم ، فإنها تعالج صاحبها ، وتلمسه بيدها ، فالناس يتقذرون طعامكم من أجلها ، فجعلوا لا يدنونها منهم ، ويقولون : تباعدي عنا ونحن نطعمك ، ولا تقربي ...

وقد ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم الكثير من هذه الروايات في تفسيريهما ، منها ما هو موقوف ، ومنها مرفوع إلى النبي - ﷺ - وكذلك ذكر ابن جرير ، والبغوي ، وغيرهما ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

---

(1) الدر المنثور ج 5 ص 315 ، 316.

الرَّاحِمِينَ . فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾[1] . الكثير من الإسرائيليات .

فقد رويا قصة أيوب وبلائه عن وهب بن منبه ، في بضع صحائف ، وقد لُبِّس فيها الحق بالباطل ، والصدق بالكذب[2] .

وقال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية : « وقد روى عن وهب بن منبه في خبره — يعني أيوب — قصة طويلة ، ساقها ابن جرير ، وابن أبي حاتم بالسند عنه ، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين ، وفيها غرابة ، تركناها لحال الطول .

ومن العجيب : أن الحافظ الناقد ابن كثير وقع فيما وقع فيه غيره في قصة أيوب ، من ذكر الكثير من الإسرائيليات ولم يعقب عليه[3] ، مع أن عهدنا به أنه لا يذكر شيئاً من ذلك إلا وينبه على مصدره ، ومن أين دخل في الرواية الإسلامية ، ولا أظن أنه يرى في هذا أنه مما تباح روايته ! !

فقد ذكر أنه يقال : إنه أصيب بالجذام في سائر بدنه ، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه ، يذكر بهما الله — عز وجل — حتى عافه الجليس ، وصار منبوذا في ناحية من البلد ، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته ، وتحملت في بلائه ما تحملت ، حتى صارت تخدم الناس ، بل قد باعت شعرها بسبب ذلك ، ثم قال : وقد روى : أنه مكث في البلاء مدة طويلة ، ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء ، فقال الحسن — يعني البصرى — وقتادة : ابتلى أيوب — عليه السلام — سبع سنين وأشهرا ، ملقى على كناسة بني إسرائيل ، تختلف الدواب في جسده ، ففرج الله عنه ، وأعظم له الأجر ، وأحسن عليه الثناء ، وقال وهب بن منبه : مكث في البلاء ثلاث سنين ، لا يزيد ولا ينقص . وقال السدى[4] : تساقط لحم أيوب ، حتى لم يبق إلا العصب والعظام . ثم ذكر قصة طويلة .

---

(١) الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤ .
(٢) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج ٥ من ص ٥٠٩ — ٥١٨ .
(٣) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٥٠٩ — ٥٦٨ .
(٤) إن كان السدى الصغير فهو كذاب ، وإن كان السدى الكبير فمختلف في تعديله

ثم ذكر ما رواه ابن أبي حاتم بسنده ، عن الزهري ، عن أنس ابن مالك : أن نبي الله ـ ﷺ ـ قال :

« إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب ، والبعيد ، إلا رجلين من إخوانه ، كانا من أخص إخوانه له ، كانا يغدوان إليه ، ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه ، تعلم ـ والله ـ لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين ، فقال له صاحبه ، وما ذاك ؟ قال ، منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله ، فيكشف ما به ، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب ـ عليه السلام ـ ، ما أدري ما تقول ، غير أن الله ـ عز وجل ـ يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان ، فيذكران الله ، فأرجع إلى بيتي ، فأكفر عنهما كراهية أن يذكرا الله إلا في حق ، قال : وكان يخرج في حاجته ، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده ، حتى يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه ، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه ، أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ».

وقال ابن كثير : رفع هذا الحديث غريب جداً . وقال الحافظ ابن حجر : وأصح ما ورد في قصته ، ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وصححه ابن حبان والحاكم ، بسنده عن أنس : أن أيوب ... ثم ذكر مثل ذلك

أقول : والمحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم ﷺ ـ إنما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون ، أو من غلط بعض الرواة ، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء ، والأحاديث فيها سبيلة ، على أن صحة السند لا تنافي أن أصله من الإسرائيليات ، كما قلت مراراً ، والإمام الحافظ ابن حجر على جلالته قد يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلة العقلية والنقلية ، كما فعل في قصة الغرانيق ، وهاروت وماروت وكل ما روي موقوفاً أو مرفوعاً لا يخرج عن ذكره وهب بن منبه ، في قصة أيوب ، التي ذكرناها آنفاً ، وما رواه ابن إسحاق أيضاً ، فهو مما أخذه عن وهب ، وغيره .

وهذا يدل أعظم الدلالة على أن معظم ما روي في قصة أيوب مما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، وجاء القصاصون المولعون بالغرائب ، فزادوا في قصة أيوب ، وأذاعوها ، حتى اتخذ منها الشحاذون ، والمتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس ، واستدرار العطف عليهم

وقد [illegible] كتاب الله [illegible] على [illegible] محمد [illegible] على [illegible] الله [illegible] في جسده [illegible] وقوله [illegible] الامتنان في [illegible] وقد [illegible] الله [illegible] ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ [illegible] فكيف [illegible] لا [illegible] كتاب الله ، ولا [illegible] في القصة كما [illegible] الأنبياء [illegible] لا [illegible] على [illegible] ووصف [illegible] لأنه [illegible] ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [illegible] ﴿يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ [illegible]

[illegible] أن يعتقد [illegible] ولكن [illegible] الأكاذيب [illegible] وأن [illegible] كناسة [illegible]

وأيوب — عليه صلوات الله وسلامه — أكرم على الله من أن يلقى على [illegible] لأن [illegible] الأنبياء [illegible]

ولأنه [illegible] وصاياه [illegible] فإن كانت [illegible] في سبيل [illegible]

[illegible] فهل [illegible] في [illegible] ذلك [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

والحق أن نسج القصة مهلهل لا تثبت أمام النقد، ولا يؤيده عقل سليم، ولا نقل صحيح، وأن ما أصيب به أيوب من مرض يمكن أن يكون من النوع غير المنفر، وقد يكون من الأمراض التي لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، وأمراض المفاصل، والعظام ونحوها، ويؤيد ذلك أن الله أمره أن يضرب الأرض بقدمه، فنبعت عين، فاغتسل منها، وشرب، فبرأ بإذن الله، وقيل: إنه ضرب الأرض برجله فنبعت عين حارة، فاغتسل منها، وضربها مرة أخرى، فنبعت عين باردة، فشرب منها، والله أعلم بالصواب، وظاهر القرآن عدم التعدد في الضرب ولا في الينابيع.

مقالة الإمام القاضي أبي بكر بن العربي

وما أحسن ما قاله الإمام القاضي أبو بكر بن العربي ـ رحمه الله ـ قال: «ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين: الأولى في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ والثانية في (ص) ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وأما النبي ـ ﷺ ـ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «بينا أيوب يغتسل، إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب»[1] الحديث، وإذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا، وفي الصحيح ـ واللفظ للبخاري ـ أن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين، تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله، تقرءونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله، وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب، فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[2] وقد أنكر النبي ـ ﷺ ـ في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة»

---

(1) هو ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل ـ أي جماعة ـ جراد من ذهب فجعل يحتثي في ثوبه فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك»

(2) صحيح البخاري ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء

وقال الإمام الآلوسي في تفسيره ، بعد أن ذكر بعضاً مما ذكرنا : وعظم بلائه — عليه السلام — مما شاع وذاع ، ولم يختلف فيه اثنان ، لكن في بلوغ أمره إلى أن أُلقي على كناسة ، ونحو ذلك ، فيه خلاف .

قال الطبرسي : قال أهل التحقيق : إنه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها ، لأن في ذلك تنفيراً . فأما الفقر والمرض ، وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله تعالى بذلك .

وفي هداية المريد للقاني : أنه يجوز على الأنبياء — عليهم السلام — كل عرض بشري ، ليس محرماً ولا مكروهاً ، ولا مباحاً مزرياً ، ولا مزمناً ، ولا مما تعافه الأنفس ، ولا مما يؤدي إلى النفرة ، ثم قال بعد ورقتين : واحترزنا بقولنا : ولا مزمناً ولا مما تعافه الأنفس عما كان كذلك كالإقعاد ، والبرص ، والجذام ، والعمى ، والجنون .

وأما الإغماء فقال النووي : لا شك في جوازه عليهم ، لأنه مرض بخلاف الجنون ، فإنه نقص ، وقيد أبو حامد — يعني الغزالي — الإغماء بغير الطويل ، وجزم به البلقيني . قال السبكي : وليس كإغماء غيرهم ، لأنه إنما يستر حواسهم الظاهرة ، دون قلوبهم ؛ لأنها معصومة من النوم الأخف . قال : ويمتنع عليهم الجنون . وإن قل ، لأنه نقص . ويلحق به العمى ، ولم يعم نبي قط ، وما ذكر عن شعيب من أنه كان ضريراً لم يثبت ، وأما يعقوب : فحصلت له غشاوة وزالت . انتهى

وفرق بعضهم في عروض ذلك بين أن يكون بعد التبليغ وحصول الغرض من النبوة : فيجوز ، وبين أن يكون قبل : فلا يجوز . ولعلك تختار القول بحفظهم مما تعافه النفوس ، ويؤدي إلى الاستقذار والنفرة كما يشعر به ما روي عن قتادة ، ونقله القصاص في كتبهم ، وذكر بعضهم أن داءه كان الجدري ، ولا أعتقد صحة ذلك ، والله تعالى أعلم(١)

* * *

(٣٢) الإسرائيليات في قصة إرم ذات العماد

ومن الإسرائيليات : ما يذكره بعض المفسرين : كالطبري ، والثعلبي ، والزمخشري ، وغيرهم في تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ

---

(١) تفسير الآلوسي ج ٢٣ ص ٢٠٨ ط منير.

العِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[1]

فقد زعموا : أن إرم مدينة ، وذكروا في بنائها ، وزخارفها ، ما هو من قبيل الخيال ، ورووا في ذلك : أنه كان لعاد ابنان : شداد ، وشديد ، فملكا وقهرا ، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ، فسمع بذكر الجنة ، فقال : أبني مثلها ، فبنى إرم في بعض صحاري عدن ، في ثلاثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة ، وهي مدينة عظيمة ، وسورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، ولما تم بناؤها سار إليها بأُهب[2] مملكته ، فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء ، فهلكوا

وروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة : أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها - يعني - مدينة إرم ، فحمل منها ما قدر عليه ، وبلغ خبره معاوية ، فاستحضره ، فقص عليه ، فبعث إلى كعب الأحبار ، فسأله عنها فقال : هي إرم ذات العماد ، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر ، أشقر ، قصير ، على حاجبه خال ، ثم التفت ، فأبصر ابن قلابة ، فقال : هذا والله ذاك الرجل[3] .

وهذه القصة موضوعة ، كما نبه إلى ذلك الحفاظ ، وآثار الوضع لائحة عليه ؛ وكذلك ما روي : أن إرم : مدينة دمشق ، وقيل : مدينة الإسكندرية ؛ قال السيوطي في « الدر المنثور » : وأخرج عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، عن عكرمة ، قال : إرم هي : دمشق ، وأخرج ابن جرير ، وعبد بن حميد ، وابن عساكر عن سعيد المقبري مثله ، وأخرج ابن عساكر ، عن سعيد بن المسيب ، مثله ، قال : وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : إرم هي : الإسكندرية[4]

وكل ذلك من خرافات بني إسرائيل ، ومن وضع زنادقتهم ، ثم رواها مسلمة أهل الكتاب فيما رووا ، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ، وألصقت بتفسير القرآن

---

(١) الفجر : ٦ - ٨

(٢) جمع أهبة ، والأهبة - بضم الهمزة - العدة كما في القاموس

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري عند تفسير هذه الآية ، وتفسير البغوي ، والنسفي ، والخازن عند تفسير هذه الآية

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٤٧ .

الكريم . قال ابن كثير في تفسيره : ومن زعم أن المراد بقوله ﴿إرم ذات العماد﴾ مدينة إما دمشق ، أو إسكندرية ، أو غيرهما ، ففيه نظر ؛ فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إن جعل بدلا أو عطف بيان[1] ؟ فإنه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم ، وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية ، من ذكر مدينة يقال لها : إرم ذات العماد ، مبنية بلبن الذهب والفضة ، وأن حصباءها لآلئ وجواهر ، وترابها بنادق المسك ... فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك ، وقال فيما روي عن ابن قلابة : فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك ، أو أصابه نوع من الهوس والخبال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وهذا مما يقطع بعدم صحته[2] ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة ، والطامعين ، والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة ، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة ، والسفهاء ، فيأكلونها بالباطل ، في صرفها في بخاخير ، وعقاقير ، ونحو ذلك من الهذيانات ، ويطنزون بهم

الصحيح في تفسير الآية .

والصحيح في تفسير الآية : أن المراد بعاد ، إرم ذات العماد ، قبيلة عاد المشهورة ، التي كانت تسكن الأحقاف ، شمال حضرموت ، وهي عاد الأولى ، التي ذكرها الله سبحانه في سورة النجم . قال سبحانه ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ . ويقال لمن بعدهم عاد الآخرة وهم ولد عاد بن إرم بن عوص ، بن سام ، بن نوح ، قاله ابن إسحاق وغيره ، وهم الذين بعث فيهم رسول الله هودا — عليه السلام — فكذبوه ، وخالفوه ، فأنجاه الله من بين أظهرهم ، ومن آمن معه منهم ، وأهلكهم ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ

(١) أي لفظ « إرم » بدل من عاد أو عطف بيان .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ١٩٦

نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ ؟

وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون ، فقوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ : بدل من عاد أو عطف بيان زيادة تعريف بهم ، وقوله تعالى ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ ، لأنهم كانوا في زمانهم أشد الناس خلقة ؛ وأعظمهم أجساما ، وأقواهم بطشا ، وقيل : ذات الأبنية التي بنوها ، والدور ، والمصانع التي شادوها ، وقيل : لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الطلاط الشداد ، والأول أصح وأولى ، فقد ذكرهم نبيهم هود بهذه النعمة ، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة الله - تبارك وتعالى - الذي خلقهم ومنحهم هذه القوة فقال : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً . ﴾ [2] . وقوله هنا ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ أي القبيلة المعروفة المشهورة التي لم يخلق مثلها في بلادهم ، وفي زمانهم ، لقوتهم ، وشدتهم وعظم تركيبهم .

ومهما يكن من تفسير ذات العماد : فالمراد القبيلة ، وليس المراد مدينة ، فالحديث في السورة إنما هو عمن مضى من الأقوام الذين مكن الله لهم في الأرض ، فلما لم يشكروا نعم الله عليهم ، ويؤمنوا به وبرسله ، بطش بهم ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، ففيه تخويف لكفار مكة ، الذين هم دون هؤلاء في كل شيء ، وتحذيرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء .

ما روى في عظم طولهم لا يصح :

وليس معنى قوتهم ، وعظم خلقهم ، وشدة بطشهم : أنهم خارجون عن المألوف في الفطرة ، ومن ثم : لا نكاد نصدق ما روى في عظم أجسامهم ، وخروج طولهم عن المألوف المعروف حتى في هذه الأزمنة ، فقد روى ابن جرير في تفسيره ، وابن أبي حاتم وغيرهما عن قتادة قال : كنا نحدث : أن إرم : قبيلة من عاد ، كان يقال لهم : ذات

(١) الأعراف : ٦٩ .

(٢) فصلت ١٥

العماد ، كانوا أهل عمود ، ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ ، قال : ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر ذراعا[1] طولا في السماء ، وهذا من جنس ما روي في العماليق ، وأغلب الظن عندي : أن من ذكر لهم ذلك هم : أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأنه من الإسرائيليات المختلقة .

وأيضاً : لا نكاد نصدق ، ما روي عن المعصوم - ﷺ - في هذا ، فقد روى ابن أبي حاتم ، قال : حدثنا أبي ، (قال) حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، (قال) : حدثني معاوية بن صالح ، عمن حدثه ، عن المقدام بن معديكرب ، عن النبي - ﷺ - : أنه ذكر إرم ذات العماد فقال : **«كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة ، فيحملها على كاهله ، فيلقيها على أي حي أراد فيهلكهم »**[2] ولعل البلاء ، والاختلاق فيه من المجهول . وروى مثله ابن مردويه[3] .

ولعن الله من نسب مثل هذا الباطل إلى النبي - ﷺ - ، ولا شك أن هذا من عمل زنادقة اليهود والفرس وأمثالهم ، الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام ، فسلكوا في محاربته مسلك الدس ، والاختلاق ، ونسبة أمثال هذه الخرافات إلى المعصوم - ﷺ - . وأنا أعجب لمسلم يقص أمثال هذه المرويات التي تزري بالإسلام ، وتتهجم عليه ، ولا سيما في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم ، والمعارف ، وأصبح ذكر مثل هذا يثير السخرية ، والاستنكار والاستهزاء .

الإسرائيليات والخرافات

فيما يتعلق بعمر الدنيا وبدء الخلق ، وأسرار الوجود ، وتعليل بعض الظواهر الكونية

ومن الإسرائيليات والموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير وغيرها : كثير مما يتعلق بعمر الدنيا وبدء الخلق ، وأسرار الوجود ، وأسباب الكائنات ، وتعليل بعض الظواهر الكونية تعليلاً باطلاً غير صحيح ، وقد جاء معظمه موقوفاً على الصحابة

---

(١) حوالي ستة أمتار أو تزيد
(٢) تفسير ابن كثير ج ٨
(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٤٧

والتابعين ، وجاء بعضه مرفوعاً إلى النبي ـ ﷺ ـ . وهنا تكون الطامة . لأن هذه الروايات متهافتة باطلة . ونسبتها إلى المعصوم ـ ﷺ ـ من الخطورة بمكان

وكأن هؤلاء الذين وضعوها وألصقوها بالنبي ـ ﷺ ـ زوراً ، كانوا يدركون ببعد نظرهم : أنه سيأتي اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق العلمية في هذه الأمور الكونية ، ومعرفة التعليلات الصحيحة لسنن الله في الكون ، فنسبوا إليه هذه الخرافات ، كي يشككوا في عصمة النبي ـ ﷺ ـ ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، ويضعفوا الثقة بالأنبياء . وهم قوم من الزنادقة الذين جمعوا بين الزندقة ، والعلم ، والمعرفة ببعض الظواهر ، والعلوم الكونية ، وهم أعظم الطوائف كيداً للإسلام ، لخبث نياتهم ، وإحكام كيدهم

ولا أدري ماذا يكون موقف الداعي إلى الله في المجتمعات العلمية ، والبيئات المتحضرة إذا ووجه بمثل هذه الروايات الباطلة التي تغض من شأن الإسلام وهو منها براء ؟!

ولو أن هذه المرويات صحت أسانيدها ، لكان للمتمسكين بها ، والمنتصرين لها بعض العذر ، أما وهي ضعيفة أسانيدها ، واهية مخارجها ، فالواجب ردها ولا كرامة . وأحب أن أقول : إن معظم هذه المرويات في الأمور الكونية تخالف مخالفة ظاهرة المقررات ، والحقائق العلمية التي أصبحت في حكم البديهيات والمسلمات ككروية الأرض ، ودورانها ، وسبب حدوث الخسوف والكسوف ونحوها ، والانتصار لهذه المرويات التي تصادم الحقائق العلمية الثابتة ، مما يعود على الإسلام بالضرر والنقص ، ويصرف عنه المفكرين وذوي العلم ، والمعرفة ، بل هي أضر على الإسلام من طعن أعدائه فيه

ويعجبني غاية الإعجاب في هذا المقام ما ذكره الإمام : حجة الإسلام الغزالي في مقدمة كتابه : « تهافت الفلاسفة » ، وسأنقله بنصه لنفاسته ، وعظم نفعه في بيان ما ينبغي أن يكون موقف المسلم الواعي الفطن ، من النظريات والمقررات العلمية قال ـ رحمه الله ـ :

« القسم الثاني »[1] ما لا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل ـ صلوات الله عليهم ـ منازعتهم فيه ، كقولهم : إن

---

(1) يعني من الأقسام التي يقع الخلاف فيها بين الفلاسفة وغيرهم

كسوف القمر عبارة عن: امحاء ضوء القمر، بتوسط الأرض بينه وبين الشمس، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس. والأرض كرة. والسماء محيطة بها من الجوانب فإذا وقع القمر في ظل الأرض، انقطع عنه نور الشمس. وكقولهم: إن كسوف الشمس معناه: وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس. وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة. وهذا الفن أيضاً لسنا نخوض في إبطاله، إذ لا يتعلق به غرض. ومن ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين فقد جنى على الدين، وضعّف أمره. فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية، وحسابية، لا يبقى معها ريبة. فمن يطلع عليها، ويتحقق أدلتها، حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما، ومدة بقائهما إلى الانجلاء، إذا قيل له: إن هذا خلاف الشرع لم يسترب فيه، وإنما يستريب في الشرع، وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه، أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه. وهو كما قيل: عدو عاقل خير من صديق جاهل.

فإن قيل: فقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فافزعوا إلى ذكر الله ـ تعالى ـ والصلاة**»[1] فكيف يلائم هذا ما قالوه؟ قلنا: وليس في هذا ما يناقض ما قالوه، إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد، أو لحياته، والأمر بالصلاة عنده، والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال، والغروب، والطلوع من أين يبعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحباباً.

فإن قيل: فقد روي أنه قال في آخر الحديث: «**ولكن الله إذا تجلى لشيء خضع له**» فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي، قلنا: هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها، وإنما المروي ما ذكرناه[2]، كيف؟ ولو كان صحيحاً لكان

(١) رواه الشيخان وغيرهما.

(٢) بين الحافظ في الفتح ـ ج ٢ ص ٤٣٠ ـ أن هذه الزيادة ثابتة من رواية أحمد، والنسائي، وابن ماجه وصححها ابن خزيمة والحاكم، وكذا قال غيره إن الزيادة ثابتة، وقد حاول بعضهم أن يجمع هذه الزيادة معللة بقول أهل العلم بالفلك وحجة القول. ولو فرضنا ثبوتها فلا ينافي ذلك ما قاله علماء الفلك، لأن المراد بهذه الزيادة خضوع هذه الأجرام لله، وجريانها وفق إرادته، ووفق ما أوجده من الأسباب العادية لخسوفها فهو من التمثلات العربية البديعة وليس هذا من موارده معارك التأويل.

ذويه أهون من مكابرة أمور قطعية ، فكم من ظواهر أولت بالأدلة القطعية التي لا تبلغ في الوضوح إلى هذا الحد !! وأعظم ما يفرح به الملحدة أن يصرح ناصر الشرع ، بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع ، فيسهل عليه طريق إبطال الشرع ، إن كان شرطه أمثال ذلك ، وهذا : لأن البحث في العالم عن كونه حادثا ، أو قديما ، ثم إذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة ، أو بسيطا ، أو مثمنا أو مسدسا ، وسواء كانت السماوات ، وما تحتها ثلاث عشرة طبقة ، كما قالوه ، أو أقل ، أو أكثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي كنسبة النظر إلى طبقات البصل ، وعددها ، وعدد حب الرمان ، فالمقصود كونها من فعل الله فقط ، كيف ما كانت »(1).

وقد سقت هذا الكلام القيم ليعتبر به هؤلاء الذين لا يزالون في عصرنا هذا ينكرون كروية الأرض ، ودورانها ، وأسباب حدوث بعض الظواهر الكونية كالخسوف ، والكسوف ، وحدوث الرعد ، والبرق ، والصواعق وقانون الجاذبية ، ونحوها مما لا ينبغي للعاقل أن يرتاب فيه .

ويعتبر به أيضاً هؤلاء الذين ينكرون بعض المكتشفات العلمية التي جدت في عصرنا كغزو الفضاء ، والوصول إلى القمر ، واستخدام الذرة في حالات خاصة ، ونحوها ـ باسم الدين . فإن ذلك كما قال الإمام الغزالي ضرره أضر على الدين من طعن أعدائه فيه .

ولنأخذ بعد هذه المقدمة اللازمة في بيان الإسرائيليات ، والأكذوبات في الكون وما يتعلق به

ما يتعلق بعمر الدنيا :

فقد ذكروا في عمر الدنيا : أنه سبعة آلاف سنة ، وأن النبي محمدا ـ ﷺ ـ بعث آخر السادسة ، وقد ورد ذلك مرفوعا إلى النبي ـ ﷺ ـ ، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في كتابه « الموضوعات » ، وأحر به أن يكون مختلقا مكذوبا على رسول الله ـ ﷺ ـ

وكذلك جاء بعض هذه الأخبار موقوفا على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ

(1) تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي ص ٤ ، ٥ .

ذكر ذلك في كتب التفسير، وبعض كتب الحديث، وكتب التواريخ ونحوها، وقد قال السيوطي: إنه صحيحة.

أقول: وعلى فرض تسليم صحتها، فصحتها عن ابن عباس لا ينفي أنها من الإسرائيليات التي تحملها ابن عباس وغيره، لما فهموه من الإذن في الأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وهذا لا ينافي كونها باطلة في نفسها، فمعظم الإسرائيليات من هذا النوع.

ولا أدري ماذا يقول المتعصرون لمثل هذه الأباطيل، فيما هو ثابت من أن عمر الدنيا أضعاف أضعاف ذلك، حتى أصبح ذلك من البدهيات المسلمات، وإن التمسك بمثل هذه الروايات: أضر على الدين من طعن أعدائه.

ولو أن النبي ـ ﷺ ـ بعث كما يقولون في آخر المائة السادسة، لقامت القيامة من زمن مضى، فظهر من الواقع والمشاهدة تكذيب ذلك أيضاً، ويرد به.

ما يتعلق بخلق الشمس والقمر:

ومن ذلك أيضاً، ما ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والثعلبي، وغيرهم من المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ، وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا** ﴾[1]

فقد رووا عن ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**إن الله لما أبرم خلقه، فلم يبق من خلقه غير آدم ـ عليه السلام ـ، خلق شمساً من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علم الله أن يدعها شمساً، فإنه خلقها مثل الدنيا، ما بين مشارقها ومغاربها، وأما ما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمراً، فإنه خلقها مثل الشمس في الضوء، وإنما يرى الناس صغرهما لشدة ارتفاعهما، ولو تركهما الله كما خلقهما في بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار، ولا النهار من الليل، ولكان الأجير ليس له وقت يستريح فيه، ولكان الصائم لا يدري إلى متى يصوم، ومتى يفطر، إلى أن قال: فأرسل جبريل، فأمر**

(1) الإسراء: 12

جناحه على وجه القمر ثلاث مرات ، وهو يومئذ شمس فمحا عنه الضوء ، وبقى فيه النور ، فذلك قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ فالسواد الذى ترونه فى القمر هو أثر ذلك المحو .

وكذلك : روى هذا الباطل ابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وسنده واه ؛ لأن فيه نوح بن أبى مريم ، وهو وضاع دجال ، وقد حكم عليه ابن الجوزى بالوضع والاختلاق[1] ، ومنشؤه من الاسرائيليات التى ألصقت بالنبى زورا ، وفيه من ركاكة اللفظة ، والمعنوية ما يشهد بوضعه على النبى ، وليس عليه شىء من نور النبوة .

وما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يتعرض للكونيات بمثل هذا التفصيل ، وقد سئل عن الهلال لم يبدو صغيرا ثم يكبر ، حتى يصير بدرا ، ثم يصغر ؟ أجاب بالفائدة . فقال ﴿ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ لأن بالأهلة تعرف السنون ، والشهور ، وعليها تتوقف مصالح الناس الدينية والدنيوية ، فبها يعرفون حجهم ، وصومهم ، وإخراج زكاتهم ، وحلول آجال ديونهم ونحوها ، وليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل ، فتركها لعقول الناس ، ودراساتهم أولى . ولاسيما أنه لا يتوقف على معرفته الأمة مثل هذه الأمور فائدة دينية ، والقرآن والسنة النبوية حين يعرضان للحديث عن الكونيات يكون غرضهما انتزاع العبرة ، والاستدلال بما أودع فيهما على وجود الله ـ جل وعلا ـ ، ووحدانيته ، وقدرته ، وعلمه ، وسائر صفاته ولذلك لا نقف فيما صح وثبت من الأحاديث على مثل هذه التفصيلات التى نجدها فى الآثار الضعيفة ، والإسرائيليات الباطلة .

ويعجبنى فى هذا ، ما نقله الألوسى فى تفسيره ، عن بعض العلماء قال : « وذكر بعض الفضلاء ، أنه لم يجىء فى ترتيب الأجرام العلوية ، والسفلية ، وشرح أحوالها كما فعل الفلاسفة عن الشارع شىء ؛ لما أن ذلك ليس من المسائل المهمة فى نظره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وليس المهم إلا التفكر والاستدلال بها على وحدة الصانع ، وجلاله ـ جل شأنه ـ وهو حاصل بما يحس منها ، فسبحان من رفع السماء بغير عمد ومد الأرض ، وجعل فيها رواسى »[2]

---

(1) اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ج ١ ص ٢٤ وما بعدها
(2) تفسير الألوسى ج ١٣ ص ٩٩ ط منير

ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين ، وما يوجد في بعض كتب الحديث في غروب الشمس ، وأنها إذا غربت ابتلعها حوت ، وما يتعلق بالسماوات ، والأجرام السماوية ، ومن أي الجواهر هي ؟ والأرض وعلام استقرت ، وأنها على ظهر حوت ، وما يذكرونه في تعليل برودة الآبار في الصيف ، وسخونتها في الشتاء ، وعن منشأ الرعد والبرق ، وعن سبب السحاب ، إلى نحو ذلك مما لا يصلح وروده عن المعصوم ـ ﷺ ـ ، وما ورد منه موقوفاً ، فمرجعه إلى الإسرائيليات الباطلة ، أو إلى الزنادقة الذين أرادوا أن يظهروا الإسلام بمظهر العلم الخرافي الذي ينافي العلم ، والسنن الكونية

فقد روي عن أبي أمامة الباهلي : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **وُكِّل بالشمس تسعة أملاك ، يرمونها بالثلج كل يوم ، لولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقته** » رواه الطبراني

وفي أحد رواته عفير بن معدان ، وهو ضعيف جداً . ولو أن الحديث صحيح السند ، وثبت ، لتمحلنا ، وقلنا : إنه من قبيل التمثيل ، أما وهو بهذا الضعف ، فليس به درجة دانيا

وعن ابن عمر ، قال : سئل النبي ـ ﷺ ـ فقيل : أرأيت الأرض على ما هي ؟ قال : « **الأرض على الماء** » قيل : فالماء على ما هو ؟ قال : « **على صخرة** » فقيل : الصخرة على ما هي ؟ قال : « **هي على ظهر حوت يلتقي طرفاه بالعرش** » قيل : الحوت على ما هو ؟ قال : « **على كاهل ملك ، قدماه على الهواء** » رواه البزار عن شيخه عبد الله بن أحمد يعني ابن شبيب ، وهو ضعيف وعن الربيع بن أنس قال : « السماء الدنيا موج مكفوف ، والثانية صخرة ، والثالثة حديد ، والرابعة نحاس ، والخامسة فضة ، والسادسة ذهب ، والسابعة ياقوت » رواه الطبراني في الأوسط هكذا موقوفاً على الربيع ، وفيه أبو جعفر الرازي ، وثقه أبو حاتم وغيره ، وضعفه النسائي وغيره[1]

وروى الطبراني في الأوسط بسنده ، فقال : حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي

---

(١) مجمع الزوائد جـ ٨ ص ١٣١

الخطيب ، (قال) : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمي ، (قال) : حدثنا أبوعمران الحراني ، (قال) : حدثنا ابن جريج عن عطاء ، عن جابر بن عبدالله ، أن خزيمة بن ثابت وهو ليس بالأنصاري المشهور - كان في عير لخديجة ، وأن النبي - ﷺ - كان معه في تلك العير ، فقال له : يا محمد ، أرى فيك خصالا ، وأشهد أنك النبي الذي يخرج من تهامة وقد آمنت بك ، فإذا سمعت بخروجك أتيتك ، فأبطأ عن النبي - ﷺ - ، حتى كان يوم فتح مكة أتاه فلما رآه قال : « مرحبا بالمهاجر الأول » و.

ثم قال : يارسول الله : أخبرني عن ضوء النهار ، وظلمة الليل ، وعن حر الماء في الشتاء ، وعن برده في الصيف ، وعن البلد الأمين ، وعن منشأ السحاب ، وعن مخرج الجراد ، وعن الرعد والبرق ، وعن ما للرجل من الولد ، وما للمرأة ؟ ، فقال رسول الله - ﷺ - . أما ظلمة الليل ، وضوء النهار : فإن الشمس إذا سقطت تحت الأرض ، فأظلم الليل لذلك ، وإذا أضاء الصبح : ابتدرها سبعون ألف ملك ، وهي تقاعس كراهية أن تعبد من دون الله ، حتى تطلع ، فتضيء ، فيطول الليل بطول مكثها ، فيسخن الماء لذلك ، وإذا كان الصيف قل مكثها ، فبرد الماء لذلك ، وأما الجراد فإنه نثرة حوت في البحر ، يقال له : « الأيوت » ، وفيه يهلك ، وأما منشأ السحاب : فإنه ينشأ من قبل الخافقين ، ومن بين الخافقين تلجمه الصبا والجنوب ، ويستدبره الشمال والدبور ، وأما الرعد : فإنه ملك بيده مخراق[1] يدني القاصية ، ويؤخر الدانية ، فإذا رفع برقت ، وإذا زجر رعدت ، وإذ ضرب صعقت ، وأما ما للرجل من الولد ، وما للمرأة : فإن للرجل العظام ، والعروق ، والعصب ، وللمرأة اللحم ، والدم ، والشعر ، وأما البلد الأمين : فمكة » .

وقال الهيثمي في زوائده : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه يوسف ابن يعقوب أبوعمران ، ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته ، ولم يذكر تضعيفه عن أحد »[2].

أقول . والحق أن الذهبي حكم ببطلان هذا الخبر ، وقال : إن راويه عن يوسف ابن يعقوب مجهول ، وهو محمد بن عبدالرحمن السلمي المذكور ، وأحر به أن يكون

---

(١) المخراق خرق تفتل ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا والمراد هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب
(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٨ ص ٢٣٢

باطلا ، ورحم الله الإمام الحافظ الناقد أبا عبدالله الذهبي ، الذي أبان لنا قيمة هذه المرويات الباطلة ، من منذ بضعة قرون

وذلك ما قاله الإمام الذهبي بنصه قال : يوسف بن يعقوب أبو عمران عن ابن جريج ، بخبر باطل طويل ، وعنه إنسان مجهول واسمه عبدالرحمن السلمي ، قال العبراني : حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي الخطيب

ثم ذكر الإسناد الذي ذكرته آنفا ، وبعض المتن ، إلا أنه قال : « إن خزيمة بن ثابت الأنصاري » . وقال : ذكره أبو موسى في الطوالات وروى بعضه عبدان الأهوازي ، عن السلمي هذا[1]

فكيف يقول الهيثمي ، ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته ، ولم ينقل تضعيفه عن أحد [2] ! ؟ ــ والله ــ عجب ! ! وقد وافق الذهبي فيما قاله الإمام الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان »[2] ، فقد ذكر ما ذكره الذهبي ، غير أنه قال : عن جابر بن عبدالله : أن خزيمة بن ثابت ــ وليس بالأنصاري ــ كان في عير خديجة ، وذكر القصة السابقة

وما ذكره الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » من أنه ليس بالأنصاري هو الصحيح ، فهو خزيمة بن حكيم السلمي ، ويقال له ، ابن ثابت أيضاً ، كان صهر خديجة أم المؤمنين ، فهو غير خزيمة بن ثابت الأنصاري ، المشهور بأنه ذو الشهادتين قطعاً[3] .

ومما يروى في مثل هذا : ما روي عن صالح بن شرس ، قال : سئل ابن عباس عن المد والجزر ، فقال : إن ملكاً موكلا بناموس البحر ، فإذا وضع رجله فاضت ، وإذا رفعها غاضت » ، قال الهيثمي رواه أحمد وفيه من لم أعرفه ، أقول : والبلاء غالباً ، إنما يكون من المجاهيل

وعن معاذ بن جبل ، عن النبي ــ ﷺ ــ قال : « المجرة التي في السماء هي عرق حية تحت العرش » رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط ، وقال : لا يروى عن

---

(1) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج ٣ ص ٣٣٥ ترجمة رقم ٢٨٦٦ ط السعادة
(2) ج ٦ ص ٣٣٠ ط الهند
(3) الإصابة ج ١ ص ٤٢٧ ترجمة ٢٢٥٨

النبي – ﷺ – إلا بهذا الإسناد ، وفيه : عبد الأعلى بن أبي سحرة ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات ، أقول : والبلاء من هذا الذي لا يعرف .

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « معاذ إني مرسلك إلى قوم أهل عناد ، فإذا سئلت عن المجرة التي في السماء فقل : هي لعاب حية تحت العرش » ، رواه الطبراني ، وفيه : حفص بن المختار وهو ضعيف[1] ، أقول : وأحرى بمثل هذا أن لا يروى إلا من طريق ضعيف .

وكل هذا الذي ذكرناه ، وأمثاله مما لا نصدق وروده عن المعصوم – ﷺ – وإنما هو من أكاذيب بني إسرائيل وخرافاتهم ، أو من وضع الزنادقة الخبثاء ، وألصق بالنبي زورا ، وما كان رسول الله – ﷺ – ليتكلم في الكونيات ، والفلكيات ، وأسباب الكائنات بهذا التفصيل ، كما حققت لك آنفا ، وفي هذه المرويات من السذاجة العلمية ، والتهافت ، ما لا يليق بعاقل ، فضلاً عن أعقل العقلاء ، الذي ما كان ينطق عن الهوى – ﷺ –

وأيضاً ، فهذه التعليلات لا تتفق هي والمقررات العلمية المستقرة الثابتة ، التي أصبحت في حكم اليقينيات اليوم ، ولا أدري ، كيف يكون حال الداعية إلى الإسلام اليوم في البلاد المتقدمة في العلم والمعرفة إذا لهج بمثل هذه الأباطيل التي تضر بالدين أكثر مما ينال منه أعداؤه ؟ ولو أن هذه المرويات كانت في كتب معتمدة من كتب الحديث ، والرواية التي تعنى بذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة ، لكان للمتعصبين لها بعض العذر ، أما وهي كما علمت غير معتد بها لضعف أسانيدها ، ومخالفتها للعقل ، والعلم اليقيني ، فلنضرب بها عرض الحائط ولا كرامة ، ولكن إفسادها العقول والأفكار أحقابا من الزمان ، ورحم الله أئمتنا الأوائل الذين نبهوا إليها ، وبينوا زيفها ونقدوها .

ما ذكره المفسرون في الرعد والبرق في كتبهم

ومعظم كتب التفاسير بالمأثور وغيره ذكرت : أن الرعد : اسم ملك يسوق السحاب ، وأن الصوت المسموع صوت زجره السحاب ، أو صوت تسبيحه ، وأن البرق أثر من المخراق الذي يزجر به السحاب ، وهب ينبعث منه ، على أن المخراق من نار ، وذلك عند

---

(١) مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٣٥

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [1] الآية ، ويكاد لم يسلم من ذلك أحد منهم ، إلا أن منهم من يحاول أن يوفق بين ظاهر الآية وما قاله الفلاسفة الطبيعيون في الرعد والبرق فيؤول الآية ، ومنهم : من يبقى الآية على ظاهرها ، ويجي بالأئمة على الفلاسفة وأضرابهم ؛ الذين قاربوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه العلماء في العصر الحديث في تفسير الخازن [2] . قال : أكثر المفسرين ؛ على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب ، والصوت المسموع منه تسبيحه ، ثم أورد على هذا القول أن ما عطف عليه وهو قوله تعالى : ﴿ والملائكة من خيفته ﴾ يقتضي أن يكون المعطوف عليه مغايراً للمعطوف لأنه الأصل ثم أجاب : بأنه من قبيل ذكر الخاص قبل العام تشريفاً !

وقد بسط الإمام الألوسي في تفسيره ــ كما هي عادته ــ الأقوال في الآية ، وذكر أن للعلماء في إسناد التسبيح إلى الرعد قولين ، أن في الكلام حذفاً : أي سامعو الرعد أو أن الإسناد مجازي من قبيل الإسناد إلى السبب والحامل عليه . والباء في « بحمده » للملابسة ، أي يسبح السامعون لذلك الصوت متلبسين بحمد الله ، فيقولون : سبحان الله . والحمد لله .

ومن العلماء من قال : إن تسبيح الرعد بلسان الحال لا بلسان المقال حيث شبه دلالة الرعد على قدرة الله وعظمته ، وبحكم صنعته ، وتنزيهه عن الشريك والعجز ، بالتسبيح والتنزيه ، والتحميد اللفظي ، ثم استعار لفظ يسبح لهذا المعنى ، وقالوا : إن هذا المعنى أنسب ، وأبعد من الآخر .

وكل هذا من العلماء في الحقيقة تخلص من حمل الآية على ظاهرها ، وأن المراد بالرعد ، الملك الموكل بالسحاب ، ثم قال الألوسي : والذي اختاره أكثر المحدثين : أن الإسناد حقيقي ، بناء على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب ، فقد روى أحمد ، والترمذي وصححه ، والنسائي ، وآخرون عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، أن اليهود سألوا رسول الله ــ ﷺ ــ فقالوا : أخبرنا ما هذا الرعد ؟ فقال ــ عليه الصلاة

---

(1) الرعد : ١٣

(2) ج ٣ ص ٧٠

والسلام ـ : « ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب ، بيديه مخراق من نار ، يزجر به السحاب ، يسوقه حيث أمره الله ـ تعالى ـ » ، قالوا : فما ذلك الصوت الذى نسمعه ؟ قال : « صوته » قالوا : « صدقت » .

وهذا الحديث ـ إن صح ـ يمكن حمله على التمثيل ، ولكن لا يطمئن قلبى إليه ، ولا أكاد أصدق وروده عن المعصوم ـ ﷺ ـ وإنما هو من إسرائيليات بنى إسرائيل ألصقت بالنبى ـ ﷺ ـ زورا ، ثم كيف تلائم ما روى مع قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ ، فالآية فى بيان قدرة الله وعظمته فى إحداث هذه الآيات الكونية على حسب ما خلقه الله فى الكون من نواميس ، وأسباب عادية ، وإنما المناسب ، أن يفسر تسبيح الرعد بلسان الحال ، وعطف الملائكة على الرعد يقتضى أن يكون الرعد غيرها لما ذكرت ، وكأن السر فى الجمع بينهما بيان أنه تواطأ على تعظيم الله وتنزيهه الجمادات والعقلاء ، وأن ما لا يعقل منقاد لله وخاضع لا فرق العقلاء سواء سواء ، ولاسيما الملائكة الذين هم مفطورون على الطاعة والانقياد ، ومن الحق أن نذكر : أن بعض المفسرين كانت لهم محاولات ، بناء على ما كان من العلم بهذه الظواهر الكونية فى عصرهم جادة ، فى تفسير الرعد والبرق ، كابن عطية ـ رحمه الله ـ فقد قال وقيل : إن الرعد ريح تختفق بين السحاب ، وروى ذلك عن ابن عباس ، واعترض عليه أبو حيان ، واعتبر ذلك من نزعات الطبيعيين ، مع أن قول ابن عطية أقرب إلى الصواب من تفسير الرعد بصوت الملك الذى يسوق السحاب ، والبرق بضوء مخراقه ، وقد حاول الإمام الرازى التوفيق بين ما قاله المحققون من الحكماء ، وما ورد فى هذه الأحاديث والآثار ، وقد أنكر عليه أبو حيان هذا أيضاً .

ثم ذكر الإمام الآلوسى آراء الفلاسفة فى حدوث الرعد ، والبرق ، وتكون السحاب وأنه عبارة عن أبخرة متصاعدة قد بلغت فى صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء ، ثم تكثفت بسبب البرد ، ولم يقدر الهواء على حملها ، فاجتمعت وتقاطرت ، ويقال له : مطر .

أقول : وقد أصابوا فى تكون السحاب ونزول المطر ، فآخر ما وصل إليه العلم اليوم هو

هذا ، وأما في تكون الرعد ، والبرق ، فقد حاولوا ، وقاربوا ، ولم يصلوا إلى الحقيقة العلمية المعروفة اليوم ، ويحسبهم فضلاً هذا .

وبعد أن ذكر الآلوسي الردود ، والاعتراضات على ما قاله الفلاسفة ، وهي ـ والحق يقال ـ لا تنهض أن تكون أدلة في رد كلامهم قال : وقال بعض المحققين : لا يبعد أن يكون في تكون ما ذكر أسباب عادية ، كما في الكثير من أفعاله ـ تعالى ـ ، وذلك لا ينافي نسبته إلى المحدث الحكيم ـ جل شأنه ـ ، ومن أنصف لم يسعه إنكار الأسباب بالكلية ، فإن بعضها كالمعلوم بالضرورة ، قال : وبهذا أنا أقول[1] وأنا بهذا أيضًا أقول ، وكون الظواهر الكونية جعل الله نواميس خاصة لحدوثها ، لا ينافي قط أنه سبحانه الخالق للكون ، والمدبر له سبحانه ، فهو ـ سبحانه ـ هو الموجد لهذه النواميس ، وهو الموجد لهذه السنن التي يسير عليها الكون ، وإن بعض هذه النواميس وليس أصحاب معرفة فإنكارها باسم الدين ، أو التشكيك فيها ـ ومنها تكون السحب ، وحدوث الرعد ، والبرق ، والصواعق ـ إنما يعود على الدين بالضعف ، وبضره أكثر من طعن أعدائه فيه ، ولعلك على ذكر مما ذكرته عن حجة الإسلام الغزالي ـ رحمه الله ـ في هذا المقام .

أقوال الرسول عند سماع الرعد ورؤية البرق :

وقد وردت أحاديث أخرى صحيح وحسن ، تبين ما كان يقوله ـ ﷺ ـ عند حدوث هذه الظواهر الكونية ، وهي تدل على كمال معرفته بالله ، وأنه سبحانه هو المحدث لها ، وأنها تدل على تنزيه الله ، وتعظيمه ، وحمده . فقد أخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم ، عن ابن عمر قال : « كان رسول الله ـ ﷺ إذا سمع صوت الرعد ، والصواعق قال : **اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك** » ، لأن احتمال الإهلاك والتعذيب بهذه الآيات الكونية أمر قريب ممكن .

وأخرج أبو داود في مراسيله عن عبد الله بن أبي جعفر : أن قومًا سمعوا الرعد فكبروا ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ « **إذا سمعتم الرعد فسبحوا ، ولا تكبروا** » .

---

(١) تفسير الآلوسي ج ١٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ط منير

وذلك . لما فيه من التأدب بأدب القرآن وأسلوبه فى قوله تعالى : ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ ، ولأن دلالته على تنزيه الله من النقص والتشريك أولى من دلالته على التعظيم . وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن عباس أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يقول إذا سمع الرعد : « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »

وأخرج ابن أبى شيبة ، وابن جرير عن أبى هريرة قال : كان ـ ﷺ ـ إذا سمع الرعد قال : « سبحان من يسبح الرعد بحمده » .

فهذا هو اللائق برسول الله ـ ﷺ ـ وبعصمته ، لا ما روى من أن الرعد ملك أو صوت زجره للسحاب ، وأن البرق أثر سوطه الذى يزجر به السحاب

* * *

رأى العلم فى حدوث الرعد ، والبرق ، والصواعق

وإكمالاً للفائدة : سأذكر ما وصل إليه العلم فى حدوث هذه الظواهر الكونية ، فأقول وبالله التوفيق : يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى رحمه الله وأثابه ـ فى كتابه « سنن الله الكونية » :

الرياح والكهربائية الجوية :

إن الكهربائية التى تتولد فى الهواء ـ ولى ذكرت لك بعض مصادرها ـ يكتسبها السحاب عند تكونه على الأيونات التى تحملها تلك الكهربائية فى الطبقات العليا الجوية . ولا يُدرى الآن ، كيف يفصل الله الأيونات السالبة ، من الأيونات الموجبة ، قبل تكاثف البخار عليها إن كان هناك فصل لها ؟ أم كيف يكون السحاب عظيم التكهرب بما نوع من الكهرباء ، وإما بالنوع الآخر ، إذا حدث التكاثف على الأيونات ، وهى مختلطة ، ومهما يكن من سر ذلك ، فإن السحاب مكهرب من غير شك ، كما أثبت ذلك فرانكلن لأول مرة فى عام ١٧٥٢ م وكما أثبت غيره ، عظم تكهربه بشتى الطرق بعده ، وأنت تعرف أن نوعى الكهربائية يتجاذبان ، وأن الموجب والموجب ، أو السالب ، والسالب يتدافعان ، أو يتنافران ، كما تشاء أن تقول

هذا التدافع أو التنافر من شأنه تفريق الكهربائية ، ثم إذا شاء الله ساق السحب

بالريح ، حتى يقترب السحاب الموجب ؛ من السحاب السالب قربًا كافيًا ، في اتجاه أفقي ، أو في اتجاه رأسي أو فيما شاء الله من الاتجاهات ، فإذا اقتربا تجاذبا ، ومن شأن اقترابهما هذا : أن يزيد في كهربائية مجموع السحاب بالتأثير ، ولا يزالان يتجاذبان ، ويتقاربان ، حتى لا يكون مخلص من اختلاطهما واتحاد كهربائيتهما أو من اتحاد كهربائيتيهما من بعد ، وعندئذ تحدث شبه شرارة عظمى كهربائية ، هي البرق الذي كثيرًا ما يرى في البلاد الكثيرة الأمطار

والمطر نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتحاد الكهربائي ، سواء حدث في هدوء أو بالإبراق ، فإذا حدث بهدوء ، حدث بين القطيرات المختلفة في الشحنتين ، فتجتذب كل منها قرينتها أو قريناتها ، حتى تتحد ، وتكون قطرة فيها ثقل ، فتنزل ، وتكبر أثناء نزولها بما تكسب من كهربائية ، وما تجتذب من قطيرات ، أثناء اختراقها السحاب المكهرب ، الذي يكون بعضه فوق بعض في السحب الركام . أما إذا حدث الاتحاد الكهربائي في شدة البرق ، وعنفه ، فإنه يحدث لا بين القطيرات ، ولكن بين الكتل من السحاب ، ويسهل حدوثه تخلخل الهواء ، أي قلة ضغطه في تلك الطبقات

والبرق يمثل قوة كهربائية هائلة ، تستطيع أن تكون فكرة عنها إذا عرفت أن شرارته قد تبلغ ثلاثة أميال ، في طولها أو تزيد ، وأن أكبر شرارة كهربائية أحدثها الإنسان لا تزيد عن بضعة أمتار

فالحرارة الناشئة عن البرق لا شك هائلة ، فهي تمدد الهواء بشدة ، وتحدث مناطق جوية عظيمة مخلخلة ، الضغط داخلها يقل عن الضغط خارجها ، ما دام الهواء داخل المنطقة ساخنًا ، حتى إذا شعشعت حرارته وبردت تلك المناطق برودة كافية ، وما أسرع ما تبرد ، خف منها الضغط ، وصار أقل كثيرًا من ضغط الطبقات الهوائية السحابية المحيطة بها ، فهجمت عليها مجاذبة بحكم الفرق العظيم بين الضغطين وتصدمت فيها ، وحدث لذلك صوت شديد هو : صوت الرعد وهزيمه . هذا الصوت قد يكون له صدى بين كتل السحاب ، يتردد ، فنسميه قعقعة الرعد . أما صوت الشرارة الكهربائية البرقية ، فهو بدء الرعد ، ويكون ضعيفًا بالنسبة هزيمه وقعقعته ، لذلك تسمع الرعد ضعيفًا في الأول ثم يزداد ، كأنما أوله إيذان بتصحيحه ، كما قد تؤذن الطلقة المفردة بانطلاق بطاريات

برمتها ، من المدافع الضخمة في الحروب ، فالرعد يحدث لا عند اتحاد الكهربائيتين حين يحدث البرق فقط ، ولكن يحدث أكثره بعد ذلك عند تمدد الكتل الهوائية الداخلة في المنطقة المفرغة ، وهي إذا تمددت بردت برودة شديدة ، فيتكاثف ما فيها من البخار ، ومن ثم تكثر السحب ، فينزل على الأرض إما مطرًا ، وإما بردًا ، حسب مقدار البرودة الحادثة في تلك المناطق . وهذا هو السبب في أن الرعد والبرق يعقبهما في الغالب مطرات شديدة ، سواء أكانت المطرة مائية ، أم بردية ، وقطرات الماء أو حبات البرد تنمو بعد ذلك باختراقها كتل السحاب المتراكم تحت المنطقة التي حدث فيها التفريغ (١)

الصواعق :

وقد يحدث التفريغ الكهربائي بين السحاب والأرض ، بدلاً من بين السحاب والسحاب ، وهذا يكون عادة إذا كان السحاب عظيم الكهربائية ، قريبًا من الأرض ، فإذا حدث التفريغ ظهر له كالعادة ضوء وصوت ، سمي مجموعهما بالصاعقة ، أي أن الصاعقة ، تفريغ كهربائي بين السحاب والأرض ، إذا أصاب حيوانًا أو نباتًا أحرقه . وهو يحدث أكثر ما يحدث بين الأجسام المدببة على سطح الأرض من شجر أو نحوه ، وبين السحاب ، ولذا كان من الخطأ الاستظلال بالشجر ، أو المظلات في العواصف ذات البرق ، على أن الإنسان قد استخدم سهولة حدوث التفريغ بين الأجسام المدببة ، والسحاب لوقاية الأبنية من الصواعق ، وذلك بإقامته على سطوحها قضبانًا حديدية أو نحاسية ، مدببة الأطراف ، بحيث يكون طرف القضيب المدبب أعلى قليلاً من أعلى نقطة في البناء ، والطرف الآخر متصلاً بلوح فلزي مدفون في أرض رطبة ، ومن شأن الأطراف المدببة ، أن يكون كل منها بابًا تخرج منه الكهربائية المتجمعة على السطح تدريجًا إلى السحاب الذي يظله ، فيحدث التفريغ ، أي الاتحاد بين كهربائية الأرض ، وكهربائية السحاب تدريجًا ، فيمتنع ذلك التفريغ الفجائي المعروف بالصاعقة ، على أنه إذا نزلت الصاعقة بالبناء رغم ذلك فالأرجح جدًا ، أنها تصيب القضيب المدبب أول ما تصيب ، وتنصرف الكهربائية إلى الأرض ، بدلاً من أن تدك البناء ، ولهذا يسمى مثل هذا القضيب المدبب الموصل إلى الأرض ، بمانعة الصواعق ، وقد وجدوا أن السطح الخارجي

---

(١) سنن الله الكونية ص ١٥٨ ـ ١٦

المصعب هو الطريق الذي تمر به الكهربائية إلى الأرض ، لذلك كلما كان هذا السطح أكبر كان التصريف أعظم ، والأشياء أخص ، وتلك كانت الصواعق تفعل في حفظ الأبنية ، من مثل كتبنا من الأملاء(1)

* * *

جبل قاف المزعوم . وحدوث الزلازل

ومن ذلك : ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ فقد ذكر صاحب « الدر المنثور » وغيره ، روايات كثيرة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال : « خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له « قاف » ، سماء الدنيا مرفوعة عليه ، ثم خلق الله - تعالى - من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، واستمر على هذا حتى عد سبع أرضين ، وسبعة أبحر ، وسبعة أجبل ، وسبع سماوات » .

وهذا الأثر لا يصح سنده عن ابن عباس ، وفيه انقطاع ، ولعل البلاء فيه من المحذوف ، ولو سلمنا صحته عنه : فقد تلقاه من الإسرائيليات .

وأخرج ابن أبي الدنيا ، وأبو الشيخ عنه أيضاً ، قال : خلق الله تعالى - جبلاً يقال له قاف ، محيط بالعالم ، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض ، فإذا أراد الله - تعالى - أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية ، فيزلزلها ، ويحركها ، ثم تحرك القرية دون القرية .

وكل ذلك كما قال القرافي لا وجود له ، ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه ، وهو من خرافات بني إسرائيل التي يقع في كلامهم الكذب ، والتغيير ، والتبديل ، دست على هؤلاء الأئمة ، أو تقبلوها بحسن نية ورووها بأسانيدها ، لا اعتقاداً بصحتها . والحمد لله أن وجد في علماء الأمة من رد هذا الباطل ؛ ونبه له قبل أن تتقدم العلوم الكونية كما هي عليه اليوم . ومن العجيب : أن يتعقب كلام القرافي ابن حجر الهيتمي فقال : ما جاء عن ابن عباس مروي من طرق خرجها الحفاظ وجماعة ممن التزموا تخريج الصحيح ، وقول

---

(1) سنن الله الكونية ص ١٦٢

الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه ، حكمه حكم المرفوع إلى النبي .

وأنا أقول للشيخ الهيتمي : إن تخريج من التزم الصحة ليس بحجة ، وكم من ملتزم شيئاً لم يف به ، والشخص قد يسهو ويغلط مع عدالته ، وأنظار العلماء تختلف ، والحاكم على جلالته ، صحح أحاديث حكم عليها الإمام الذهبي وغيره بالوضع ، وكذلك ابن جرير على جلالته ، أخرج روايات في تفسيره ، حكم عليها الحفاظ بالوضع والكذب ، ولو سلمنا صحتها عن ابن عباس ، فلا ينافي ذلك أن تكون من الإسرائيليات الباطلة ، كما قلت غير مرة .

وأما أن لها حكم الرفع فغير مسلم ، لأن المحققين من أئمة الحديث على أن ما لا مجال للرأي فيه له حكم الرفع ، إذا لم يكن الصحابي ممن عرف بأنه يأخذ عن مسلمة أهل الكتاب ، وابن عباس ممن أخذ عنهم .

ثم إني أقول للهيتمي ومن يرى رأيه : أي فائدة تجنى من وراء هذه المرويات التي لا تتقبلها عقول تلاميذ المدارس ، فضلاً عن العلماء ؟؟ اللهم إلا أنها صارت ـ بالانتصار لها ـ باباً للطعن في عصمة النبي ـ ﷺ ـ ، وإذا جاز هذا في عصور الجهل والخرافات فلا يجوز اليوم ، وقد أصبح رواد الفضاء يطوفون حول الأرض ، ويرونها معلقة في الفضاء بلا عمد ، ولا حبال ، ولا جبل ، ولا صخرة استقرت عليها الأرض ، فهذه الإسرائيليات مخالفة للحس والمشاهدة قطعاً ، فكيف نتعلق بها ؟!

ورحم الله الإمام الآلوسي حيث قال : والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي ، من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس ، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك ، والطعن في صحة الأخبار ، وإن كان جماعة من رواتها ممن التزم تخريج الصحيح أهون من تكذيب الحس ، وأمر الزلازل لا يتوقف أمرها على ذلك الجبل ، بل هي من الأبخرة ، يعني المتولدة من شدة حرارة جوف الأرض ـ وطلبها الخروج ، مع صلابة الأرض ـ يعني فيحصل هذا الاهتزاز وإنكار ذلك مكابرة عند من له عرق من الإنصاف[1] . ولا أدري لو أن الإمام الجليل الآلوسي عاش

(١) روح المعاني للآلوسي ج ٢٦ ص ١٢٠

في عصرنا هذا ، ووقف على ما وقفنا عليه من عجائب الرحلات الفضائية ، ماذا كان يقول ؟ . إن كل مسلم ينبغي أن يكون له من العقل الواعي المتفتح ، والنظر الثاقب المجدد ما لهذا الإمام الكبير .

وإليك ما قاله عالم حافظ ناقد ، سبق الإمام الألوسي بنحو خمسة قرون[1] : فقد قال في تفسيره عند هذه الآية : وقد روى عن السلف أنهم قالوا : (ق) : جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف ، وكأن هذا والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم ، مما لا يصدق ، ولا يكذب ، وعندي : أن هذا ، وأمثاله ، وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افترى في هذه الأمة ، مع جلالة قدر علمائها ، وحفاظها ، وأئمتها أحاديث عن النبي - ﷺ - ، وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمر بني إسرائيل مع طول المدى ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته . وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » ، فيما قد يجوزه العقل ، فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل ، والله أعلم[2] .

قال : وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين ، وكذا طائفة كثيرة من الخلف ، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب ، في تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم - ولله الحمد والمنة - حتى أن الإمام أبا محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمة الله عليه أورد هنا أثراً غريباً ، لا يصح سنده عن ابن عباس ، ثم ساق السند ، والمتن الذي ذكرناه آنفاً .

ثم قال : فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع - أي راو سقط من رواته - والذي رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - عز وجل - (ق) ، هو اسم من أسماء الله - عز وجل - ، والذي ثبت عن مجاهد - وهو من تلاميذ ابن عباس الملازمين

---

(1) الإمام ابن كثير توفي سنة ٧٧٤ هـ والإمام الألوسي توفي سنة ١٢٧٠ هـ
(2) تفسير ابن كثير والبغوي ج ٨ ص ٣٧

له ، المشركين لعلمه أنه حرف من حروف هجاء ، كقوله تعالى ﴿ص . ق . حم . طس . الم﴾ ، فهذا بعد ما تقدم عن ابن عباس - رضى الله عنهما (١)

* * *

الإسرائيليات فى تفسير ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾

ومن ذلك ما ذكره كثير من المفسرين فى قوله تعالى ﴿ن والقلم﴾ من أنه الحوت الذى على ظهره الأرض ، ويسمى « اليهموت » ، وقد ذكر ابن جرير ، والسيوطى روايات عن ابن عباس ، منها « أول ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، وخلقت منه السماوات ، ثم خلق النون ، فبسطت الأرض عليه ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض(٢) ، فأثبتت بالجبال ، وقد روى عن ابن عباس أيضاً أنه الدواة ، ولعل هذا هو الأقرب ، والمناسب لذكر القلم ، وقد أنكر الزمخشرى ورود نون بمعنى الدواة فى اللغة ، وروى عنه أيضاً : أنه الحرف الذى فى آخر كلمة « الرحمن » ، وأن هذا الاسم الجليل فرق فى : « الر » و « حم » و « ن » .

واضطراب النقل عنه يقلل الثقة بما روى عنه ، ولاسيما الأثر الأول عنه ، والظاهر أنه افترى عليه ، أو هو من الإسرائيليات ألصق به

ولنثبت ما قاله إمام حافظ ناقد ، من مدرسة اشتهرت بأصالة النقد ، وهو الإمام ابن قيم الجوزية ، قال فى أثناء كلامه على الأحاديث الموضوعة « ومن هذا حديث أن قاف جبل من زمردة خضراء ، محيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان ، والسماء واضعة أكنافها عليه »

ومن هذا : حديث « أن الأرض على صخرة ، والصخرة على قرن ثور ، فإذا حرك الثور قرنه ، تحركت الصخرة ، فهذا من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسل

---

(١) المرجع السابق
(٢) تحركت ومالت

وقال الإمام أبو حيان في تفسيره: لا يصح من ذلك شيء [illegible] كونه [illegible] من أسماء حروف الهجاء.

* * *

الموضوعات وكتب التفسير

وكذلك [illegible] بعض كتب التفسير من أحاديث موضوعة في فضائل السور والآيات [illegible] وكذلك [illegible] لم يصح من أسباب النزول وفي نقل السيرة النبوية ﷺ — كقصة الغرانيق، وزواجه ببعض أزواجه، وهي السيدة زينب بنت جحش — رضي الله عنها.

ومن هذه الموضوعات ما هو حق مليء (إليكه) ألا [illegible] [illegible] الزنوب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على بعض الصحابة وأهل العلم [illegible] في كتبهم [illegible] [illegible] [illegible] وتذكيرهم [illegible]

ومن [illegible] من [illegible] في حقيقة الحديث [illegible] وهي [illegible] وأخرى [illegible] العصمة المعصومين، وقد أجمع أئمة العلماء على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [illegible] فقد ردوا بعض هذه المكذوبات من جهة العقل والنظر، ولم يستعينوا في نقدها من جهة النقل [illegible] الرواية، ولكن على أن [illegible] أشترط [illegible] [illegible] في نقدها من جهة السند [illegible] [illegible] وأخرى من جهة نقد المتن [illegible] الخارجي، والسند لا يبقى معه أية شبهة في [illegible] [illegible] الساقطات من درجة الاعتبار.

ومن هذه [illegible] [illegible] ما أجمع العلماء على الحكم بوضعه، واختلاقه، [illegible] [illegible] على كلامهم [illegible] [illegible] ولا سهلا على كل قارئ هذه

---

(١) [illegible] أبو [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حروف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذه الحروف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﷺ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

التفاسير ، فمن ثم : وقع فيما وقع فيه الكثيرون من الاغترار بهذه المرويات ، وأمثالها ، وزعمهم أن لها أصلاً ، فكان علي أن أبحث ، وأنقب ، وأضع بين يدي القارئ ما قاله الأئمة حتى يكون على حذر منها ، ومنها ما حذف فيه أئمة كثيرون منهم من حكم برفعه ، ومنهم من حكمت عليه صنعته الحديثية ، فاقتصرت ، وجعل لها أصلاً ، ولكنه ركب تعسف في بيان المراد منها ، وذلك كقصة الغرانيق ، فكان لزاماً على أن أرد عليهم بمقتضى القواعد الحديثية نصًّا بين أحدهما من كتب الأئمة . وعليها تشددنا

لذلك رأيت يجمع بمعتده ، وبكلا للبحث أن أتعرض لما وصل إليه علمي من الموضوعات بعد الفراغ من الإسرائيليات ، وأكشف عن دلالة البعض في تزييف هذه الموضوعات ، ومن الله أستمد العون والتوفيق فانهم أعن وسدد

* * *

الأحاديث الموضوعة في فضائل السور والآيات

لقد وضعت أحاديث كثيرة في فضائل السور والآيات ، وقصد واضعوها ترغيب الناس في قراءة القرآن الكريم ، وزعموا أن في ذلك حسبة إلى الله ـ تعالى ـ ، وقد بينت فيما سبق غلطهم ، وفساد مقصدهم ، وبطلان زعمهم ، وأن ذلك داخل تحت الوعيد ، في قوله ـ ﷺ ـ « من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » رواه الشيخان وغيرهما ، وأنه لا فرق بين الكذب عليه ، والكذب له .

١ ـ حديث أبي بن كعب الطويل :

فمن ذلك الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ في فضائل القرآن سورة سورة

فقد بحث مؤمل بن إسماعيل ، حتى وصل إلى من اعترف بوضعه ، قال مؤمل : حدثني شيخ بهذا الحديث ، فقلت له : من حدثك بهذا ؟ قال رجل بالمدائن ، وهو حي ، فسرت إليه ، فقلت من حدثك بهذا ؟ قال حدثني شيخ بواسط ، فسرت إليه ، فقلت : من حدثك بهذا ؟ فقال : حدثني شيخ بالبصرة ، فسرت إليه ، فقلت من حدثك بهذا ؟ فقال حدثني شيخ بعبادان ، فسرت إليه فأخذ بيدي ، فأدخلني

بيتًا ، فإذا فيه قوم من المتصوفة ، ومعهم شيخ . فقال : هذا الشيخ الذي حدثني ، فقلت : ياشيخ من حدثك بهذا ؟ فقال : لم يحدثني أحد . ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن ، فوضعنا لهم هذا الحديث ، ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن[1]

وقد روى هذا الحديث من طريق علي بن زيد بن جدعان ، وعطاء بن أبي ميمونة ، كلاهما عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب ؛ ومن طريق هارون بن كثير ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي أمامة ، عن أبي بن كعب ، ومن طريق آخر ، والحديث بجميع طرقه باطل موضوع[2] ، وروى عن ابن المبارك أنه قال : أظنه من وضع الزنادقة ، ومن ذلك أيضًا : حديث عكرمة ، عن ابن عباس ، في فضائل القرآن سورة سورة فقد سئل عنه واضعه : نوح بن أبي مريم[3] . فقال : رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ، ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة ! ![4]

وقد حفظ المحدثون من ذكر هذه الأحاديث من المفسرين في كتبهم كالثعلبي ، والواحدي ، والزمخشري ، والنسفي ، والبيضاوي ، والمولى أبي السعود ؛ ولكن من برز سنده ، وذكره كالأولين : الثعلبي والواحدي فهو أبسط لعذره ، إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده ، والبحث عن رواته ، وإن كان لا يجوز له السكوت عليه

وأما من لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم ، فخطؤه أفحش ، وعذره أبعد ، وذلك كالآخرين : الزمخشري ، والنسفي ، والبيضاوي وأبي السعود . قال الإمام ابن الجوزي : وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها ، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ، قال : ولا أعجب منهما ؛ لأنهما ليسا من أصحاب الحديث ، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود في كتابه الذي صنفه في :

---

(1) مقدمة ابن الصلاح بشرحها للعراقي ص ١١١ – ١١٣

(2) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ص ١١٧ ، ١١٨

(3) نوح بن أبي مريم لقب بالجامع لجمعه علوما كثيرة ، أخذ الفقه عن أبي حنيفة ، وابن أبي ليلى ، والتفسير عن الكلبي ، والمغازي عن محمد بن إسحاق ، والحديث عن حجاج بن أرطاة ، قيل : إنه كان جامعًا لكل شيء إلا الصدق

(4) مما ينبغي أن يعلم أن المصطفى ، ومن رواه عنه من الثقات براء من اختلاق ذلك على رسول الله ﷺ قطعا وإنما الذي افترى ذلك عليهم وعلى النبي ، نوح وأمثاله من الكذابين الوضاعين

« فضائل القرآن » ، وهو يعلم أنه حديث باطل مصنوع بلا شك [1]

طريقة الثعلبي في ذكر هذا الحديث والواحدي

وقد رجعت إلى تفسير الثعلبي [2] فوجدته يورد بعضه كاملا تارة ، وتارة يقول عن أبي بن كعب ، قال : قال النبي ـ ﷺ ـ ومن ذلك ، ما ذكره في صدر سورة هود ، قال : وعن أبي بن كعب ، قال : قال النبي ـ ﷺ ـ : **« من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق نوحا ، وهودا ، وصالحا ، ولوطا ، وموسى »**

وفي صدر سورة يوسف قال : وعن أبي بن كعب ، قال : قال النبي ـ ﷺ

« اقرأوا سورة يوسف ، فإنه ما من مسلم تلاها وعلمها أهله إلا هوّن الله عليه سكرات الموت ، وأعطاه القوة أن لا يحسد أحدا »

وكذلك الواحدي يذكر الفضائل في أول السورة ، ليكون أدعى إلى عناية القارئ وتنشيطه .

طريقة الزمخشري ومتابعيه :

أما الزمخشري ومتابعوه فإنهم يذكرون الفضائل في آخر السورة وقد سئل الزمخشري عن هذا ، فأجاب بأن الفضائل صفات ، وهي تستدعي الموصوف ، والموصوف مقدم على صفته . كما أنهم لا يذكرون شيئا من السند حتى الصحابي . ونضرب أمثلة لما ذكره الزمخشري وغيره ، من هذا الحديث الطويل عقب كل سورة حتى يكون الأقرب إلى ... منها ومن شاء . وقد لاحظ واضع هذا الحديث أن يذكر فيه ما يكون ملائما لما في السورة

فمن ذلك ، ما ذكروه في آخر سورة آل عمران ، حيث قال : « وعن رسول الله ـ ﷺ ـ **من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم** » . وعنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة ، صلى الله عليه وملائكته ، حتى تحجب الشمس** »

---

(١) اللآلئ المصنوعة ج ١ ص ٢٢٨
(٢) هو مخطوط بمصر في مكتبة الأزهر

فقال في آخر سورة الممتحنة: وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الممتحنة أعطي من الأجر عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا».

* * *

أحاديث موضوعة عن غير أبي بن كعب

وقد يذكر بعض المفسرين في فضائل السور أحاديث موضوعة عن غير أبي بن كعب، ومثال ذلك ما ذكره الزمخشري والبيضاوي في فضل الفاتحة، فقالا: عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب: الحمد لله رب العالمين، فيرفع الله عنهم العذاب أربعين سنة».

قال زين الدين العراقي في تخريجه لأحاديث البيضاوي: وهذا الحديث مروي كذا ... من وضع أحدهما(١).

وقد يذكر المفسرون في فضائل الآيات ما لا يعرف لفضله، ومثال ذلك ما ذكره الزمخشري، وتبعه النسفي وغيره، في فضل آية الكرسي(٢) من قوله ﷺ: «ما قرئت هذه الآية في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة. يا علي علمها ولدك، وأهلك، وجيرانك، فما نزلت آية أعظم منها». وكذا الحديث الذي ذكره بعده، وهو أن الصحابة تذاكروا أفضل ما في القرآن، فقال لهم علي رضي الله عنه: أين أنتم عن آية الكرسي؟ ثم قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي، سيد البشر آدم، وسيد العرب محمد ولا فخر، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال الطور، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي». قال الحافظ في تخريجه أحاديث الكشاف: لم أجده.

---

(١) مجالس [illegible] الكشف [illegible]

(٢) الكشاف ج ١ ص ٢٧٩ ط بولاق.

المفسرون قد يذكرون أحاديث صحيحة فى الفضائل

ولا يتوهمن متوهم أن جميع ما ذكره الزمخشرى ، والبيضاوى وأمثالها فى الفضائل موضوع ، فإن هذا لم يقله أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا أهل التحقيق ، فقد ذكرا وغيرهما أحاديث فى غاية الصحة ، وذلك مثل : ما ذكره الزمخشرى ، من قوله ـ ﷺ ـ : «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه» فقد رواه البخارى ومسلم ، وقوله . «أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، لم يؤتهن نبى قبل» ، فقد أخرجه النسائى ، وأحمد[1] .

وكذا ينبغى أن يعلم : أن كل ما ذكره الزمخشرى وأمثاله عن أبى بن كعب يكون موضوعاً ، كلا ، وحاشا ، فقد يذكر عن أبى بن كعب ما هو صحيح أو حسن ، وذلك مثل . ما ذكره فى آخر تفسيره سورة الفاتحة ، حيث قال : وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال لأبى بن كعب . «ألا أخبرك بسورة لم تنزل فى التوراة ، والإنجيل ، والقرآن مثلها ؟ ، قلت : بلى يارسول الله : قال : فاتحة الكتاب إنها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته»[2] أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، والنسائى ، والحاكم ، وصححه على شرط مسلم .

وتفسير الحافظ ابن كثير أجل ما يعتمد عليه فى أحاديث الفضائل ما صح منها ، وما لم يصح والسور التى صحت فى فضائلها الأحاديث : الفاتحة ، والزهراوان ، والأنعام ، والسبع الطوال مجملة ، والكهف ويس ، والدخان ، والملك ، والزلزلة ، والنصر ، والكافرون ، والإخلاص ، والمعوذتان ، وما عداها لم يصح فيها شىء ، وأصح ما ورد فى فضائل السور هو ، ما ورد فى سورة الإخلاص ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

وكذلك : ورد فى فضائل السور أحاديث حسان ، وأحاديث ضعاف لم تصل إلى حد الوضع ، فكن من ذلك على بينة .

* * *

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٩٢ ط بولاق

(٢) الكشاف ج ١ ص ٩ ط بولاق .

ومن الأحاديث والآثار الموضوعة المذكورة في كثير من كتب التفاسير، ما يتعلق بأسباب النزول، وسنذكر منها ما تيسر لي الوقوف عليه، فمنها ما لا ينتبه إليه إلا الحافظ الناقد المتقن، ومنها ما يدركه الحافظ وغير الحافظ، لظهور بطلانها عقلاً ونقلاً، كقصة الغرانيق، وقصة زواجه ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش، وسنعرض لبيان بطلانهما فيما يأتي - إن شاء الله - فمن ذلك ما روي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(1)، فقد روي عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، حينما خرجوا ذات يوم، فاستقبلهم نفر من الصحابة، فقال ابن أبي: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد الصديق، فقال: مرحبا بالصديق سيد بني تيم، وثاني رسول الله في الغار، وأخذ بيد عمر، فقال: مرحبا بالفاروق، ثم أخذ بيد علي، فقال: مرحبا بابن عم النبي، وختنه(2)، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا، فقال ابن أبي لأصحابه: انظروا كيف أرد هؤلاء، فإذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت.

وهو من رواية السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: هو سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب، وآثار الوضع لائحة عليه، وسورة البقرة نزلت في أوائل الهجرة، وعلي إنما تزوج فاطمة في السنة الثانية(3).

وقد ذكر هذا السبب الثعلبي، والواحدي، والزمخشري، والنسفي في تفاسيرهم ولم ينبه أحد منهم إليه ونبه له ابن جرير، فلم يذكره، وكذا ذكره السيوطي في الدر، إلا

---

(1) سورة البقرة: الآية 14.

(2) يعني زوج ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها.

(3) هذا كلام الحافظ الناقد، فهو قد نقده من جهة السند والمتن، وهذا يرد مزاعم المستشرقين ومن تبعهم من أنهم عنوا بنقد السند دون المتن.

أنه قال … سنة … ، وكان عليه أن لا يذكره ، ما دام سندها واهيا . وقد سمعت مقالة الإمام الحافظ : ابن حجر فيه

ومن ذلك : ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ الآية (1)

فقد روى أبو نعيم – في الدلائل – من رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : راعنا بلسان اليهود السب القبيح . فكان اليهود يقولونه لرسول الله سرًّا ، فلما سمعها أصحابه أعلنوا بها ، فكانوا يقولونها ، ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها سعد بن معاذ منهم . فقال : لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه فنزلت

قال الحافظ ابن حجر في تخريجه : السدي الصغير متروك . وكذا شيخه . أقول : وهي سلسلة الكذب كما تقدم . وقد ذكر هذا الزمخشري ، والبيضاوي ، والآلوسي وغيرهم

ومن ذلك : ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (2) فقد أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وغيرهما عن خبّاب بن الأرت ، قال : جاء الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن الفزاري ، فوجدا رسول الله – ﷺ – مع صهيب ، وبلال وعمار ، وخباب قاعدًا في أناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي حقروهم ، وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا مجلسًا يعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، وإذا نحن فرغنا فاقعد معهم . قال : نعم . قالوا : اكتب لنا كتابًا عليك ، فدعا بالصحيفة ودعا عليًا ليكتب ، فنزل جبريل بهذه الآية .

---

(1) البقرة الآية ١٠٤

(2) الأنعام ٥٢

وهذا غير صحيح لأن الآية مكية ، والأنعام نزلت كلها جملة واحدة والأقرع بن حابس ، وعيينة إنما أسلما بعد الفتح ، وهما من المؤلفة قلوبهم ، فكيف يعقل نزول الآية بسبب مقالتهم ؟ والصحيح أن القائل هم المشركون . ولعل هذا السبب هو ما عناه ابن تيمية بقوله في «المنهاج»(1) وكقولهم إن آية ﴿ولا تطرد الذين﴾ نزلت في أهل الصفة فإن هذا كذب مما لا يخفى على من له علم بالحديث .

وقد ذكر هذا السبب الألوسي وغيره ، ولم ينبهوا عليه . إلا أن الخازن عقب بما يدل على عدم صحته . ومن ذلك ما ذكره المفسرون كالزمخشري والنسفي ، والخازن ، وغيرهم في سبب نزول قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾(2) فقد ذكروا أنها نزلت في سيدنا علي رضي الله عنه حين مر به سائل ، وهو في الصلاة ، فطرح له خاتمه . وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع ، كما حكم عليه بالوضع أيضاً الإمام ابن تيمية وابن كثير فقال عنه : وجميع أسانيده لا تخلو من ضعف وجهالة(3) والمعروف عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم ما كانوا مشتغلين في الصلاة بغيرها ، بل كانوا في غاية الخشوع والاستغراق في الصلاة . والركوع هنا على معناه اللغوي ، وهو الخشوع والخضوع .

قصة الغرانيق موضوعة

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾(4)

فقد ذكر بعض المفسرين في سبب ذلك ما رواه السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق بسند صحيح (كما زعم) عن سعيد بن جبير .

---

(1) المنهاج لابن تيمية ج ٤ ص ١١٥ ـ ١١٦
(2) المائدة ٥٥
(3) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٨٣
(4) الحج ٥٢ ـ ٥٤

قال : قرأ النبي ـ ﷺ ـ بمكة ﴿ والنجم ﴾ فلما بلغ : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى . فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، فنزلت ، وأخرجه البزار وابن مردويه ، من وجه آخر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ـ فيما أحسبه ـ وقال : لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد ، وبعد أن ذكر له طرقاً كثيرة قال : وكلها إما ضعيفة ، وإما منقطعة ، سوى طريق سعيد بن جبير الأولى وجعل الطريق وطريقين آخرين مرسلات عند ابن جرير هي معتمد المصححين للقصة ، كابن حجر والسيوطي[1] .

وهذه القصة غير ثابتة : لا من جهة النقل ، ولا من جهة العقل والنظر . أما من جهة النقل ، فقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين ، قال البيهقي وهو من كبار رجال السنة : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وقال القاضي عياض في « الشفاء »[2] : إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون ، المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صحابي ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية ، والمرفوع فيها حديث شعبة ، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب (الشك في وصل الحديث) : « أن النبي كان بمكة وذكر القصة » . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعرفه يروى عن النبي بإسناد متصل ، إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . فقد بين أبو بكر أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه ، مع وقوع الشك فيه ، الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه ، وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه . اهـ وكذا أنكر القصة القاضي أبو بكر بن العربي وطعن فيها من جهة النقل ، وسئل محمد بن إسحاق بن خزيمة ، عن

---

(1) أسباب النزول للسيوطي على هامش تفسير الجلالين ج ٢ ص ١٤ ـ ١٦

(2) جزء ٢ ص ١٢٦ وما بعدها ط عثمانية

هذه القصة ، فقال : هذا من وضع الزنادقة ، وصنف في ذلك كتاباً[1] ، وذهب إلى وضعها الإمام أبو منصور الماتريدي ، في كتاب (حصص الأتقياء) حيث قال الصواب أن قوله : تلك الغرانيق العلى من جملة إيحاء الشياطين إلى أوليائه من الزنادقة ، حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ، ليرتابوا في صحة الدين ، والرسالة بريئة من مثل هذه الرواية .

فها نحن نرى : أن من أنكرها وقضى بوضعها أكثر ممن صححها اعتمادا على روايات مرسلة

اضطراب الرواية

ومما يقلل الثقة بالحديث : اضطراب الروايات اضطراباً فاحشاً ، فقائل يقول : إنه كان في الصلاة ، وقائل يقول : قالها في نادي قومه ، وثالث يقول : قالها وقد أصابته سنة ، ورابع يقول : بل حدث نفسه فسها ، ومن قائل : إن الشيطان قالها على لسانه ، وإن النبي لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك ، وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي قرأها كما رويت : تلك الغرانيق العلى على أخذه عشية ، وكل هذا الاضطراب مما يوهن الرواية ، ويقلل الثقة بها . والحق أبلج ، والباطل لجلج

القصة لم يخرجها أحد ممن التزموا الصحيح .

والقصة لم يخرجها أحد ممن التزموا الصحاح ، ولا أحد من أصحاب الكتب المعتمدة . والذي روي في البخاري — عن ابن عباس : « أن النبي — ﷺ — قرأ : النجم وهو بمكة ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس » . وفي رواية ابن مسعود : « أول سورة أنزلت فيها سجدة : والنجم ، قال : فسجد رسول الله — ﷺ — وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً »[2] أما سجود المسلمين ، فاتباعاً لأمر الله ، وأما سجود المشركين : فلما سمعوه من أسرار البلاغة

---

(1) هكذا قال الرازي في تفسيره — أنه محمد بن إسحق بن خزيمة وفي الآلوسي نقلاً عن تفسير البحر أنه محمد بن إسحق جامع السيرة وقد غلط فيه من ظن أن ابن إسحق جامع السيرة ممن ذكرها في سيرته فاستبعدت منه أن يكون هو الذي عناه ورجحت الأول وابن خزيمة من الحفاظ الكبار توفي سنة ٣١١ هـ

(2) فتح الباري ج ٨ ص ٤٩٨

الفائقة ، وعيون الكلم الجوامع ، مع التهديد والإنذار ، وقد كان العربي يسمع القرآن ، فيخر له ساجداً . أضف إلى ذلك : ما فيه من موافقة الجماعة ، والشخص إذا كان في جماعة يندفع إلى موافقتها من غير ما يشعر ، ولو كان الأمر على خلاف ما يهوى ويحب . وهذا أمر مشاهد . وفي علم النفس ما يؤيده . وذكر البخاري في تفسير سورة الحج وقال ابن عباس : ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ . إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقى الشيطان ، ويحكم آياته ويقال : أمنيته قراءته ، فقد حكى الثاني بصيغة التمريض ، التي تدل على الضعف . وليس في هذا ولا ذاك ما يشير إلى ما يزعمون .

المجمدون للقصة :

ومع ما ذكرنا من قول المحققين في القصة ، فقد حكمت الصنعة والقواعد الاصطلاحية على الحافظ ابن حجر ، فصحح القصة ، وجعل لها أصلاً . قال في « الفتح »[1] في تفسير سورة الحج ، بعد ما ساق الطرق الكثيرة : وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على أن لها أصلاً ، مع أن لها طريقين مرسلين آخرين ، رجالهما على شرط الصحيح ؛ أحدهما ، ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فذكر نحوه . والثاني : ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمد بن سليمان ، وحماد بن سلمة ، فرقهما عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية ، وبعد أن ذكر كلام القاضي أبي بكر بن العربي ، وعياض قال : وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد ، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها : دل ذلك على أن لها أصلاً ، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل ، يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل ، وكذا من لا يحتج لاعتضاد بعضها ببعض . وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما فيها مما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلا . فإنه لا يجوز حمله على ظاهره ، لأنه يستحيل عليه ـ ﷺ ـ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه ، وكذا سهواً إن كان مغيراً ، لما جاء به من التوحيد ، لمكان عصمته ، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك ، وبعد أن ذكر الكثير

---

(1) جزء ثامن ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥

منها . ولم يرتضه ، ارتضى بتصحيح القصة هذا التأويل ، وهو أن النبي ـ ﷺ ـ كان يرتل القرآن ترتيلاً ، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته ، بحيث سمعها من دنا ، فظنه من قوله ، وأشاعها بين الناس . قال : وهو الذي ارتضاه القاضي عياض وأبو بكر بن العربي أ هـ . والقاضيان عياض وأبو بكر رأيهما البطلان نقلاً وعقلاً ولكنهما ارتضيا ذلك تنزلاً على تسليم الصحة .

الذي أجيب به على ما ذكره الحافظ

١ ـ أن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل ، وجعلوه من قسم الضعيف ، لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي ، وحينئذ : يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة ، وعلى الثاني فلا يؤمن أن يكون كذاباً[1] والإمام مسلم قال في مقدمة كتابه . والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة . وقال ابن الصلاح في مقدمته « وذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ، وتداولوه في تصانيفهم » . والاحتجاج به مذهب مالك ، وأبي حنيفة والشافعي ، بشروط ذكرها في رسالته ، ونقلها العراقي في شرح ألفيته ، وقد قالوا في مراسيل أبي العالية : إنها كالريح ، كما في « التدريب » وإني لأذكر الحافظ بما ذكره من الغلاء في الاحتجاج بالمراسيل في مقدمة كتابه لسان الميزان[2]

٢ ـ الاحتجاج بالمرسل إنما هو في الفرعيات التي يكتفى فيها بالظن ، أما الاحتجاج به على إثبات شيء يصادم العقيدة وينافي دليل العصمة فغير مسلم ، وقد قال علماء التوحيد : إن خبر الواحد لو كان صحيحاً لا يؤخذ به في العقائد ، لأنه لا يكتفى فيها إلا باليقين ، فما بالك بالضعيف .

---

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ص ٢٧ ط الاستقامة

(٢) قال الحافظ ابن حجر في مقدمة « لسان الميزان » روى عن شيخ من الخوارج أنه كان يقول بعدما تاب : إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً ، قال الحافظ : وهذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالمراسيل ، إذ بدعة الخوارج كانت في الصدر الأول ، والصحابة متوافرون ، ثم في عصر التابعين ، ومن بعدهم ، وهؤلاء كانوا إذا استحسنوا أمراً جعلوه حديثاً ، وأشاعوه ، فربما سمعه الرجل السني فحدث به ، ولم يذكر من حدثه به تحسيناً للظن به ، فيحمله عنه غيره ، ويجيء الذي يحتج بالمقاطيع ، فيحتج به ، ويكون أصله ما ذكرت ، وهو كلام من الدقة والمتانة بمكان وأنا لا ألزم الحافظ إلا بما قال .

٣ ـ هذا التأويل الذى ارتضاه ما أصححه عند النظر والتأمل ، فهو يوقع متأوله فيما فر منه ، وهو تسلط الشيطان على النبي ، فالتسلط عليه بالمحاكاة ، كالتسلط عليه بالإجراء على لسانه ، كلاهما لا يجوز ، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات ، وإذا سلمنا أن الشيطان هو الذى نطق فى أثناء سكوت الرسول ، فكيف لا يسمع ما حكاه الشيطان ؟ وإذا سمعه ، فكيف لا يبادر إلى إنكارها ؟ والبيان فى مثل هذا واجب على الفور ، وإذا لم يسمع النبي ، ألم يسمع أصحابه ؟ وإذا سمعوا ، فكيف يسكتون ؟ وإذا لم يسمعوا فهل بلغ من تسلط الشيطان أن يحول بينهم وبين السماع ؟

ومثل هذا : ماذكره موسى بن عقبة فى مغازيه : من أن المسلمين ما سمعوها ، وإنما ألقى الشيطان ذلك فى أسماع المشركين ، فهل كان الشيطان يسر فى آذان المشركين دون المؤمنين ؟ ثم كيف يتفق هذا وما روى : من أن النبي حزن حزناً شديداً ، وأن جبريل قال له : ما جئتك بهذا

الحق : أن نسج القصة مهما تأول فيه المتأولون فهو مهلهل متداع لا يثبت أمام البحث .

مصادمة القصة للقرآن المتواتر .

فقد أفادت القصة : تسلط الشيطان على النبي بالزيادة فى القرآن ما ليس منه ، وهو مخالف لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ وأى شخص أحق بهذه العبودية من الأنبياء ـ بله رسول الله ـ ؟ وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ وأى بشر أصدق إيماناً وأقوى توكلا من رسول الله ؟ ، وقد صدق الشيطان ذلك ، كما حكاه الله ـ تعالى ـ عنه بقوله : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ بفتح اللام وكسرها ، ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء ، أو من أشد إخلاصاً منهم ؟

وأما بطلان القصة من جهة العقل والنظر :

فقد قام الدليل وأجمعت الأمة على عصمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مثل ما روى ، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا ، من مدح آلهة العرب وهو كفر ، أو أن

يتسور عليه الشيطان ، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد النبي ذلك ، حتى ينبهه جبريل ، وذلك ممتنع في حقه أن يقوله من قبل نفسه عمداً وهو كفر ، أو سهوا وهو معصوم ، وقد ثبت بالبرهين والإجماع عصمته من جريان ذلك على لسانه ، أو قلبه ، لا عمداً ولا سهواً ، أو يكون للشيطان سبيل عليه في التبليغ ، ولو جوزنا ذلك لذهبت الثقة بالأنبياء ، ولوجد المارقون سبيلاً لتشكيك في الأديان[1]

ووجه آخر لفساد هذه القصة . وهو أن الله ـ تعالى ـ ذم الأصنام في هذه السورة ، وأنكر على عابديها ، وجعلها أسماء لا مسمى لها ، وما التمسك بأذيالها إلا أوهام وظنون ، فلو أن القصة صحيحة : لما كان هناك تناسب بين ما قبلها وما بعدها ، ولكان النظم مفككاً ، والكلام متخاذلاً ، وكيف يقع مدح بين ذمين ؟ ، بل كيف يجوز هذا ممن كمل عقله على كل العقول . واتسع في باب البيان ومعرفة الفصيح علمه ؟ ، وكيف يطمئن إلى مثل هذا التناقض السامعون ، وهم أهل اللسن والفصاحة ، ومنهم أعداؤه الذين يتلمسون له الزلات والعثرات ؟ ، ولو أن ما روى كان واقعاً لشغب المعادون ، وارتد الضعفاء من المؤمنين ، ولقامت قيامة مكة ، كما حدث في الإسراء ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن .

ووجه ثالث : وهو أن بعض الروايات ذكرت : أن فيها نزلت : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾[1] ، وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه ، لأن الله ذكر أنهم كادوا يفتنونه ولولا أن ثبته لكاد يركن إليهم ، ومفاده : أن الله عصمه من أن يفتري ، وثبته ، حتى لم يكد يركن إليهم ، فقد انتفى قرب الركون فضلاً عن الركون ، لمكان العصمة والتثبيت ، وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون ، بل افترى بمدح آلهتهم وهذا ضد مفهوم الآيتين ، وهو تضعيف للحديث لو صح ، فكيف ولا صحة له ؟ ولقد طالبته قريش وثقيف ، إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ، ووعدوه الإيمان به إن فعل ، فما فعل ، ولا كان ليفعل ، فكيف يدعي المتخرصون أنه مدح أصنامهم ؟

ومما يدل على اختلاق القصة : ما ذكره الأستاذ الإمام الشيخ : محمد عبده في رده

---

(1) الشفاء للقاضي عياض ص ١١٩ جزء ثان ط عثمانية
(1) الإسراء الآيتان ٧٣ ، ٧٤

هذه الفرية ، وهو : أن وصف العرب لآلهتهم بالغرانيق لم يرد لا في نظمهم ولا في خطبهم ، ولم ينقل عن أحد : أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم ، إلا ما جاء في : « معجم ياقوت » من غير سند ولا معروف بطريق صحيح ، والذى تعرفه اللغة : أن الغرنوق والغرانيق : اسم لطائر مائي أسود أو أبيض ، ومن معانيه : الشاب الأبيض الجميل ، ويطلق على غير ذلك (راجع القاموس) ، ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الآلهية والأصنام ، حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذى يعرض على أمراء الفصاحة والبيان ، ولا يجوز أن يكون هذا من قبيل المجاز ، بتشبيه الأصنام والآلهة بالغرانيق ، لأن الذوق الأدبي العربي يأبى ذلك .

زعم مردود :

وقد حاول أحد أعداء الدين ، وهو : « سيرموير » المستشرق : الذى طبل لهذه القصة وزمر ، أن يدعمها بما يزعم أنه صحيح ، وهو ما روى : أن النبي لما قال ذلك ، تهادن المسلمون والمشركون ، وترامى الخبر إلى مهاجرى الحبشة ، فرجعوا إلى وطنهم ، وهو باطل ، والسبب في رجوع مهاجرى الحبشة ، هو . إسلام السيد الهمام : عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقد أعز الله به الإسلام ، وقوى شوكة المسلمين ، فخفف المشركون من غلوائهم مما رغب مهاجرى الحبشة في الرجوع إلى وطنهم ، وانضم إلى ذلك : حدوث ثورة في بلاد النجاشي ، كان اعترافه بأن ما جاء به القرآن في عيسى وأنه عبد الله ورسوله حق مصدق لما جاء به الإنجيل ، وإيواؤه المسلمين بعض أسبابها ، فآثر المسلمون العودة على المقام بالحبشة ، خشية أن يتطاير إليهم بعض الشرر و الضرر .

وإذا كانت القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وهي مخالفة للقرآن المتواتر ، ومناقضة لما ثبت بالعقل ، مع تعذر التأويل ، فلا جرم . أن التحقيق يدعونى إلى أن أصدع بأن حديث الغرانيق مكذوب مختلق وضعه الزنادقة ، الذين يحاولون إفساد الدين والطعن في خاتم الأنبياء .

وإذ قد انتهينا إلى هذه النتيجة الموفقة : فما معنى الآية حينئذ ؟ وللإجابة عن ذلك أذكر خلاصة ما ذكره الأستاذ الإمام في تفسيرها . وفي تفسيرها وجهان : الأول ، أن

التمني بمعنى القراءة(١) إلا أن الإلقاء لا بالمعنى الذي ذكره المبطلون ، بل بمعنى إلقاء الأماني والشبه مما تحتمله الكلام ، ولا يكون مراداً للمتكلم ، أو لا يحتمله ، ولكن بمعنى أن ذلك يؤدي إليه ، وذلك من عمل المخادعين ، الذين دأبهم محاربة الحق ، يتعقبون أسبابه ، ويسعون وراء الريبة ، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان حينئذ لأنه مثير الشبهات بوساوسه ، ويكون معنى «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا» حدث قومه عن ربه ، أو تلا وحيا أنزل الله فيه هداية لهم ، قام في وجهه مشاغبون يتقولون عليه ما لم يقله ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، وينشرون ذلك بين الناس ، ولا يزال الأنبياء يجالدونهم ويجاهدون في سبيل الحق ، حتى ينتصر ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان من شبه ، ويثبت الحق ، وقد وضع سبحانه هذه سنة في الخلق ليميز الخبيث من الطيب ، فيفتن ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض ، ثم يتمحص الحق عند أهله ، وهم الذين أوتوا العلم ، فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وتخبت له قلوبهم .

ثانياً — أن التمني المراد به تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما كان ويكون ، والأمنية من هذا المعنى «وما أرسل الله من رسول ، ولا نبي يدعو قومه إلى هدى جديد ، أو شرع سابق إلا وغايته مقصوده ، وجل أمانيه ، أن يؤمن قومه ، وكان نبينا من ذلك في المقام الأعلى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ، ويكون المعنى «وما أرسلنا من رسول ولا نبي ، إلا إذا تمنى هذه الأمنية السامية ، ألقى الشيطان في سبيله عثرات ، وأقام بينه وبين مقصده العقبات ، ووسوس في صدور الناس ، فثاروا في وجهه ، وجالدوه بالسلاح حيناً وبالقول حيناً آخر ، فإذا ظهروا عليه وانتصروا في بدايتها ، وتأخر نصره وهو قليل الأتباع ، ظنوا أن الحق في جانبهم ، وقد يستدرجهم الله جرياً على سنته ، فتعلو الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا ، فيفتن بذلك الذين في قلوبهم شك ونفاق ، ولكن سرعان ما يمحق الله ما ألقاه الشيطان من الشبهات ، ويتبين من ضعف أنصاره بالآيات قوة ، ومن ذلهم عزة ، ويكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى لتعم

---

(١) هذا التفسير ورد في صحيح البخاري معلقاً إلا أنه جعله مرجوحاً لا راجحاً وكذلك أشار إلى وجه ثان وهو تفسير التمني بالتشهي وجعله هو الراجح (صحيح البخاري كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة الحج)

الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق ، فتخبت له قلوبهم ، وإن الله هادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم . هذا هو الحق ، وما عدا ذلك فهو باطل .

٣ - إبطال ما ورد في قصة السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها

ومن ذلك : ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1] .

فقد روى عن قتادة وابن زيد[2] أن رسول الله ـ ﷺ ـ ذهب إلى بيت زيد في غيبته فرأى زينب في زينتها ، وفي رواية : أن الريح كشفت عن ستر بيتهم ، فرآها في حسنها ، فوقع حبها في قلبه فرجع وهو يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان مقلب القلوب ، فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله ، فذهب زيد ، وقال : بلغني أنك أتيت منزلي ، فهلا دخلت يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتك ، فأفارقها ، فقال له رسول الله : أمسك عليك زوجك ، واتق الله ، فنزلت الآية . وقد ذكر هذا السبب في تفسير الجلالين ، وفسر المفسر الجلال الآية على هذه الرواية ، فيقول : وتخفى في نفسك ما الله مبديه ـ تظهره من محبتها ، وأن لو فارقها زيد تزوجتها ، وذكر مثله الزمخشري ، والنسفي ، وابن جرير ، والثعلبي ، وغيرهم ، إلا أن ابن جرير ذكر بجانب هذا الباطل المدسوس رواية تتفق مع الواقع والحق ، وذكر مثل هذه الروايات الباطلة ، التي ليس لها من شاهد من نقل ولا عقل ، غفلة شديدة ، وإن كان من برز سنده فيها أخف ، وهذه الرواية إنما هي من وضع أعداء الدين ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم متهم بالكذب ، والتحديث بالغرائب ، ورواية للموضوعات ، ولم يذكر هذا إلا المفسرون والإخباريون المولعون بنقل

(١) الأحزاب : ٣٧ .

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما بين ذلك الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف .

كل ما وقع تحت أيديهم من غث أو سمين ، ولم يوجد شيء من ذلك في كتب الحديث المعتمدة التي عليها المعول عند الاختلاف . والذي جاء في الصحيح يخالف ذلك ، وليس فيه هذه الرواية المنكرة ، روى البخاري في صحيحه ، عن أنس بن مالك : أن هذه الآية : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ﴾ : نزلت في شأن زينب ابنة جحش ، وزيد بن حارثة واقتصر على هذا القدر . وليس فيه شيء من هذا الخلط ، وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر رواية قتادة . « ووردت آثار أخرى ، أخرجها ابن أبي حاتم ، والطبري ، ونقلها كثير من المفسرين ، لا ينبغي التشاغل بها ، وما أوردته هو المعتمد » ، وهذه شهادة لها قيمتها : والذي أورده هو ما أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق السدي في هذه القصة ، مساقها سوقاً واضحاً حسناً ، ولفظه : بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ، وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه ، فكرهت ذلك ، ثم رضيت بما صنع رسول الله ، فزوجها إياه ، ثم أعلم الله ـ عز وجل نبيه بعد ، أنها من أزواجه ، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال بين زيد وزينب ما يكون بين الناس ، فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه ، وأن يتق الله ، وكان يخشى أن يعيب عليه الناس ، ويقولوا : تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبنى زيداً . وهذا هو السبب الصحيح ، وروى ابن أبي حاتم أيضاً والطبري ، كل بسنده ، عن علي ابن الحسين بن علي ، قال : أعلم الله نبيه : أن زينب ستكون من أزواجه ، قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد يشكوها وقال له : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك ، قال الله : قد أخبرتك أني مزوجكها ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه[1] . وقال ابن كثير في تفسيره[2] عند قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ : « ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هنا آثاراً عن بعض السلف ـ رضي الله عنهم ـ أحببنا أن نضرب عنها صفحاً ، لعدم صحتها فلا نوردها » .

التفسير الصحيح للآية :

وهاك تفسير الآية الذي يساير روحها ونصها ، وتشهد له الرواية الصحيحة ، وتتحلى

---

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٤٢٥ ط الأزهرية

(٢) جزء ٦ ص ٤٦٠ ط منار

به حكمة الله العالية ، ذلك : أن العرب كان من عادتها التبني ، وكانت تلحق الابن المتبنى بالعصبي ، وتجرى عليه حقوقه في الميراث ، وحرمة زوجته على من تبناه ، وكانت تلك العادة متأصلة في نفوسهم ، كما كان كبيراً أن تتزوج بنات الأشراف من موال ، وإن أعتقوا ، وصاروا أحراراً طلقاء . فلما جاء الإسلام ، كان من مقاصده : أن يزيل الفوارق بين الناس التي تقوم على العصبية ، وحمية الجاهلية ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، وأن يقضي على حرمة زوجة الابن المتبنى ، وقد شاء الله أن يكون أول عتق يتزوج عربية في الصميم من قريش هو زيد ، وأن يكون أول من يبطل هذه العادة ـ حرمة زوجة الابن المتبنى ـ هو رسول الله ، وما على بنات الأشراف أن يتزوجن بعد الموالي ، وقد قبلت السيدة زينب اقترانها بزيد ، وما على سادات العرب أن يتزوجوا بأزواج أدعيائهم ، وقد قضوا منهن وطرًا ، وإمام المسلمين ، ومن يصدع بأمر الله ، قد فتح هذا الباب ، وتزوج حليلة متبناه بعد فراقها ، وقد كان كل ما أراد الله ، فرسول الله يخطب زينب لزيد ، فتأبى ويأبى بعض أهلها ، ويكرر رسول الله الطلب ، وينزل الوحي بذلك : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ فلم يبق إلا الإذعان من زينب وأهلها ، ولكن زيدًا وجد منها تعاظمًا ، فيرغب في فراقها ، ويستشير الرسول ، فنصحه بإمساكها ، وكان جبريل قد أخبر رسول الله بأن زينب ستكون زوجة له ، وسيبطل الله بزواجه منها هذه العادة ، ولكن النبي وجد غضاضة على نفسه أن يأمر زيدًا بطلاقها ، ويتزوجها من بعد ، فتشيع المقالة بين الناس : أن محمدًا تزوج حليلة ابنه ، وبذلك يصير عرضة للقيل والقال من أعدائه ، وهو في دعوته إلى دين الله أحوج إلى تأييد المؤيدين ، فهذا المقدار من خشية الناس حتى أخفى ما أخبره الله به ـ وهو نكاحها ـ هو ما عاتبه الله عليه ، وقد صرح الله في كلامه بالسبب الباعث على هذا الزواج فقال : ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ ، هذا هو التفسير الذي يتفق مع الحق والواقع

وقد نسج المستشرقون ، والمبشرون ، أعداء الدين ، من تلك الروايات المختلقة الواهية

(١) الأحزاب الآية ٣٦

لونًا من الكذب والخيال ، وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبي الطاهر ، كما يصور الشاب المدلّه إحدى غادات المسرح ، وطمعوا في غير مطمع . فالروايات ليس لها أساس من الصحة فبناؤهم على غير أساس .

يقول الدكتور هيكل في « حياة محمد »[1]

ويطلق المبشرون والمستشرقون لخيالهم العنان ، حين يتحدثون عن تاريخ محمد في هذا الموضوع ، حتى ليصور بعضهم زينب ساعة رآها النبي ، وهي نصف عارية أو تكاد ، وقد انسدل ليل شعرها على ناعم جسمها ، الناطق بما يكنه من كل معاني الهوى . ويذكر آخرون أنه حين فتح باب بيت زيد لعب الهواء بستار غرفة زينب ، وكانت ممدودة على فراشها في ثوب نومها ، فخطف منظرها قلب هذا الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها ، فكتم ما في نفسه ، وإن لم يطق الصبر على ذلك طويلاً !! وأمثال هذه الصور التي أبدعها الخيال كثير ، تراه في موير وفي درمنجم وفي وَاشنطنْ إرْفنج ، وفي لامنس ، وغيرهم من المستشرقين والمبشرين

وثمة حجة دامغة تذهب بالقصة من أساسها ، فالسيدة زينب هي : بنت أميمة بنت عبد المطلب ، بنت عمة رسول الله ، وقد ربيت على عينه ، وشهدها وهي تحبو ، ثم وهي شابة ، ولم تحكم صلة القرابة معرفة بها ، وبمفاتنها ، ولا سيما والنساء كن يبدين من محاسنهن ما حرم الإسلام منه بعد . وهو الذي خطبها على زيد مولاه . وكرر العطف ، حتى استجيب له ، روى ابن مردويه عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ لزينب : إني أريد أن أزوجك زيد بن حارثة ، فإني قد رضيته لك ، قالت : لكني لا أرضاه لنفسي ، وأنا أيّم قومي ، وبنت عمتك ، فنزلت الآية : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ قالت : قد أطعتك ، فاصنع ما شئت ، فغير معقول ؛ والحال كما ذكرت ، ألا يكون شاهدها ، فلو كان يهواها ، أو وقعت من قلبه ، فأي شيء كان يمنعه من زواجها ، وإشارة منه كافية لأن يقدموها له وما ملكت ؟ فمثله وهو في الذروة من قريش نسباً وشرفاً وديناً ، ما كان يُقدَع أنفه[2] . ومن بعد ذلك ، فحبيبة رسول الله من

---

(1) حياة محمد ص ٣٠٨

(2) مثل يضرب للرجل الكفء الكريم ، والأصل فيه أن الفحل من الإبل إذا كان غير كريم ضربوا أنفه ودفعوه حتى يبعد عن الناقة ، فإذا كان كريماً تركوه فصار مثلاً وعد [illegible] الفحل لا يقدع أنفه .

صباه إلى كهولته إلى أن توفى ، ترد هذه الفرية ، فحياته لم تكن حياة حب وستهتر ، ولا عرف عنه أنه كان زير نساء ، ولا صريع الغوانى ، وإنما كانت حياة الشرف والكرامة ، ما عرفت لذنب أظهر ذلالا منه ، ولا أعف منه ، ولا لمست يده قط يد امرأة لا تحل له بشهوة ، وكيف يكون على هذا الحال الذى فتروه من خاطبه من معلم البشر ونحوه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ولو كان رسول الله صاحب هوى ، أو غرام ، لأشبع رغبته وهوى فيه فى أيام الصبا وشرخ الشباب ، أيام أن كان بعيد الكو عبث من بنات الأشراف تشرئب أعناقهن إلى أن يكن حليلات له ، ولكنه قضى شبابه مع سيدة تزيد على الأربعين ، ورضيها زوجاً له ، حتى توفاها الله ، ومهما قيل فى جمالها ، فهناك غيرها من الأبكار الشابات من يفقنها فى الجمال ، وللأبكار ما لهن من جاذبية وروعة ، ومن قضى بغير ذلك ، فقد خالف سنة الله فى الفطرة ، واتبع شرود العادات

ولم يكن زواج رسول الله بزوجاته إلا لحكم ومقاصد سامية . فزواجه بعائشة وحفصة توكيد للعلاقة بينه وبين وزيريه ، وزواجه بالسيدتين : سودة وزينب بنت عبد الله تكريم لهما ، وللعقيدة القوية فى شخص زوجيهما[1] ، وزواجه بالسيدة : أم سلمة جبر لكسرها ، وتعويض لها عن فقد عائلها ، وعرفان بتضحياته وتضحيات السيد : أبى سلمة زوجها ، ومهما قيل فى أم سلمة ، وأنها كانت ذات جمال فى شبابها ، فقد كان فى كبر سنها وما مر بها من أحداث جسام ، من الهجرة إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وما نجب من أولاد ، وما رزئت به فى فقد الرجل الذى ما كانت تظن أن هناك من هو خير منه ـ لقد كان فى كل ذلك ما يذوى بهذا الجمال ، إن لم يذهب به ، ثم أليس فى غيرها من بنات المهاجرين والأنصار الأبكار من تفوقها جمالاً ، وشباباً ، وثروة ، ونضرة ؟!

وزواجه بالسيدة : أم حبيبة بنت أبى سفيان ، حفظ لها من الضيعة وهى فى بلاد نائية عن بلادها ، فقد تنصر زوجها : عبيد الله بن جحش ومات على نصرانيته ، وثبتت هى على إيمانها ، وتحملت آلام الوحدة والغربة ، فلم يكن ثم شىء أجمل من ضمها إلى الرسول

---

(1) فقد هاجرت السيدة سودة مع زوجها إلى الحبشة فمات هناك ، وأما السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله فكانت تحت عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أحد شهداء بدر ، وقيل كانت زوجة عبد الله بن جحش شهيد أحد .

معها ، وقد تزوجها النبي وهي بالحبشة ولم يدخل به إلا عام سبع بعد خيبر ، فكيف يكون هذا حال من وُلع بالنساء ، وصار همه إشباع رغبته الشهوانية ونهمه الجنسي ؟!

وزواجه بالسيدة : زينب بنت جحش ، لإبطال هذه العادة . ويطول بي القول لو استقصيت الحكم في زواجه - ﷺ - فلذلك مقام آخر . والعجب من هؤلاء الطاعنين إذا وقعوا على ما يشنع عليهم من باطل الروايات ، تمادوا في قلب الحقائق ، وأنكروا عقولهم ، وتجاهلوا الظروف والملابسات ، والبيئة ، وأحكامها ، والعادات ، وسلطانها ، إلى غير ذلك مما يضيقون به ، بينما يطلقون بالحكم على روايات في غاية الصحة بأنها موضوعة ولا حامل لهم في الحالين إلا الهوى والتعصب . وبعد : فإذا كانت القصة كما رأيت ، لاسند لها من جهة النقل ، وحياة رسول الله تكذبها ، وطبيعة البيئة التي جرت فيها تحتِّ أصولها ، فلم يبق إلا أنها موضوعة

* * *

٤ - سبب نزول مشهور على الألسنة وهو موضوع

ومن ذلك : ما يذكره غالب المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ ، فقد روى عن ابن عباس : أن الحسن والحسين مرضا ، فعادهما جدهما رسول الله ، ومعه أبو بكر وعمر ، وعادهما من عادهما من الصحابة ، فقالوا لعلي - كرم الله وجهه - : لو نذرت على ولديك فنذر علي ، وفاطمة ، وجارية لهما إن برءا أن يصوموا ثلاثة أيام شكراً لله ، فألبس الله الغلامين ثوب العافية فاستقرض سيدنا علي ثلاثة آصع ، فجاء بها ، فقامت السيدة فاطمة إلى صاع ، فطحنته ، وخبزت منه خمسة أقراص على عددهم ، فوقف بالباب سائل ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا مسكين ، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فآثروه . وباتوا لم يذوقوا شيئاً ، وفي اليوم الثاني جاء يتيم فأعطوه الأقراص الخمسة كذلك . وفي اليوم الثالث ، جاء أسير ففعل مثل الأولين ، وقد اشتمل الخبر على شعر ركيك ، فهبط جبريل على النبي ، فقال : خذها يا محمد ، فأقرأه : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ السورة وقد أخرج هذا الخبر معظم المفسرين . ويكاد لم يسلم تفسير منه . حتى إن الحافظ السيوطي ذكره في « الدر » مع أنه وافق على صحته في اللآلئ وقد نبه على وضعه الحكيم الترمذي ، والحافظ ابن الجوزي ، وابن حجر في .

«التحريج». وقال: آثار الوضع لائحة عليه لفظاً ومعنى، فبناء سيدنا علي بالسيدة فاطمة كان بالمدينة في السنة الثانية، مع أن السورة مكية، كما روي عن ابن عباس والجمهور(1) فليس من المعقول أن يكون هذا هو السبب. ومن العجيب أن الإمام الآلوسي قد حاول إثبات الخبر بالخلاف في مكيتها ومدنيتها. وقد ابن الجوزي متساهل في الحكم بالوضع. ومعظم التفاسير ذكرت هذا السبب، لأن الحكم بوضعه يخفى إلا على الحافظ الناقد البصير.

* * *

٥ – سبب نزول عليه أثر العصبية السياسية

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال السيوطي في «الدر المنثور»: أخرج الترمذي، وصححه، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن يوسف بن مازن الراسبي، قال: قام رجل إلى الحسين بن علي، بعدما بايع معاوية، فقال: سودت وجوه المؤمنين، فقال: لا تؤنبني – رحمك الله –، فإن النبي رأى بني أمية على منبره، فساءه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكها بنو أمية، يا محمد. وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع، وقال فيه ابن كثير: إنه منكر جداً، وحكم ببطلان هذا التأويل أيضاً ابن جرير في تفسيره، حيث قال بعدما ذكر هذا الحديث ضمن أقوال ذكرها، قال: وأشبه الأقوال بظاهر التنزيل من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وأما الأقوال الأخر، فدعاوى باطلة لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في التنزيل(2). وهذا الحديث معناه غير صحيح فإن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – استقل بالملك حين سلم إليه الحسن سنة ٤٠ هـ، واستمر ملكهم إلى سنة ١٣٢ هـ، لم يخرج عن ملكهم إلا الحرمان، والأهواز، مدة ابن

(١) هذا يدل على أن المحدثين كانوا يعنون بنقد المتون كعنايتهم بنقد الأسانيد، وهذا يرد ما يقوله عنهم المستشرقون وأتباعهم.

(٢) تفسير الطبري ج ٣٠ ص ١٦٧

الزبير وهي تسع سنين، وخروج بعض الجهات عن ملكهم في هذه المدة لا يكون مبرراً لإنقاصها من ملكهم، فملكهم إذاً: اثنان وتسعون عاماً، وهي أكثر من الألف، ولو سلمنا إنقاص مدة ابن الزبير، فملكهم لا توافق الألف وإن كانت تقرب منها، فالحديث المزعوم كما حسناه، فمعناه غير صحيح، مع أن لوائح الوضع ظاهرة عليه، والترمذي قال فيه: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم، وهو ثقة، وشيخه مجهول، وبلاؤه عالٍ من المجاهيل. ومما يوهن الحديث ويدل على وضعه، أنه سيق لذم دولة بني أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم، وأيضاً: فإن ليلة القدر شريفة، والسورة الكريمة نزلت لبيان شرفها، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية، وهي مذمومة بمقتضى هذا الحديث. فالحديث لا يعطي ما أراده الواضع من ذم أيامهم، كما يعارض ما دلت عليه السورة من شرف هذه الليلة، مما لا ينبغي أن يختلف فيه اثنان، وقديماً قيل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

ما ذكره بعض المفسرين في تأييد رأي أو بيان معنى

«المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء»

من ذلك: ما ذكره الزمخشري في كشافه، وتابعه النسفي في تفسيره، عند تفسير قوله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1]

ويحكى: أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان. فقال له: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه. فقال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب؟ فقال: قد جمع رسولنا ـ ﷺ ـ الطب في ألفاظ يسيرة، فقال: وما هي؟ قال: في قوله: «المعدة بيت الداء، والحمية[2] رأس الدواء، وأعط

(١) الأعراف: ٣١.
(٢) الامتناع أو التقليل من الطعام.

كل بدن ما عوّدته». فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا.

أقول: ولئن أصاب في الآية، فقد أخطأ في ذكره الحديث، فإنه ليس من كلام النبي - ﷺ -، وإنما هو من «كلام الحارث بن كلدة» طبيب العرب (1)، فنسبته إلى النبي كذب واختلاق عليه، ثم هناك من قول النبي - ﷺ - ما هو أدق، وأوفق من هذا، وهو قوله - ﷺ -: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات - أي لقيمات - يقمن صلبه، فإن كان ولا بد، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وقد كان الإمام البيضاوي على حق حينما ذكر القصة التي ذكرها الزمخشري، ولكنه اكتفى بالآية، ولم يذكر الحديث، فقد عرفت أنه ليس من كلامه - ﷺ -.

* * *

٧ - حديث: «أنا ابن الذبيحين»

ومن ذلك: ما ذكره الزمخشري في كشافه، وتبعه النسفي في تفسيره، وغيرهما، عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الآيات (2) فقد ذكرا في الاستدلال على أن الذبيح: إسماعيل، ما روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: «أنا ابن الذبيحين» يعني جده الأعلى: إسماعيل، وأباه: عبد الله بن عبد المطلب.

وهذا الحديث لا يثبت عند المحدثين، قال الإمامان: الزيلعي، وابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: لم نجده بهذا اللفظ، وقال الحافظ العراقي: إنه لم يقف عليه، ولا يعرف بهذا اللفظ، وإنما حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي - ﷺ - طالباً العطاء: فقال فيما قال: «عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله - ﷺ -، ولم ينكر عليه»، فهو حديث حسن، بل صححه الحاكم، وقد ورد من طرق عدة يقوي بعضها بعضاً (3).

(1) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج ٢ ص ٢١٤
(2) الصافات ١٠١ - ١٠٧
(3) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج ص ١٩٩

٨ ـ تفسير شيعي

ومن ذلك : ما ذكره بعض المفسرين ، كابن جرير في تفسيره ، والسيوطي في « الدر المنثور » ، ومفسرو الشيعة في تفاسيرهم ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1] فقد فسروا المنذر بالنبي ـ ﷺ ـ ، والهادي بأنه علي ـ رضي الله عنه ـ ، والجمهور من المفسرين سلفًا وخلفًا على أن المنذر والهادي هو رسول الله ، وكذلك ما روي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾[2] من أن المراد بها أذن علي ، فقد رووا أن النبي ـ ﷺ ـ لما نزلت الآية أخذ بأذنه وقال : « هي أذنك يا علي » ، وفي رواية : « اللهم اجعلها أذن علي » ، وهما موضوعان كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، وغيره من الأئمة .

* * *

٩ ـ بعض القراءات الموضوعة

ومن الموضوعات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير ، كالزمخشري ، والنسفي : القراءات الشاذة التي تنسب إلى الإمام أبي حنيفة ، وهو بريء منها ، ولكنها اختلقت عليه .

وقد بين ذلك الإمام الخطيب في تاريخه ، والإمام الذهبي في « طبقات القراء » ، وابن الجزري في « الطبقات » أيضًا .

وواضعها هو : محمد بن جعفر الخزاعي : المتوفى سنة سبع وأربعمائة ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي ، قال الذهبي في الميزان في ترجمة « محمد بن جعفر » هذا : ألف كتابًا في قراءة الإمام أبي حنيفة ، فوضع الدارقطني خطه عليه ، بأن هذا موضوع لا أصل له ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ برفع لفظ الجلالة ، ونصب لفظ العلماء ، وإذا كانت موضوعة فلا حاجة للتكلف بتصحيح معناها كما فعل الزمخشري في تفسيره[3] .

---

(١) الرعد ٧

(٢) الحاقة ١٢

(٣) فقد فسر الآية بأنه يجلهم ويعظمهم فهو تفسير باللازم

خاتمة الكتاب

١ – هأنذا قد انتهيت – ولله الحمد – من هذا الكتاب الذي أرجو أن ينفع الله به المسلمين، وأن يبصرهم بحقيقة كتاب ربهم، ويوقفهم على الدخيل الذي دخل كتب التفسير، وكان جناية على الإسلام والمسلمين.

ولست أدعي أني استقصيت كل ما في كتب التفسير من إسرائيليات وموضوعات، فذلك يحتاج إلى عمر طويل، وجهد جهيد، ولكني – ولله الحمد والمنة – قد وفقت إلى التنبيه إلى معظمها، والكثير منها، ولاسيما ما يخل بتوحيد الله وصفاته، أو ما يطعن في عصمة الأنبياء، أو ما يصادم الحقائق العلمية، أو ما يأباه المعقول، أو يخالف الصحيح من المنقول.

ولن يكون هذا آخر المطاف في هذا الموضوع المهم الخطير، ولكني سأتابع الدرس، والسهر، والبحث، والتنقيب، حتى آتي على آخر ما يستطاع من الإسرائيليات والموضوعات – إن شاء الله تعالى –.

٢ – لقد بذلت غاية الجهد، في الوصول إلى الحق والصواب، ولم يكن من شأني – علم الله – التساهل أو التسرع، وإنما كان دأبي التثبت والتروي، ثم التروي، حتى يطمئن قلبي، وينشرح صدري، وترتاح نفسي إلى ما وصلت إليه.

ومن الحق والإنصاف أن أقول: إن الكثير مما وصلت إليه قد سبقني إليه العلماء المحققون، والأئمة الحفاظ النقاد المتقنون، من سلف هذه الأمة الإسلامية الخالدة، التي تكفل الله – جل جلاله – أن يبعث لها على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها.

ولقد حرصت على أن أنسب الفضل إلى العلماء أهل الفضل، فلست ممن يستشعر الكبر في نفسه، ولا ممن يجحد فضل علمائنا من سلف الأمة وخلفها، ولست أيضاً ممن يرتفع على أنقاض غيره، وجحود فضل غيره، ومن المؤسف أن هذه اللوثة قد أصبحت سمة من سمات الكثيرين من الباحثين والكاتبين، والمؤلفين في هذا العصر الأخير، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه، وأما ما اختلف فيه بعض الأئمة بالنفي والإثبات، والحكم بالوضع، وعدم الوضع، كقصة هاروت وماروت، وقصة الغرانيق مثلاً، فقد

سلكت فيه مسلك الترجيح من إبداء الحجة والبرهان، مهتدياً في ذلك بقولة الإمام الكبير إمام دار الهجرة «مالك بن أنس» ـ رحمه الله تعالى ـ «كل أحد يؤخذ منه، ويرد عليه، إلا صاحب هذا المقام»، وأشار إلى قبر النبي ـ ﷺ ـ، فقد خالفت فيها رأي إمامين كبيرين: الإمام الحافظ ابن حجر، والإمام الحافظ السيوطي على جلالتهما، والحق في الإسلام لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق. ورضي الله تبارك وتعالى عن سيدنا علي حيث قال: «اعرف الحق تعرف أهله». وحسبي في كلا الحالين ما وافقت فيه، وما خالفت أني مجتهد، والمجتهد مأجور أصاب أم أخطأ، وصدق المبلغ عن رب العالمين ـ ﷺ ـ حيث قال: «وإذا اجتهد الحاكم، ثم أصاب فله أجران، وإذا اجتهد، ثم أخطأ فله أجر» رواه مسلم في صحيحه.

٣ ـ لم يكن من خلقي إذا ما خالفت عالماً مهما كان رأيه، أو مرويه، أن أتطاول عليه، أو أجهل، فليس ذلك من خلق العلماء في الإسلام، وإنما هو من سمات الأدعياء، المغرورين، المتعجرفين، وإنما كان ديدني النقد الذاتي، الموضوعي، فأقابل الحجة ـ إن كانت ـ بالحجة، والبرهان بالبرهان، والشبهة بالحق واليقين، لأن علماءنا، وأئمتنا الأوائل ـ عفا الله عنا وعنهم ـ حسناتهم أكثر بكثير من سيئاتهم إن كانت، وصوابهم أوفى من خطئهم، وحقهم أعظم بكثير من باطلهم، وهم ليسوا بمعصومين، وإنما العصمة لله ـ عز وجل ـ ولرسله الكرام.

ومن ثم كنت رفيقاً غاية الرفق بالمفسرين الذين ذكروا الإسرائيليات والموضوعات في تفاسيرهم من غير تعقيب عليها، وكنت أغلب جانب الاعتذار عنهم، على جانب التشنيع، والاستنكار، كما كنت في غاية الأدب مع الصحابة والتابعين الذين رووا هذه المرويات، وحاولت الاعتذار عنهم غير مرة بأنهم إنما رووها تعجيباً للناس بروايتهم فيما هو مختلط بصدق وكذب، أو رووها، ولم ينبهوا إلى ما فيها من أكاذيب، وخرافات، وأباطيل اعتماداً على ظهور ذلك لقارئها، أو أنهم رووها على سبيل الاستنكار لما فيها، ولكن الراوي عنهم لم ينقل لنا ذلك، أو أن هذه المرويات قد دست عليهم فيما دس في المرويات في الإسلام، ومحاولة الاعتذار عنهم هو الأليق بأهل القرون الفاضلة الأولى بشهادة النبي ـ ﷺ ـ.

وإذا استساغ المستشرقون ، والمبشرون ، ومتابعوهم ، لأنفسهم السفاه ، والتجني في النقد على السلف الصالح ، ولا سيما أصحاب رسول الله – ﷺ – ، الذين زكاهم الله ورسوله ، فكيف يستسيغ كاتب مسلم لنفسه ، فضلاً عن عالم أن يسفه هو الآخر عليهم ، ويصمهم بأقبح الصمات وهو الكذب ؟! أو يجاريهم في نقل سفاهتهم ، وتجنيهم عليهم ، إنه – وايم الحق – للأمر العجب ، والخطب الجلل .

إن هؤلاء السلف الصالح مهما كانت عليهم مؤاخذات ، ففضلهم عظيم ، وخيرهم كثير ، ونفعهم عميم .

٤ – إن الكثيرين ، أو الكثرة الكاثرة من القراء حينما يقرءون ما كتبت ، فسيقدرون جهدي ، وتعبي ونصبي ، حتى أخرجت لهم هذا الكتاب ، وسيوافقونني – على ما أظن – على كل ما قلت ، أو معظم ما قلت

وقد تكون هناك فئة أخرى لا توافقني على كل ما قلت ، وقد تخالفني في بعض ما قلت ، وربما يتصايحون : أين هذا المؤلف من فلان ، وفلان من العلماء ، يرد أقوالهم ، ويفند مروياتهم ، ويتعقبهم فيما يذكرون ، ويستدرك عليهم ما فاتهم !!

وأحب أن أقول هذه الفئة – إن كانت – : إن معرفة الحق ليست قصرًا على شخص دون شخص ، ولا على جيل دون جيل ، والعلم ليس قصرًا على أحد ، وهو فضل من الله يؤتيه من يشاء ، وأحب أن أقول لهم أيضًا : اقرءوا الكتاب مثنى ، وثلاث ، ورباع ، ثم لتفكروا ولتتفكروا ، وسيظهر لكم بعد التروي ، والتأني ، وإعادة ما ظهر لي ، فإن أبوا إلا التمسك بآرائهم ، فحسبي أني ذكرت : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [1] ، وحسبي أني حذرت : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [2] ، وحسبي : أني بلغت : ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [3] ، وحسبي أني مجتهد ، وللمجتهد – إن أصاب – أجران ، – وإذا أخطأ – أجر ، وحسبي : أني لا أريد إلا الخير لهذه الأمة ، وإصلاح ما فسد من أمرها : ﴿ إنْ

---

(١) الغاشية ٢١ ، ٢٢

(٢) المائدة ١٠٥

(٣) النور : من الآية ٥٤

أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[١]

٥ - ليعلم من لا يعلم تحدثاً بنعمة الله - تعالى - علي ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٢] لا افتخاراً، ولا غروراً، والمنة لله، ولرسوله -: أني قد وهبت حياتي لخدمة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والذب عن رسول الله - ﷺ -، وعن صحابته الطيبين الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأني قد وجدت في ذلك لذة دونها كل لذة، وشرفاً دونه أي شرف، وجاهاً دونه أي جاه، وأني قد ألفت في ذلك بعض الكتب[٣] التي انتفع بها طلاب العلم وغيرهم، وأرجو أن يتقبلها الله - سبحانه وتعالى -، وأنا - ولله الحمد والفضل - أغير على الأحاديث والسنن من نفسي، وأهلي، وولدي وعرضي، وأنها من أحب الأشياء إلى نفسي، وأنه ما خطر لي أني أتسور على القرآن الكريم، فأفسره بغير الوارد عن السلف، وأني أتهجم على الأحاديث، والسنن فأردها، وأرفضها، وأني أصدر فيما قلت عن هوى، أو شهوة، أو حب جاه، لمعاذ الله، ثم معاذ الله، أن أكون أحد أولئك.

وفي الحق أني فيما اجتهدت وحكمت، فإني كنت دائماً أصدر عن قول الرسول الكريم: «**من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار**» رواه الشيخان وغيرهما، وقوله: «**من حدث عني بحديث يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين**»، رواه مسلم، فقد كان غرضي، الذب عن الكذب على رسول الله - ﷺ -، وعن صحابته، والرد على ما يثار حول الرسول، وصحابته، من طعون بسبب هذه الإسرائيليات والموضوعات، والرد على ما يثار على الإسلام من شبه وتخرصات بسببها.

٦ - ومع كل هذا: فأنا منشرح صدري لكل نقد نزيه بريء من الهوى، والشهوة، والرجوع إلى الحق إذا ظهر لي، فإني من المؤمنين بمقولة الفاروق عمر - رضي الله عنه -، وكلمته المحكمة في كتابه الجامع لسيدنا أبي موسى الأشعري، هذا الكتاب الذي يعتبر من أصول القضاء في الإسلام، قال - رضي الله تعالى عنه -: «... ولا يمنعك قضاء

---

(١) هود: ٨٨

(٢) والضحى: الآية ١١

(٣) منها: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ودفاع عن السنة، ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، وأعلام المحدثين، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة.

قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك ، وهديت فيه إلى رشدك ، أن ترجع عنه ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .. » .

والحمد لله فى النهاية ، كما حمدناه فى البداية ، وصلى الله ـ تبارك وتعالى ـ على إمام الهدى والتقى ، ومعلم الدنيا ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور سيدنا ، ومولانا ، ونبينا ، محمد ، وعلى آله وصحابته ، ومن تبعهم بإحسان ، إلى يوم الدين ، وإيانا معهم بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين ، ويا أكرم الأكرمين ، اللهم آمين .

كتبه

خادم القرآن والسنة

محمد بن محمد أبو شهبة

غفر الله له ، ولوالديه ، وللمؤمنين ، والمؤمنات

مراجع الكتاب

(١) القرآن الكريم	
(٢) تفسير ابن جرير الطبري	ط بولاق
(٣) تفسير الثعلبي	مخطوط ناقص بمكتبة الأزهر الشريف
(٤) تفسير البغوي	مطبوع على هامش تفسير ابن كثير
(٥) تفسير الكشاف	مطبوع
(٦) تفسير النسفي	مطبوع
(٧) تفسير البيضاوي	مطبوع
(٨) تفسير ابن كثير	مطبوع ط المنار
(٩) تفسير الفخر الرازي	مطبوع
(١٠) تفسير أبي حيان	مطبوع
(١١) تفسير الخازن	مطبوع
(١٢) تفسير أبي السعود العمادي	مطبوع
(١٣) تفسير الخطيب	مطبوع
(١٤) تفسير «الدر المنثور» للسيوطي	مطبوع
(١٥) تفسير القرطبي	مطبوع ط دار الكتب المصرية
(١٦) تفسير الألوسي	مطبوع
(١٧) صحيح الإمام أبي عبدالله البخاري	مطبوع
(١٨) صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري	مطبوع
(١٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل	مطبوع
(٢٠) موطأ الإمام مالك بن أنس	مطبوع
(٢١) سنن أبي داود السجستاني	مطبوع
(٢٢) سنن الترمذي	مطبوع
(٢٣) سنن النسائي	مطبوع
(٢٤) سنن ابن ماجه	مطبوع
(٢٥) سنن الدارقطني	مطبوع
(٢٦) مستدرك الحاكم أبي عبدالله	مطبوع بالهند

(٢٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر ... ط عبد الرحمن محمد
(٢٨) مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر ... مطبوع
(٢٩) شرح صحيح مسلم للنووي ... مطبوع
(٣٠) البرهان في علوم القرآن للزركشي ... ط محمود توفيق
(٣١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ... مطبوع
(٣٢) مقدمة في أصول التفسير للإمام ابن تيمية ... مطبوع ط الآستانة
(٣٣) الشفا للإمام القاضي عياض ... مطبوع ط استانبول
(٣٤) شرح المواهب اللدنية للإمام الزرقاني ... مطبوع
(٣٥) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ... مطبوع
(٣٦) مقدمة العلامة ابن خلدون ... مطبوع
(٣٧) كاشف القصور في الكشف عن أحاديث السور للمغربي. مخطوط بدار الكتب المصرية
(٣٨) تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر. مطبوع مع التفسير في بعض الطبعات
(٣٩) القول المسدد في الذب عن مسند أحمد ... مطبوع
(٤٠) منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ... مطبوع
(٤١) علوم الحديث لابن الصلاح بشرحها للعراقي ... مطبوع
(٤٢) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ... مطبوع
(٤٣) الموضوعات الكبرى للشيخ علي القاري ... مطبوع ط الآستانة
(٤٤) تدريب الراوي شرح تقريب النووي للسيوطي ... مطبوع
(٤٥) الباعث الحثيث إلى علوم الحديث للحافظ ابن كثير ... مطبوع
(٤٦) نخبة الفكر بشرحها للحافظ ابن حجر ... مطبوع
(٤٧) تذكرة الحفاظ للذهبي ... مطبوع
(٤٨) ميزان الاعتدال للذهبي ... مطبوع
(٤٩) لسان الميزان للحافظ ابن حجر ... مطبوع
(٥٠) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ... مطبوع
(٥١) البداية والنهاية لابن كثير ... مطبوع
(٥٢) التفسير والمفسرون للدكتور الشيخ الذهبي ... مطبوع
(٥٣) مناهل العرفان لأستاذنا الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ... مطبوع
(٥٤) منهج الفرقان في علوم القرآن الشيخ محمد علي سلامة ... مطبوع
(٥٥) مقالات العلامة الشيخ زاهد الكوثري ... مطبوع
(٥٦) الوضع في الحديث، وآثاره السيئة في كتب العلوم للمؤلف ... مخطوط

(٥٧) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة جزءان للمؤلف — مطبوع

(٥٨) ظفر الأماني شرح مختصر الجرجاني للشيخ اللكنوي — مطبوع بالهند

(٥٩) الموضوعات الكبرى للحافظ ابن الجوزي — مخطوط

(٦٠) تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة للشيخ ظافر الأزهري — مطبوع

(٦١) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي — مطبوع

(٦٢) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي — مطبوع

(٦٣) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للحافظ العراقي — مطبوع على هامش الإحياء

(٦٤) دلائل النبوة للإمام البيهقي — مطبوع

(٦٥) الفرق بين الفرق للبغدادي — مطبوع

(٦٦) التبصير في الدين، والفرق بين الفرق الناجية والهالكين لأبي المظفر الإسفراييني — مطبوع

(٦٧) الآثار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة للشيخ اللكنوي — مطبوع بالهند

(٦٨) الملل والنحل للشهرستاني — مطبوع

(٦٩) الفصل في الملل والنحل لابن حزم الظاهري — مطبوع

(٧٠) الصواعق المحرقة لابن حجر المكي — مطبوع

(٧١) أسباب النزول للحافظ السيوطي — مطبوع على هامش تفسير الجلالين

(٧٢) تفسير سورة الفاتحة، وإبطال قصة الغرانيق وقصة زواج النبي بالسيدة زينب بنت جحش للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده — مطبوع ط المنار

(٧٣) سنن الله الكونية للدكتور محمد أحمد الغمراوي — مطبوع

(٧٤) مجمع الزوائد للهيثمي — مطبوع

(٧٥) تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا — مطبوع

(٧٦) القول السديد في علم التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة — مطبوع

(٧٧) رسالة في الأحاديث الموضوعة للإمام ابن تيمية — مطبوعة

(٧٨) الإصابة في تاريخ الصحابة للحافظ ابن حجر — مطبوع

(٧٩) مختصر المستدرك للحاكم للإمام الحافظ الذهبي — مطبوع مع المستدرك

(٨٠) فجر الإسلام وضحاه للأستاذ أحمد أمين — مطبوع

(٨١) كتب العهد القديم (التوراة والأسفار) — مطبوع

(٨٢) القاموس المحيط للفيروزابادي — مطبوع

(٨٣) المصباح المنير للفيومي — مطبوع

فهرست الكتاب

	ص
شعار الكتاب ، وشيء من مزايا هذه الطبعة الخامسة	٣
مقدمة الكتاب لفضيلة الدكتور محمد محمد أبو شهبة	٤
معنى إسرائيليات وموضوعات وتفسير	١٢
حكم الكذب على رسول الله ﷺ	١٥
هل تقبل رواية من كذب في الحديث ومن تاب ؟	١٦
حكم رواية الموضوعات والإسرائيليات الباطلة ...	١٧
ما أشبه الليلة بالبارحة ...	١٩
متى نشأ الوضع في الحديث	٢٠
عرض سريع لحركة الوضع ..	٢٣
التفسير	٢٥
التأويل	٢٧
الحاجة إلى علم التفسير	٢٨
التفسير من أشرف العلوم	٣١
العلوم التي لابد منها للمفسر	٣١
علوم أخرى لابد منها للمفسر	٣٧
ما يجوز الخوض في تفسيره وما لا يجوز	٣٩

أقسام التفسير

١ ـ التفسير بالمأثور	٤٣
تفسير القرآن بالقرآن	٤٤
أمثلة من تفسير القرآن بالقرآن ..	٤٤
تفسير القرآن بالسنة	٤٥
السبب في أن الصحابة لم ينقلوا عن النبي كل التفسير......	٤٧
السبب في أن ما نقل عن النبي في التفسير قل مما نص في الأحكام	٤٨
حديث منكر غريب	٤٩

أمثلة لتفسير القرآن بالسنة	٥١
تفسير الصحابة	٥٢
أقوال الصحابة في التفسير	٥٣
أمثلة من تفسير الصحابة	٥٤
تفسير التابعين	٥٦
المفسرون من الصحابة	٥٧
علي بن أبي طالب	٥٨
عبد الله بن مسعود	٥٨
أبي بن كعب	٦٠
زيد بن ثابت	٦١
عبد الله بن عباس	٦٣
المفسرون من التابعين	٦٣
مدارس التفسير	٦٣
مدرسة مكة	٦٤
مجاهد بن جبر	٦٤
سعيد بن جبير	٦٥
عطاء بن أبي رباح	٦٥
عكرمة مولى ابن عباس	٦٦
مدرسة المدينة	٦٦
زيد بن أسلم	٦٧
أبو العالية	٦٧
محمد بن كعب القرظي	٦٧
المفسرون من مدرسة العراق	٦٧
مسروق بن الأجدع	٦٨
قتادة بن دعامة	٦٩
الحسن البصري	٦٩
مرة الهمداني	٦٩
الضحاك بن مزاحم	٧٠
مدرسة الشام	٧٠
عبد الرحمن بن غنم الأشعري	٧٠

عمر بن عبد العزيز ... ٧٠
رجاء بن حيوة الكندي ... ٧٠
كعب الأحبار ... ٧١
مدرسة مصر ... ٧١
يزيد بن أبي حبيب الأزدي ... ٧١
أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني ... ٧١
مدرسة اليمن ... ٧١
طاووس بن كيسان اليماني ... ٧١
وهب بن منبه الصنعاني ... ٧٢
طبقة أخرى من المفسرين بالمأثور ... ٧٢
طبقات أخرى بعد هذه الطبقة ... ٧٢
حذف الأسانيد وعلته الدخيل ... ٧٣
تدوين كتب التفسير مشافهة مؤلفيها ... ٧٤
تفسيرات المبتدعة والباطنية والملاحدة ... ٧٥
٢ ـ التفاسير بغير المأثور ... ٧٧
أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي والاجتهاد ... ٧٨
مناقشة هذه الأدلة ... ٧٩
جواز التفسير بالرأي والاجتهاد ... ٨١
التفسير بالرأي المذموم والممدوح ... ٨١
منهج القويم في تفسير القرآن الكريم ... ٨٣
غلبة الضعف على التفسير بالمأثور ... ٨٤
ملاحظة الأئمة القدامى هذه الظاهرة ... ٨٥
أسباب الضعف في التفسير بالمأثور ... ٨٥
خطورة رفع هذه الإسرائيليات إلى النبي ... ٩٤
تحوط دقيق للمحدثين ... ٩٥
بعض الإسرائيليات قد يصح سند إليها ... ٩٦
رواية الكذب ليس معناه أنه هو الذي اختلقه ... ٩٦
عبد الله بن سلام ... ٩٧
كعب الأحبار ... ١٠٠
رأي علماء الجرح والتعديل فيه ... ١٠١

مقالة سيدنا معاوية في كعب ١٠٢
وهب بن منبه ١٠٥
أقسام الإسرائيليات ١٠٦
تشديد سيدنا عمر على من كان يكتب شيئاً من كتب اليهود ١٠٨
مقالة لابن تيمية في هذا ١١٠
أسباب الخطأ في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد ١١٣
تفاسير المعتزلة ١١٤
تفسير ابن جرير وابن عطية وأمثاله ١١٥
الاختلاف بين السلف في التفسير اختلاف تنوع ١١٧
التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالاجتهاد وما يتبع في الترجيح بينهما ١٢٠
أهم كتب التفسير بالمأثور ١٢٢
جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ١٢٣
ما أخذ على تفسير ابن جرير ١٢٣
الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٢٤
كتب جمعت بين المأثور وغيره ١٢٥
الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٢٥
معالم التنزيل ١٢٧
تفسير القرآن العظيم ١٢٨
تعريف مجمل في أشهر كتب التفسير بالرأي والاجتهاد ١٣٠
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١٣٠
تفسير مفاتيح الغيب ١٣٣
أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣٥
الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن ١٣٦
مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١٣٧
لباب التأويل في معاني التنزيل ١٣٨
البحر المحيط لأبي حيان ١٤٠
السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ١٤١
إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٤٢
روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ١٤٥
الخلاصة ١٤٧

نقد التفسير بالمأثور جملة ... ١٤٧
نقد الطرق والرواة تفصيلاً ... ١٤٨
طرق عن ابن عباس ... ١٤٨
طرق عن ابن جريج ... ١٤٩
طريق شبل بن عباد المكي ... ١٤٩
تفسير عطاء بن دينار وأبي روق ... ١٥٠
تفسير إسماعيل السدى ... ١٥٠
تفسير مقاتل بن سليمان ... ١٥٠
مقالة الإمام الحافظ ابن حجر ... ١٥٠
روايات الثقات عن ابن عباس ... ١٥٠
روايات الضعفاء عن ابن عباس ... ١٥١
محمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب ... ١٥١
السدى الصغير كذاب ... ١٥١
من روى التفسير عن الكلبي من الثقات والضعفاء جميعاً ... ١٥٢
من روى التفسير عن الضحاك ... ١٥٢
عثمان بن عطاء الخرساني ... ١٥٢
إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير ... ١٥٢
إبراهيم بن الحكم ... ١٥٣
إسماعيل بن أبي زياد ... ١٥٣
عطاء بن دينار ... ١٥٣
قتادة ... ١٥٣
تفسير الربيع بن أنس عن أبي العالية ... ١٥٣
تفسير مقاتل بن حيان ... ١٥٣
تفسير زيد بن أسلم ... ١٥٤
تفسير مقاتل بن سليمان ... ١٥٤
تفسير يحيى بن سلام المغربي ... ١٥٤
تفسير سنيد ... ١٥٥
تفسير موسى بن عبد الرحمن الصنعاني ... ١٥٥
طرق الروايات في سبب النزول ... ١٥٥

الطرق الجيدة عن ابن عباس	١٥٦
أوهى الطرق عن ابن عباس	١٥٦
الطرق الضعيفة عن ابن عباس	١٥٦
تفسير أبي بن كعب والطرق عنه	١٥٧
أشهر الطرق عن ابن مسعود	١٥٧
أصح الطرق عن علي رضي الله عنه	١٥٨
أشهر الطرق الصحيحة والواهية والساقطة	١٥٩
المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في التفسير	١٥٩
الإسرائيليات في قصة هاروت وماروت	١٥٩
إسرائيليات في المسوخ من عقوبات	١٦١
الإسرائيليات في بناء الكعبة	١٦٢
الإسرائيليات في قصة التابوت	١٧٠
التفسير الصحيح للسكينة	١٧١
الإسرائيليات في قصة قتل داود جالوت	١٧٤
الإسرائيليات في قصص الأنبياء والأمم السابقة	١٧٨
ما ورد في قصة آدم عليه السلام	١٧٨
ما نسب إلى ابني آدم لما قتل أحدهما الآخر	١٨١
ما نسب إلى آدم من قول الشعر	١٨٢
الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين وخرافة عوج بن عنق	١٨٤
الإسرائيليات في قصة التيه	١٨٧
الإسرائيليات في المائدة التي طلبها الحواريون	١٩٠
الإسرائيليات في سؤال موسى ربه الرؤية	١٩٨
الإسرائيليات في ألواح التوراة	٢٠١
إسرائيليات وخرافات في بني إسرائيل	٢٠٦
الإسرائيليات في نسبة الشرك إلى آدم وحواء	٢٠٩
قبس من خطة الإمام ابن كثير	٢١١
الإسرائيليات في سفينة نوح	٢١٦
الإسرائيليات في قصة يوسف	٢١٩
الإسرائيليات في شجرة طوبى	٢٣١
الإسرائيليات في إفساد بني إسرائيل	٢٣٤

الكلام على روايات القصة هذه لا تثبت ... ٢٣٧
الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف ٢٤٠
الإسرائيليات في قصة ذي القرنين ٢٤٣
الإسرائيليات في قصة يأجوج ومأجوج ٢٤٥
الإسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبأ ٢٤٩
الإسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحاق ٢٥٢
الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ٢٥٧
الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام ٢٦٠
الإسرائيليات في قصة داود ٢٦٤
الإسرائيليات في قصة سليمان ٢٧
الإسرائيليات في قصة أيوب ٢٧٥
مقالة للإمام القاضي أبي بكر بن العربي ٢٨١
الإسرائيليات في قصة زيد بن حارثة ... ٢٨٣
الإسرائيليات فيما يتعلق بعصمة الأنبياء والملائكة ... ٢٨
ما يتعلق بعصمة الأنبياء ٢٨٩
ما يتعلق بالشمس والقمر ٢٩
ما يتعلق ببعض الظواهر الكونية ٢٩٢
ما ذكره المفسرون في الرعد والبرق ٢٩٥
أقوال للرسول ... في الرعد والبرق ... ٢٩٨
الصواعق ٣٠١
جبل (ق) المزعوم وحدوث الزلازل ٣٠٢
الإسرائيليات في تفسير (ن والقلم) ٣٠٥
الموضوعات وكتب التفسير ٣٠٦
الأحاديث الموضوعة في فضائل السور والآيات ٣٠٧
حديث أبي بن كعب ٣٠٧
طريقة الثعلبي في ذكر هذا الحديث ٣٠٩
طريقة الزمخشري ٣٠٩
أحاديث موضوعة على علي بن أبي طالب ٣١٠
المفسرون قد يذكرون أحاديث صحيحة في الفضائل ٣١١
الموضوعات في أسباب النزول ٣١٢

قصة الغرانيق	٣١٤
زعم ... ورود [illegible]	٣٢١
[illegible] في قصة [illegible] رضي الله عنه	٣٢٣
سبب ورود [illegible]	٣٢٨
سبب ورود [illegible]	٣٢٩
ذكر بعض [illegible]	٣٣٠
[illegible]	٣٣١
[illegible]	٣٣٢
[illegible] الموضوعة	٣٣٢
خاتمة	٣٣٣
مراجع الكتاب	٣٣٨
الفهرس	٣٤١

من مطبوعات مكتبة السنة

كتب من تأليف أو تحقيق المحدث الكبير العلامة :

أحمد محمد شاكر

- **نظام الطلاق في الإسلام** : بحث علمي دقيق ، على الأساس الإسلامي الصحيح ، في التمسك بالكتاب والسُّنَّة ، وفي آخره مشروع قانون دقيق لشئون الطلاق على هذا الأساس .
- **الكتاب والسُّنَّة (يجب أن يكونا مصدر القوانين)** : وهو قسمان ، الأول : في الدعوة إلى وجوب أخذ القوانين من الكتاب والسُّنَّة ، ورسم الخطة العملية لتنفيذ ذلك . والثاني : بحث دقيق عنوانه « الشرع واللغة » في الرد على عبد العزيز فهمي « باشا » في مشروعه لكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وفي عنوانه على الإسلام وأُمَّته .
- **كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر** : بحث علمي دقيق ، في الحديث النبوي وبيان حكم قتل شارب الخمر في الرابعة ، وبيان علل الأحاديث الواردة في هذا الباب ، وبيان الصواب فيما قيل حول نسخ هذه الأحاديث ، وفيه دعوة إلى الإصلاح الاجتماعي .
- **لباب الآداب** : للأمير أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) :

  تحقيق النص ، وتصحيحه ، مع شرح متوسط ، ومقدِّمة ، وفهارس .
- **الحلال والحرام عن خير الأنام (محمد عليه الصلاة والسلام)** : للإمام عبد الغني المقدسي الحنبلي (ت ٦٠٠ هـ) : تحقيق النص ، وتصحيحه ، مع بعض تعليقات مهمة ، وفهارس .
- **ألفية الحديث** : للحافظ العراقي (ت ٨٠٦ هـ) ، وهي غير ألفية السيوطي المشهورة : ضبط النص ، وتحقيقه ، وتصحيحه .

  ومعها شرحها الكبير : « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث » للمؤلف نفسه ، الحافظ العراقي ، في مجلد كبير بطباعة جيدة .
- **كلمة الحق** : وهي كلمة تحق في مواقف الرجال ، فيها منافحة عن القرآن ، ومحافظة على أعراض المسلمين ، وفيها حديث عن السياسة العليا للأمم الإسلامية ، وفيها تحرير لعقول المسلمين وقلوبهم من روح التحلل والإباحية ، ومن روح التمرد والإلحاد ، وفيها محاربة للنفاق والمجاملات الكاذبة ، مع أبحاث نفيسة في العقيدة والحديث والفقه والتاريخ واللغة .
- **أحكام التجويد** : للشيخ محمد المحمود ، تحقيق النص ، وضبطه ، وتصحيحه .
- **الكتب والمؤلفون (نقد وتعريف)** : مقالات وأبحاث هامة في النقد العلمي لأهم ما أصدرته المطابع خلال أربعين سنة مع تراجم مؤلفيها وتوجيههم ، تجد فيها أبحاث هامة في الحديث الشريف وفي التاريخ واللغة والأدب وفي العلوم الشرعية عامَّة ، مع مقالات أخرى نادرة ونفيسة .

  أشرف عليها واعتنى بها العلاَّمة عبد السلام محمد هارون ـ شيخ المحقِّقين والأمين العام لمجمع اللغة العربية .

نصوص تراثية

- **كتاب التفسير**: للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى ٣٠٣ هـ، «صاحب السنن» - في مجلدين - ينشر لمرة الأولى في الدنيا عن نسخه المخطوطة، على أحسن الأساليب العلمية في تحقيق النصوص.
- **صريح السُّنَّة**: للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠ هـ، وهو من الكتب المتقدمة في بيان اعتقاد السلف الصالح أهل السنة والجماعة والرد على أهل البدع والأهواء ينشر عن نسخه المخطوطة بصورة علمية فريدة.
- **المواعظ النبوية**: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المتوفى ٥٩٧ هـ؛ تحقيق أبي الفداء السيد بن عبد المقصود الأثري.
- **الأحاديث العوالي** (من جزء الحسن بن عرفة العبدي) المتوفى ٢٥٧ هـ - رواية شيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفى ٧٢٨ هـ، انتقاء الحافظ الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ. تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي.
- **تخريج أحاديث مختصر المنهاج (في أصول الفقه)** - للحافظ العراقي (ت ٨٠٦ هـ). تحقيق العلامة صبحي البدري السامرائي.
- **العواصم من القواصم (في بيان موقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ)**: للإمام أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ). خرج أحاديثه وعلق عليه محمود مهدي الاستانبولي، مع تعليقات العلامة محب الدين الخطيب. نشرة جديدة موثقة عن ثلاث نسخ مخطوطة.
- **القضاء والقدر**: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، بتحقيق أبي الفداء الأثري السيد بن عبد المقصود - مع أسئلة وأجوبتها في القضاء والقدر من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ومن مؤلفات تلميذه الإمام ابن القيم رحمهما الله.
- **الأحاديث القدسية**: للعلامة علي بن سلطان محمد القاري - الملا علي القاري - (ت ١٠١٤ هـ).
- **أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه**: للدكتور بشار عواد معروف، والدكتور شكري فيصل، والدكتور فؤاد سزكين، والعلامة محمد بهجة الأثري، وآخرين.
- **وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما**: للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) تحقيق أبي الفداء الأثري.
- **٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة**: للعلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٧٧ هـ) أول نشرة محققة من هذا الكتاب القيم ومعنى به.
- **الجامع في الحديث والآثار**: للإمام الحافظ عبد الله بن وهب المصري، المتوفى ١٩٧ هـ، تلميذ الإمام مالك، في مجلدين. ينشر لأول مرة كاملاً عن نسخ عدة من مكتبات العالم وعلى أسس التحقيق القويمة، من قِبَلْ مركز السنة للبحث العلمي.
- **كتاب الأدب**: للإمام الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، المتوفى ٢٣٥ هـ، «صاحب المصنَّف» - بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي.
- **الكلام المتقن مما يتعلق بكلمة التقوى: لا إله إلا الله**: للعلامة سعيد بن حجي الحنبلي، في تحقيق معنى لا إله إلا الله، ومقتضياتها، وأحكامها، وفوائدها، وفضائلها، ومعه مختصر رسالة الحافظ ابن رجب الحنبلي في «تحقيق معنى كلمة الإخلاص». بتحقيق: أبي الفداء الأثري.

بحوث ودراسات

- **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**: للأستاذ الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة رحمه الله، قد تتبع فيه المؤلف ـ رحمه الله ـ الإسرائيليات المدسوسة في كتب التفسير، وأوضح فيه خطورة هذه الإسرائيليات مع بيان الأحاديث الموضوعة في كتب التفسير المشهورة، وفي الكتاب تعريف عام بكتب التفسير على جميع أنواعها.
- **الإسراء والمعراج**: للأستاذ الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة، وفيه تصدى المؤلف رحمه الله لذكرى هذه المعجزة الكبرى، وساق الروايات الصحيحة في هذا الموضوع مع بيان فوائد الإسراء والمعراج.
- **بحوث في السنة المشرفة**: للأستاذ الدكتور الشيخ عبد الغني عبد الخالق ـ رحمه الله ـ، وهو بحث أصولي حول مرتبة السنة بالقرآن والاحتجاج بالسنة وفي مسألة نسخ السنة بالقرآن وغيرها.
- **أسماء الله وصفاته الحسنى**: للعلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وفيه بيان أهم القواعد التي يفهم بها هذا الجانب المهم من العقيدة الإسلامية ـ مع بيان الأدلة الشرعية في تجلية هذه القواعد.
- **تحذير الراكع والساجد من بدعة زخرفة المساجد**، لأبي أسماء السيد بن عبد المقصود الأثري.
- **فتاوى مهمة تمس إليها الحاجة**: أجاب عنها العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وهي مسائل يحتاجها المسلم في يومه وليلته في العقائد والعبادات والمعاملات وشتى أنواع الأحكام الشرعية.
  اعتنى بها ورتبها أبي أسماء السيد بن عبد المقصود الأثري.
- **الأذكار**: لمحمد بن إبراهيم الشيباني ـ من الكتب ذات الأهمية في هدي النبي ﷺ في الذكر خلال اليوم والليلة وعلى كل أحواله.

كتب من تأليف أو تحقيق العلامة الكبير

عبد السلام محمد هارون

- **تهذيب سيرة ابن هشام**: طبعة جديدة خاصة لمكتبة السنة، ذات زيادات ومقدمة وتصحيحات وفهارس مهمة.
- **الميسر والأزلام**: دراسة تاريخية اجتماعية أدبية ودعوة إلى إصلاح اجتماعي.
- **حول تحقيق النصوص (مدخل ... ودراسات نقدية)**: د. عيسى عيسى قدم به المؤلف ـ حفظه الله ـ لرسالته عن التراث وأثره حول نشر هذا التراث وأثره في تقدم التسيير مع نقد الكتب التراثية التي أخرجتها المطابع في هذا العصر.
- **تحقيق النصوص ونشرها**: وهو المرجع الأول لكل من يقوم بتحقيق نص تراثي أو التعليق عليه وقد نال من إعجاب وثناء أهل العلم ما هو أهل لاقتنائه والاطلاع عليه ـ وتمتاز هذه الطبعة الخامسة بزيادات وشروح وفوائد مهمة تزيد عن أصحاب الطبعات السابقة.
- **الرد على النصارى**: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ـ محققة تحقيقاً علمياً عن نسخه الخطية في مكتبات العالم ـ وهو أول نص في الثقافة.

٣٧٧

كتب المرأة المسلمة

- عشرة النساء : للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣ هـ) صاحب سنن النسائي الشهيرة ، محققاً تحقيقاً علمياً عن نسخ الكتاب المخطوطة . يطبع للمرة الأولى في الدنيا .
- الحجاب والسفور (في الكتاب والسنّة) : للعلاّمة الشيخ عبد العزيز بن باز ، ومعه رسائل مهمة لجماعة من أهل العلم حول فرضية النقاب وغيره .
- المرأة المسلمة : للشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ راجعه وخرّج أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني ؛ ومعه مجموعة رسائل مهمة لجماعة من العلماء : الدكتور محمد محمد حسين والدكتور محمد الصباغ والدكتور عمر سليمان الأشقر والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود والأستاذ منير محمد الغضبان .
- المرأة المسلمة : للشيخ أبو بكر جابر الجزائري ، كتاب فقه وعبادات ومعاملات وأخلاق وأدب .
- المشاكل الزوجية (في ضوء الكتاب والسنّة) الطرق الشرعية لحل المشاكل الزوجية : للشيخ سليمان الحميضي القاضي والدكتور تقي الدين الهلالي .
- الترغيب في الزواج (وبيان يُسر الإسلام فيه) : لأبي الحارث أشرف بن عبد المقصود الأثري ، في بيان أدلّة الكتاب والسنة في تيسير الإسلام على المسلمين الزواج وتحذير ولاة الأمور عن المغالاة في المهور . وفيه صور مشرّفة من هدي السلف الصالح في هذا الموضوع .
- صفة الزوجة الصالحة (في الكتاب والسنّة) : للمؤلف السابق ـ أيضاً .
- تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء : للدكتور مصطفى السباعي والدكتور محمد الصباغ والعلاّمة عبد العزيز باز وآخرين .
- إليك أيتها الأخت المسلمة (رسائل موجهة لطالبات الجامعة) : للشيخ محمد طارق محمد صالح .

رقم الإيداع ١٩٨٨/٢٠٤١م

دار الجيل للطباعة ٨٤ قصر اللؤلؤة . الفجالة
جمهورية مصر العربية تليفون ٩٠٢٣٤٣ ـ ٩٠٥٢٩١